

عبد الناصر والحرب العربيّة الباردة

١٩٥٨ - ١٩٧٠

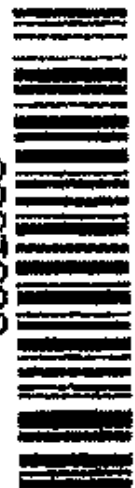
تأليف

مالكولم كير
ترجمة

د. عبدالرؤف أحمد عمر



Bibliotheca Alexandrina



0093298

تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة

د. سمير سرحان

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مصدر من

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الاخراج الفني :

مراد نسيم



عبد الناصر والحرب العربيّة الباردة

١٩٥٨ - ١٩٧٠

تأليف
مالكولم دكير

ترجمة
د. عبدالرؤف أحمد عمرو



المكتبة المصرية العامة للكتاب

فروع الصحافة

١٩٩٧

هذه ترجمة كتاب :

THE ARAB COLD WAR
GAMAL AED AL-NASIR AND HIS RIVALS,
1958 — 1970

Third Edition
MALCOLM H. KERR

Published for
The Royal Institute of
International Affairs
by :

OXFORD UNIVERSITY PRESS
London Oxford New York 1971

تقديم

كنت قد قرأت هذا الكتاب ، الذى قام بترجمته الدكتور عبد الرؤوف عمرو ، عندما كنت استاذًا زائرًا بكلية الدراسات الأفريقية والآسيوية عام ١٩٨٠/١٩٨١ ، وشعرت بأهميته ، وتقت الى ترجمته الى العربية ليطلع عليه جمهور العربية المهتم بتاريخ العالم العربى فى تلك الفترة الزاخرة بالأحداث التى عالجهها الكتاب وهى الفترة من ١٩٥٨ الى ١٩٧٠ ، أو من قيام الوحدة المصرية السورية حتى وفاة عبد الناصر .

وكان مما شدى الى الكتاب أنه كتاب موثق يعتمد على مجموعة من الوثائق العربية والغربية ، وأيضًا على المصادر الخام فى الصحف وما أذيع فى الاذاعات الغربية ، كما أجرى مؤلفه عددًا كبيرًا من اللقاءات بالشخصيات العربية والسورية التى لعبت دورًا فى صنع الأحداث . كما أن مؤلفه من المهتمين بالشئون العربية ، وقد عاش فترة فى مسرح الأحداث فى العالم العربى ، وقد قابلته فى القاهرة وهو يجرى لقاءاته بحثًا عن مادته التاريخية .

وفضلا عن ذلك فالمؤلف ، وهو مالكولم كير . أستاذ العلوم السياسية فى جامعة كاليفورنيا ، لوس انجلوس ، وقد ولد فى

بيروت ، وتلقى تعليمه في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وعمل في مصر وتونس ، وكتب عن التاريخ اللبناني ، والفكر الاجتماعي الاسلامي ، والسياسة العربية المعاصرة .

والكتاب سيعرض علاقات مصر العربية في عصر عبد الناصر منذ قيام الوحدة المصرية السورية في عام ١٩٥٨ حتى وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ ، ويتتبع أحداث تلك الفترة الخطيرة بدقة وتحليل ، وقد اختار عام ١٩٥٨ ليس فقط لأنه عام الوحدة المصرية السورية ، وإنما لأنه شهد أحداثا هائلة تملت في الثورة العراقية ، والحرب الأهلية في لبنان ، ثم شهدت السنوات التالية أحداثا لا تقل أهمية ، تتمثل في الانفصال السوري عن مصر ، والحرب الأهلية في اليمن ، وحى التي نورطت فيها مصر ، ومباحثات الوحدة العربية بين مصر وسوريا والعراق في عام ١٩٦٣ ، وهي التي انتهت بالفشل ، ومؤتمرات القمة العربية الثلاثة التي انعقدت في عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، ومحاولات الانقلاب العديدة في سوريا والعراق ، والصراع العربي الاسرائيلي الذي قاد الى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وميلاد المقاومة الفلسطينية ، وصادماها مع السلطة الأردنية ، ثم وفاة عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

والكتاب على هذا النحو يسد ركنا كبيرا في المكتبة العربية ، فضلا عن أنه يصحح خطأ تاريخيا يزعم أن عصر عبد الناصر كان عصر الوحدة العربية ، في حين أنه كان — في الحقيقة — عصر الحرب العربية الباردة !

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

مقدمة المترجم

يتناول هذا البحث فترة مهمة من تاريخ مصر المعاصر ١٩٥٨ - ١٩٧٠ اذ كانت البداية هي قيام وحسدة فدرالية بين دولتي مصر وسوريا ، في وقت كانت فيه سياسة عبد الناصر قد بلغت ذروتها عقب التالى السياسى الذى احرزه عقب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وخروج مصر متبصرة سياسيا فى الداخل والخارج وان كان ذلك راجعا الى عدة ظروف دولية احاطت بهذا العدوان ونتائجه .

وتصدى عبد الناصر لمشروع ابنهاور عام ١٩٥٧ بحجة ملء الفراغ فى منطقة الشرق الأوسط ، وبدأ عبد الناصر يسعى الى بث سياسته وأفكاره النورية فى كل ارجاء الوطن العربى لدرجة انه هز بعنف وقوة عروش الملوك وكراسى الحكم للرؤساء والأمراء فى المنطقة .

واشدت حملة مصر الاعلامية ضد الغرب وسياسته فى المنطقة العربية، وتردد حدى خطب عبد الناصر الحماسية فى ارجاء

الوطن العربى الذى كان حلقة من حلقات الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، وحاول الغرب الضغط على دوله بهدف تكوين حلف دفاعى ضد تسرب الخطر الشيوعى اليه ، واشتدت حملة عبد الناصر الاعلامية ضد حلف بغداد ومؤيديه ، وتجاوبت معه الشعوب العربية ، الى ان أمكنه واد حلف بغداد فى المنطقة .

وآثر عبد الناصر ان يسعى الى تحرير العالم العربى من بقايا الاستعمار الاوروبى الذى مايزال متركزا فى بلاد المغرب العربى وله قواعد وجيوب فى المشرق العربى .

وازاء المد الثورى الناصرى ، وتردد صدهاء فى أرجاء الوطن العربى ، جاءت سوريا — على استحياء — تطرق أبواب مصر لتحتفى بها من تلك الأخطار التى تحدق بها من ناحية العراق وتركيا واسرائيل ، وعرض الرئيس « شمسكرى القوتلى » قيام وحدة فيدرالية بين مصر وسوريا فوراً ودون أرجاء .

وتلقف عبد الناصر هذا العرض الذى يتفق مع منهجه وهدفه وأيديولوجيته الثورية . وقبل العرض دون تمحيص كاف ودراسة مستفيضة ، اذ قفزت الى ذهنه سياسة صلاح الدين الايوبى محرر بيت المقدس من يد الصليبيين عام ١١٨٧ .

وحقيقة الامر ان المؤلف لا يسعى الى كتابة تاريخ هذه الفترة الزاخرة بالأحداث ، انما هدفه هو نشر الثقافة التاريخية بين القراء والمثقفين عن فترة « عبد الناصر والحرب العربية الباردة » منذ قيام الوحدة بين مصر وسوريا حتى رحيل عبد الناصر فى عام ١٩٧٠ الذى يعد محورا الأحداث ومحركها فى المنطقة .

ولم يهدأ بال الغرب ، اذ سرعان ما دبر حادث الانفصال علم ١٩٦١ ، واشتد أوار الحملة الاعلامية التي شنتها عبد الناصر على الغرب وأعوانه في المنطقة ، اذ كان الغرب ينظر الى شخص عبد الناصر على أنه «هتلر الشرق» وأنه لا منجاة من أعماله وشروره الا بالقضاء عليه شخصيا ، وراحت أمريكا تحاول انهاء مصر من الداخل ، وذلك بتأليب العرب عليه ، وخلق المشاكل في دول العالم العربي ، وراح عبد الناصر يلتهت وراء ملاحقة الاحداث مما انهك الاقتصاد القومي ، وبدد قوى شعبه وحمل قواته المسلحة فوق طاقتها ، وأرسلها هنا وهناك لتدافع عن مبادئه وطموحاته .

وفي غسطس عام ١٩٦٣ حدثت عدة انقلابات في كل من سوريا والعراق ، وتقاطرت الوفود تطرق أبواب مصر مرة ثانية تحاول التكبر عن غلظتها الاولى بالانفصال ، وتطلب قيام وحدة عربية ثلاثية مرة ثانية دون ارجاء ، وراح عبد الناصر يحاسب زعماء سوريا السابقين على طعنهم الدامية له من الخلف — على حين غفلة — بانفصالهم عام ١٩٦١ .

وخلاصة القول انه لم تتم الوحدة بين الدول الثلاث ، اذ كانت سياسة عبد الناصر في هذه الفترة : هي وحدة الهدف .. قبل وحدة الصف ..

وقال عبد الناصر لهذه الوفود : « اني لست في عجلة من أمري ، ومن الواجب عليكم أن تثريثوا قليلا حتى أحصل على اجابة تامة .. وتصفة الموقف عن الماضي .. » .

وعاش العالم العربي في خلخلة داخلية نتيجة تدمير الشعوب من حكايها ، وسارع الغرب — وسعد غموض دولي — بتفجير المنطقة

العربية صبيحة يوم ٥ يونية عام ١٩٦٧ ، وحدثت المواجهة العسكرية بين مصر واسرائيل على حين غفلة ، ونتيجة تأثر دولى واسع النطاق مازال محل بحث المؤرخين ونحدرساتهم ، وكانت النتيجة هزيمة عسكرية ماحقة لمصر ودول الجوار لاسرائيل .

وبرغم هذا بقى عبد الناصر — فى موقعه — صامدا ومعلنا العمل على ازالة آثار العدوان وأنه « لا صلح ولا تفاوض ولا سلام مع اسرائيل » ثم بدأت مرحلة حرب ساخنة على الجبهة المصرية ، وهى المعروفة بحرب الاستنزاف ، وشهد العالم العربى كذلك أحداث الأردن فى سبتمبر ١٩٧٠ ضد الفلسطينيين وفى هذه الأثناء رحل عبد الناصر فى ١٩٧٠/٩/٢٨ ، وخمدت الأحداث لحين من الزمن فى الوطن العربى .

ومن سخریات القدر ان عبد الناصر بسبب حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وما تمخض عنها ، سعى الى تشكيل تنظيم الضمابط الأحرار ، وقام بالثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وبسبب ما تعرض له الشعب الفلسطينى من مذبحاة مروعة على يد الملك حسين فى سبتمبر ١٩٧٠ دعا الى عقد المؤتمر العربى ، برغم تحذير الأطباء له بالراحة والابتعاد عن المشاكل التى تؤدى الى الانفعال النفسى والضغط العصبى مما أدى الى تعرضه — عبد الناصر — عقب انتهاء أعمال هذا المؤتمر لازمة قلبية راح ضحبتها ، ومن ثم يمكن القول بأن عبد الناصر بدأ حياته بقضية فلسطين وأنهى حياته بها .

والكتاب فى جملة يتعرض لمرحلة تزخر بالأحداث والمواقف الساخنة ، نتيجة للحد السورى الناصرى فى أرجاء الوطن العربى ، وهذه الفترة برغم ما كتب عنها فانها تحتاج الى بحث متأن بعيد عن العواطف وبشكل محايد تماما .

ونظرا للفائدة الكبيرة التي يضيفها هذا البحث للمكتبة العربية،
ولتاريخ مصر المعاصر خاصة ، رأى الأستاذ الدكتور عبد العظيم
رمضان أن أقوم بترجمة هذا البحث لتزويد سلسلة تاريخ
المصريين به ، التي بشرف عليها .

ولا يسعني الا أن أقدم جزيل شكرى الى الصديقين : الدكتور
حسنى مبارك والأستاذ أحمد الشوربجى ، لما قدماه من مساعدة
وعون فى نقل هذا البحث الى اللغة العربية .

والله ولى التوفيق .

د . عبد الرؤوف أحمد عمرو

مقدمة المؤلف

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٦٥ ، تضم
الفصول الخمسة الأولى بعنوان « عبد الناصر والحرب العربية
الباردة ١٩٥٨/١٩٦٤ » : « دراسة في الأيديولوجية السياسية » .

وفي الطبعة الثانية أضفت الفصل السادس الذى يتناول
الفترة الى ١٩٦٧ مع اضافة تذييل يسيط يوضح للقارىء جانباً مهماً
يتعلق بالأوضاع فى سلاح الطيران المصرى .

أما فى الطبعة الثالثة التى صدرت فى عام ١٩٧١ فقد أضفت
الفصل السابع متضمناً الفترة من حرب يونية ١٩٦٧ ، حتى وفاة
عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٧٠ ، وقد أزال اختفاء
عبد الناصر — كشخصية رئيسية فى صنع الأحداث وتحريكها —
العنصر الرئيسى فى هذا البحث الذى كان هو محوره الأساسى .

وما يثير الدهشة والغرابة ، أن السياسة العربية منذ حرب
يونية ١٩٦٧ كانت مثار السخرية ، وجدير بالذكر أن غالبية العرب
فى الماضى كانوا يرفضون اتخاذ المواقف الخطيرة والحادة ، ومن

ثم فقد كانت نفوسهم تنقسم بالهدوء والاستقرار والرضا ، أما في الوقت الحاضر فإن كل مواقفهم تنقسم بالتعصب الشديد حتى في أبسط المواقف كما تلاحظه الآن في لعبة الكرة بين الأهلى والزمالك (*) .

ومن ثم فإن حرب يونية كانت أشبه بمباراة الكرة التي كانت ضد فريق نوردام Notre Dame ، وحقيقة هذه ملاحظة يجب أن يعيها المشتغلون بالسياسة . وعلى الرغم من السنوات الطويلة التي عشتها في العالم العربى ، وكثرة أصدقائى به ، بالإضافة الى ذكرياتى الحافلة عن هذا العالم ، فانى لا أسنحى من هذا التشبيه السالف الذكر .

ولم يكن هدفى من تأليف هذا الكتاب هو كتابة « تاريخ هذه الفترة الزمنية الزاخرة بالأحداث » إنما كان الهدف هو نشر الثقافة العامة بين القراء عن الأيديولوجيات والتبارات السياسية فى العالم العربى ، وكذلك عن سياسة عبد الناصر التي تركزت حول القومية العربية خلال هذه الفترة الزمنية ، فكثير من الأحداث قد اتضح هدفه ومغزاه ، وأن كان بعضها مازال يدعو الى الفكر والقامل .

والكتاب يعتمد بالدرجة الأولى على مجموعة من الوثائق العربية والفريية . هذا بالإضافة الى ما تم نشره فى الصحف ، وما أذيع فى برامج الاذاعات الفريية أيضا ، بجانب اجراء العديد من اللقاءات مع بعض الشخصيات ، وكذلك مناقشات سياسية مع بعض المسئولين .

(*) صرح جمال عبد الناصر بعد شهود من حرب يونية ١٩٦٧ بقوله :
« اننا نسعى الى صرف اهتمام الشباب الى الحماسة والتعصب للكرة وسماح افانى أم كلثوم » .

والكتاب يعتمد أساسا على السياسة السامة التي كانت تجرى
فى كل من : واشنطن ولندن وموسكو والقاهرة وقل أبيب .

وسوف يلجس القراء بأنفسهم الاشارة الى مصدر الخبر فى
الهامش سواء فيما يتعلق بالسياسة العربية او الاسرائيلية فى كل
فصول الكتاب .

ولكى نفهم كنه السياسة العربية يجب ان نعترف صراحة أن
العرب يواجهون الأزمات والمشاكل التي تمس حياتهم بمقدرة
ديناميكية هائلة حتى ان سياستهم الخارجية وكل ما يحيط بالعالم
العربي من آراء وأفكار فى عالمهم وفيما يتعلق برؤية مستقبلهم
أصبح أمرا ضروريا .

وفكرت فى عمل دراسة عن بعض الدول الأخرى ، وطبقا
لهذه الرؤية فانها تنقسم الى : الدول الثورية ، والدول المحافظة على
طابعها دون تغيير ، وأيضا الدول المناهضة للهد الثورى الذى
يجتاح العالم العربى ، ولكن هذه وجهة نظر جانبية ، خاصة اننى
أسوقها لوقت كان فيه العالم العربى يرحح القول على الفعل .

وقد حاولت فى هذا الكتاب توضيح علاقة عبد الناصر
بزملائه الثوريين ، وهى علاقة يشوبها الغموض ، ولكن سوف
يلاحظ القارئ فى تناولنا لهذا الموضوع اهتماما خاصا .

ولقد استقيت المادة العلمية الوثائقية التي جاءت بالكتاب من
بعض الشخصيات السياسية التي أجريت معها أحاديث مطولة ،
ومن هؤلاء : الجنرال لؤى الأتاسى ، والكولونيل قاسم علوان ، وكذلك
أكرم الديرى ، وصالح الدين البيطار ، ونزيه الحكيم ، وهانى
الهندي ، ومحسن ابراهيم والشيخ محمد ، وعلى الجابرى وانور

الخطيب وجبران ماجدلاني وكاميل المسروى وموسى نظير وأنور
نسيبة ونهاد القاسم ، وطالب الحسيني وطالب حسين شسجيب
وقدرى طوقان ،

بالإضافة الى هذا فاني فضلت أن أناقش المسائل السياسية
مع بعض أصدقائي المطلعين على كثير من دقائق الأمور بها لا يتسع
المجال لذكره في هذا المقام .

المؤلف

مالكولم كير

الفصل الأول

التجربة والخطأ — الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨ — ١٩٧٠

- ١ — مناهضة الاستعمار
- ٢ — التحول الاجتماعي
- ٣ — حزب البعث السوري والشيوعية
- ٤ — وحدة مصر وسوريا
- ٥ — مصر والعالم العربي
- ٦ — تغيير في الخطط
- ٧ — الانفصال السوري
- ٨ — الأسباب الضمنية

من المعروف أن يقبل أى انسان فكرة انفصال لبنان عن
دمشق ، إذن فما وجه الفجأة فى حادث انفصال دمشق عن
القاهرة ؟

أحمد بهاء الدين - أخبار اليوم فى ١٦/٥/١٩٦٢

* * *

منذ اعلان الحرب العالمية الثانية ، فان الراى السياسى العام
السائد فى العالم العربى ، أن ثمة جريمة ارتكبت فى حق الوحدة
العربية . وفى الوقت الذى اشتد فيه التنافس والتسلط بين
الأحزاب السياسية ، كانت فكرة الوحدة العربية ، فكرة جيدة
يتحمس لها العرب بشعور قوى ، يفوق وحدة دول أمريكا اللاتينية ،
واتحاد الكومنولث . ومن ثم فلا الدول العربية ولا الدول الغربية
عندهم الاقتناع الكافى لشرح وجهات نظرهم ازاء هذا الموضوع .

ولكنى أحب أن أوضح أن الهدف والمنهج هو دراسة بعض
الوقائع والاحداث خلال السنوات المحدودة ، منذ اعلان الوحدة
بين مصر وسوريا تحت اسم « الجمهورية العربية المتحدة » فى
فبراير ١٩٥٨ حتى وفاة الرئيس عبد الناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ ،
علما بأن محور الدراسة يدور حول التنافس بين الزعماء والقادة
العرب ، مثل زعماء حزبى البعث السورى والعراقى باعتبارهم من
القيادات النورية زهلاء عبد الناصر ، أو قيادات المنظمات
الفلسطينية .

وتقوم فكرة هذه الوحدة على محورين أساسيين :

● الأول : مناهضة الاستعمار والنضال له .

● الثاني : الثورة الاجتماعية ، والتحول الاجتماعي .

ولكل من المحورين نصيب وافر من الدراسة .

١ - مناهضة الاستعمار :

ان عداء الشرق للغرب شعور جوهرى وأساسى ، يرجع فى جوهره الى تصدى الغرب للقومية العربية حتى عام ١٩٥٨ ، فمن المعروف ان القوى الأبركية والانجليزية كانت تناهض بشدة أى قوى سياسية فى العالم العربى تعمل لتحقيق القومية العربية ، ويتضح هذا من تدمير أو بمعنى أدق وأد الوحدة العربية : المصرية السورية ، ثم بلى ذلك التدخل فى شئون ثورة العراق ، وأخيرا الحرب الأهلية اللبنانية .

ومنذ عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٨ بدأ (أولا إنجلترا وفرنسا ثم فى مرحلة تالية كانت إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية) التدخل فى شئون مصر وسوريا والعراق والأردن ولبنان والعربية السعودية .

ان القومية العربية لم يصادفها التوفيق والنجاح فى كثير من المواقف ، وفى بعض الأحيان كانت سياستهم تأتى بنتيجة عكسية خاصة ان العرب كان يعترکہم الشعور بالذنب مؤخرا .

أما عن موقف الاتحاد السوفيتى فمنذ عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٥٨ كان موقفه يتسم بالنشاط والحبوبة ، ويلقى بكل ثقله الى جانب حكومتى مصر وسوريا ، وأخيرا مساندة الثورة فى العراق ،

ويحاول تدعيم موقفه مع هذه الدول في كل المجالات ويحاول أن يتصدى لسياسة إنجلترا وأمريكا في هذه المنطقة من العالم ، ولاشك أن مناهضة أمريكا وإنجلترا للوحدة العربية بصفة عامة ، ولقيام الجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة ، موضوع خارج عن نطاق البحث هنا .

ويكفي أن نشير هنا إلى أن سوريا كانت محور الأحداث في منطقة العالم العربي قبل إعلان الوحدة مع مصر ، وفي نفس الوقت كانت مصر والعراق أبطل الموقف في العالم العربي أيضا .

وجدير بالذكر أن فكرة الوحدة العربية كانت مصر تسمى إليها قبل إعلان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وإن جاءت مبادئ الثورة — في بادئ الأمر — خالية تماما من أي مضمون عن الوحدة العربية ، إنما كانت فكرة الوحدة العربية تضرب جذورها في أعماق الماضي حينما كان حكام وادي النيل ، وكذلك حكام منطقة الهلال الخصيب يفرضون آراءهم وأفكارهم على وجدان العالم العربي ، وكانت آخر مراحل القومية العربية تلك التي ظهرت إلى حيز الوجود أثناء الحرب العالمية الثانية في وقت كانت فيه فرنسا تفرض نفوذها على منطقة الشام ، ومن ثم اشتدت حماسة سوريا لذلك عتب حصولها على الاستقلال عام ١٩٤٦ ، وحذت حذوها بقية الدول العربية التي نالت استقلالها بعد ذلك ، وإن كانت أولى مراحل القومية العربية قد بدأت أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكانت الفكرة تنبع من العراق متمثلة في حماسة قياداتها السياسية وولي العهد ، وكذلك الوصي على العرش عبد الله ، بالإضافة إلى حماسة رئيس الوزراء نوري السعيد ، وهؤلاء كانوا يؤكدون بين حين وآخر بحتمية اتحاد سوريا مع العراق تحت التاج الهاشمي أو تحت أي شعار من شعارات الوحدة ، في حين كانت مصر تناهض بشدة

مثل هذا الاتحاد ، وتتاركتها السعودية هذا الاتجاه ، اذ مثل هذا الاتحاد سيعرض حصارا على الحدود الشمالية للسعودية .

ومما لاشك فيه ان علاقات دول المنطقة في الشرق الأوسط ببريطانيا كانت سيئة ، في وقت سعت فيه مصر لانهاء علاقة التحالف مع بريطانيا ، الامر الذي دعا بريطانيا الى زياده ارتباطها بالعراق والعمل على تنمية مصالحها به ، وفي نفس الوقت كانت بريطانيا ترى ان مستقبلها مرتين بزيادة ارتباطها بسوريا ، في الوقت نفسه كانت مصر تقاوم السياسة العراقية في المنطقة ، وكذلك تغفل النفوذ الفرنسي حتى عام ١٩٥٦ في وقت كانت فيه المصالح الفرنسية في مجالات الزراعة والسياسة باتزال قائمة في سوريا حتى بعد حصولها على الاستقلال ، وان العرب لا ينسبون لبريطانيا انها السبب في تمزيق وحدة العرب اثناء الحرب العالمية الاولى .

وبرغم هذا فان سوريا ترتبط بفرنسا من خلال العديد من المصالح المشتركة ، بينما كانت انجلترا ترتبط مع كل من مصر والعربية السعودية والعراق من خلال العديد من المصالح المشتركة والتيارات السياسية التي بموجبها هذه الدول .

٣٠١٤

ومنذ عام ١٩٥٥ بدأت التوازنات الدولية في المنطقة تتغير ، اذ أصبح التنافس في المنطقة مقصورا على كل من : الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت العراق تنافس السياسة السورية وتخلق معها الكثير من المشاكل والقضايا ، وقد كان الفكر الجمهوري في سوريا قويا في ذلك الوقت . وكثير من العرب مقتنعون (خاصة الجيل الجديد الذي تأثر بالنيارات والأفكار السياسية التي سادت المنطقة عقب الحرب

العالمية الثانية) بأن السياسة الانجليزية لا تقل عن السياسة الفرنسية كرها وبغضها ، وقد تذكروا أن عبد الله ونوري السعيد ومعاوية قد ظهروا في أفق السياسة العراقية إبان أحداث الحرب العالمية الثانية ١٩٤١ وكل ما فعلوه أنهم وجهوا اللوم إلى صديقتهم بريطانيا نتيجة لما لحق بالعرب على يدها في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، تلك الحرب التي تركت أثرا عميقا في نفوسهم .

وكان جل الخوف من حدوث اتحاد بين العراق وسوريا ، إذ في هذه الحالة سوف ترتبط سوريا بالقوى الامبريالية ، الأمر الذي سيترك بصماته بشكل جذري على الوحدة العربية لمدى غير قصير ، ومنذ ذلك تعاون بين بريطانيا والبيت الهاشمي الملكي على قيام اتحاد هاشمي والمساعدة تبذل من أجل ضم كل من : العراق وسوريا والأردن .

ولكن مصر -- أقوى وأكبر الدول العربية -- كانت تمنع بشدة قيام مثل هذا الاتحاد في وقت لم يكن هناك تنسيق تام فيه بين كل من مصر وسوريا ، وظل الوضع في هذا الإطار حتى عام ١٩٥٥ حينما برز إلى أفق السياسة العربية عبد الناصر كزعيم للقومية العربية في وقت كان قد تمكن فيه من إجبار القوات البريطانية المحتلة لمصر أن تأخذ عساها وترحل إلى غير رجعة .

وهذا عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٥٧ أحاطت بسوريا عدة أخطار كانت سوف تدفع بها إلى أحد خيارين :

— استمرار سلسلة الانقلابات العسكرية حيث كانت هذه الانقلابات هي السمة التي اتسمت بها هذه الفترة بدءا بانقلاب عام ١٩٤٩ ثم انقلاب عام ١٩٥٤ .

— والخيار الثاني هو حدوث صراع حضاري (انجليزي في العراق وفرنسي في سوريا) إلى أن تتفوق كفة على أخرى . وفي

نفس الوقت كانت سوريا تروج بالتبarrات السياسية المدنية التي كان لها علاقة وثيقة بالقوات المسلحة السورية . وهذه القوى السياسية كانت تشجع القوات العسكرية للتدخل لمساعدتها والوقوف معها تماما كما حدث في كثير من البلاد العربية وكانت الدول الأجنبية تساندها ، وبهذا تتحقق القومية السورية (١) .

ومنذ بداية مرحلة الخمسينات جرت عدة محاولات من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من أجل تدعيم نفوذهما في المنطقة ، وقد تركزت سياستهما حول سوريا ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ، وكما منبت هذه السياسة بالفشل في سوريا ، ناعت كذلك في كثير من الدول العربية . وفي عام ١٩٥١ جاء الاقتراح الذي يقضى بأن يكون اتحاد كامل من : إنجلترا وفرنسا وأمريكا وتركيا ومصر في حلف دفاعي عن منطقة الشرق الأوسط ، وفي نفس الوقت ترك الباب مفتوحا أمام كل من العراق وسوريا ودول أخرى في المنطقة للانضمام الى هذا الحلف الدفاعي الجديد .

وكان الغشل الذريع مصر هذا الاقتراح حينما رفضته مصر وتصدت له ، وفي عام ١٩٥٥ تقدمت كل من : بريطانيا والعراق وتركيا وإيران وباكستان لانشاء ما عرف « بحلف بغداد » بهدف الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط وواضح أن هذا التحالف قائم بالدرجة الأولى لحماية مصالح إنجلترا في المنطقة وهو تحالف عسكري بحت .

وقد تحمس النظام العراقي الحاكم لهذا المشروع مما شجع بريطانيا على المضي فيه ، ولكن العراق فوجيء بمعارضة قوية من

(١) لزيد في التفصيلات حول هذا الموضوع انظر : ساتريك سيال Patrick Seal الصراع الداخلي في سوريا عام ١٩٦٢ .

جانب الدول العربية في الوقت الذي كانت فيه العراق وإنجلترا تسعيان إلى ضم كل من سوريا والأردن لهذا التحالف ، ولكن مصر تصدت بعنف لهذه المحاولة أيضا .

ولكن جماعة الانقلاب العسكري في سوريا عام ١٩٥٢ بقيادة « أدبب الشبشيكي » لم يتمكنوا من الصمود أمام القوى المدنية الثورية ، ومرة أخرى ظهرت في الأفق فكرة الاتحاد الهاشمي بهدف ضم سوريا إليه . ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع . . كان حلف بغداد يواجه معارضة شديدة من القاهرة وتوجه تحذيرات إلى كل من الأردن ولبنان وسوريا .

وقد حاولت جبهة مصر والسعودية انقاذ سوريا من هذا المازق بتأييد من الاتحاد السوفيتي ، حتى أن سوريا قد وقعت مع مصر على معاهدة دفاع مشترك قبل نهاية عام ١٩٥٥ .

وكان موقف الأحزاب السياسية في سوريا الموالية لسياسة المشرق وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، قد قضى عليه بنشوب أزمة السويس ، ومن ثم فقد ظهر في أفق السياسة العالمية وجه جديد هو الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور D. Eisenhower . ومنذ روع قراره بملء الفراغ في منطقة الشرق الأوسط ١٩٥٧ ، حيث أعلنت الولايات المتحدة عن نظام جديد لدفع الخطر الشيوعي المتوقع حدوثه عن منطقة المشرق الأوسط .

وكان من أهم أحداث الساعة في منطقة المشرق الأوسط التصدي لخطر الشيوعية العالمية ، وقد أبدت حكومات كل من : لبنان والأردن والعربية السعودية رغبتها في التحالف مع الاتحاد الذي تم بين القاهرة ودمشق باعتبار أن باب العضوية ترك مفتوحا

من بشاء الاشتراك في منادضة الشيوعية العالمية بمنطقة الشرق الأوسط ، وكانت هذه الدول - في واقع الأمر - مرتبطة بالتسليح الأمريكي ، وكذلك بالدولار الأمريكي أيضا . كما أن أنظمة حكم هذه الدول تدفع الثمن غالبا . ولاشك أن هذا مهد الطريق للحملة العسكرية التي قامت بالتدخل في شؤون لبنان في بداية شهر مايو ١٩٥٨ ، وكذلك حدوث انقلاب عسكري بعد ذلك بثلاثة أشهر في العراق في وقت كانت فيه سوريا ضحية لهذا التطويق الذي أحاط بها .

في شهر سبتمبر عام ١٩٥٧ رأت الدوائر الأمريكية الرسمية أن سوريا تنزلق نحو الشيوعية بل تشجع تركها على توحيد الجيشين في البلدين ، ووضعها على حدود سوريا الشمالية ، وانتهزت مصر وروسيا هذه الفرصة لكسب هذه الجولة لصالحها وكانت ضربة في الصميم للغرب ومصالحه الاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة . ولكن سوريا كانت كبش الفداء لكل من مصر والاتحاد السوفيتي لكسر قيود العزلة المفروضة من قبل الغرب .

وبهذا يمت سوريا وجهها ناحية الشرق - ما في ذلك شك - وذلك باتحادها مع مصر في فبراير عام ١٩٥٨ ، وبهذه الخطوة أنهت سوريا الضغوط التي كانت ماثلة من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والعراق (وأطراف أخرى) وكذلك الاتحاد السوفيتي ، كما أنهت سوريا مشاكلها الداخلية .

ولا شك أن الثورة العراقية في يوليو عام ١٩٥٨ هزت مركز بريطانيا بعنف في منطقة الشرق الأوسط ، وأن نزول القوات الأمريكية والبريطانية في لبنان والأردن كان بهدف حماية النظم

الحاكمة من الاطاحة بها . وهذا أقصى جهد كان بإمكان الغرب أن يبذله من أجل المحافظة على الأوضاع الداخلية وجعلها هادئة مستقرة ، ومنذ عام ١٩٥٩ فصاعداً فإن النشوء الخارجية للدول العربية — باستثناء الأحوال الداخلية — أصبحت أسيرة العالم الغربي .

٢ - التحول الاجتماعي :

تزايدت الحماسة العربية للوحدة العربية عقب اعلانها في عام ١٩٥٨ ، ومن ثم أصبح الشعور بحتية التحول الاجتماعي أمراً ضرورياً لمناهضة الاستعمار ، فقد كانت هذه هي السمة السائدة في السياسة العربية ، وفي تصريحات المسؤولين . ولم يكن هناك ثمة تفريق بين مناهضة الاستعمار الذي ارتفعت حدته منذ عام ١٩٥٨ ، وما كان سائداً قبل هذا التاريخ بوقت قصير . وهذه المعارضة الحادة كانت واضحة في برامج تلك الأحزاب الراديكالية ، وأصبح يسود العالم العربي تأكيد منقطع النظر للوحدة العربية في عام ١٩٥٨ ، وثورة العراق التي أعقبت ذلك .

وفي المقابل ارتفعت حدة المعارضة للشعور القومي كرد فعل من قبل القوى القائمة منذ زمن بعيد والمتمثلة في تلك الحكومات التي تسيطر عليها قلة من الاقطاعيين والراسماليين ، وتلك الأحزاب التي تخدم هذه الفئات ، وقد وجدت هذه القوى أن من الأفضل الابقاء على العالم العربي منقسماً على نفسه ، وذلك باستمرار تحالفها مع القوى الاستعمارية ، وهو الأمر الذي كان مؤداه انتكاساً خطراً للتضامن فيما بعد .

وفى ظل هذا الاتحاد الجديد الذى تم بين مصر وسوريا كانت
افكار التحول الاجتماعى مسمدة من شخصية الرئيس جمال
عبد الناصر ، وكذلك حزب البعث العربى السورى ، ولكن
أيديولوجية هذه القوى لم تكن واضحة تماماً فى رؤيتها لضرورة
التخلص من الاستعمار الذى كان بمثابة قوى أجنبية تتحكم فى
مقدرات العالم العربى او فى سياسته الخارجية . هذا الى جانب
وجود انسجام بين القوى الكبرى والعالم العربى بصفة عامة من
الناحية الاجتماعية والسياسية ، وكذلك النظم الاقتصادية .
فلكل دولة سياستها الاقتصادية الخاصة بها اذ ان كلتا القوتين تعتقد
ان ثمة توافقاً بين القوتين المؤثرتين : شخصية جمال عبد الناصر
وحزب البعث السورى ، وان هناك شبه تطابق تام بين وجهتى
نظريتهما ، وذلك على الرغم من أن كليهما قد نظر الى حادث الاتحاد
بين مصر وسوريا من منظور مختلف عن الآخر .

لقد حرص جمال عبد الناصر على رفع شأن القوى العسكرية،
هو ورفاقه من الضباط العاملين فى الجيش المصرى منذ أواخر
الثلاثينات ، وقد أتاح لهم هذا التعرف على مشاكل مصر عن قرب ،
كما تزايد لديهم الشعور بالمسؤولية بحتمية التخلص من كل هذه
المشاكل الداخلية بروح وطنية مفرطة ، نتيجة لمبادئهم المتأصلة
فى نفوسهم ، منذ زمن بعيد ، لذا فانهم كانوا ضد نقشى الرشوة ،
والعمل على رفع الظلم الاجتماعى ، هذا بالإضافة الى مناهضة
الاستعمار ، ومن ثم فقد كانوا يرون ضرورة تطهير الدولة من
الفساد وتقوية الجيش المصرى ، وتدعيم الاقتصاد الوطنى المنهار ،
والعمل على رفع مستوى المعيشة للشعب ، وفى وقت لاحق
كان الضباط الأحرار يرون ضرورة اقامة حياة ديمقراطية اذ
أنهم لا يتقنون فى تلك الأحزاب السياسية القائمة فى مصر ، وهذه
الاجراءات ليست لاي اعتبار آخر ، الا بسبب فساد هذه

الأحزاب السياسية القائمة من قبل اعلان الثورة ، والتي كانت أداة
فى يد حكومات الأقلية ، والعوية فى أيديهم ، وعلى هذا فقد رأوا
حتمية حل هذه الأحزاب واثاحة الفرصة أمام قوى الشعب لبناء
تنظيم سسياسى جديد ممثل فى « هيئة التحرير » كما أنهم رأوا
ضروره تغيير هذا التنظيم السياسى بعد عام ١٩٥٦ ، اذا كانوا
يرون ضرورة حكم الدولة بأسلوب ديكتاتورى ومن خلال مجلس قيادة
الثورة الذى يضم اثنى عشر ضابطا ومجموعة أخرى من ضباط
الجيش .

وعندما تمت الوحده مع سسوريا تكونت مجموعة عمل من
القيادات المصرية لبدء تجربة الحياة النيابية الدستورية ، ومن ثم
فقد تم تشكيل برلمان نيابى بدقة بالغة من خلال انتخابات تشسرف
عليها الحكومة ، وكانت الخطوه الأولى التى تم اتخاذها لخلق
ما تعارفوا على تسميته « بالاتحاد القومى » والمثل فيه كل قوى
الشعب العاملة التى وجدت بمصر فى نهاية فترة الخمسينات ، وقد
اتخذت قرارات ارتجالية غاية فى الخطورة ، كذلك رأت قيادة الضباط
اصدار قرار بتشكوين الاتحاد القومى من الفلاحين والعمال والمنقذين
وقوى أخرى وضعت فى الاعتبار ، كل هذا من أجل كسب القاعدة
العريضة من الفلاحين والعمال لتأييد سياستهم .

كما أناح العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ الفرصة
لتمصير الشركات التجارية الأجنبية العاملة فى مصر ، اذ وجد
النظام المصرى نفسه مضطرا لتمصير العديد من الشركات التجارية
والصناعية المملوكة لانبجترا وفرنسا ، واعتبرت هذه هذه الخطوة
الأولى من قرارات التأميم التى اتخذت فى يوليو عام ١٩٦١ .

باختصار كانت نظرية عبد الناصر عن عملية انفصال سوريا
عام ١٩٦١ - التى من أجلها أنشأ « الاتحاد الاشتراكى » - بعيدة

عن الواقع ، في وقت كان فيه الاتحاد القومي مايزال قائما . وهذا الفشل يرجع بالدرجة الأولى الى نخبط الضسباط الأحرار وعدم خبرتهم خلال السنوات الخمس السابقة لنشأة الاتحاد القومي ، هذا بالإضافة الى الصعوبات التي صادفتهم في التطبيق ، وقد أدركوا يقينا عدم تحقيق الأهداف المرجوة منه ، هذا بالإضافة الى اقحام وجهة النظر الشخصية في نسبر الأمور بالدولة واتخاذ القرارات الارتجالية بغض النظر عن النتائج التي سوف تتمخض عنها .



٣ - حزب البعث السسوري والشسيعوية :

ان حزب البعث هو الذي دفع سوريا الى اقامة اتحاد اندماجي مع مصر ، ففي شهر ديسمبر عام ١٩٥٢ تم اندماج الحزبين (البعث والشسيعوى) بشكل متميز . أحدهما هو حزب البعث الذي كان قد نأسس في وقت مبكر على يد طالبين سوريين كانا يتعلمان في باريس وهما : صلاح الدين البيطار ، وميشيل عفلق .

والشخصية الثانية هي التي أضفت على الحزب سمة التميز والانتشار سواء كان هذا من خلال مطبوعاته أو مقالاته أو محاضراته ومؤلفاته ، وما يلفت النظر أن ميشل عفلق وصلاح الدين البيطار كانت لهما علاقة من بعيد بالمنظمة الشسيعوية في باريس ، ثم انكراها قبل تحولهما الى القومية العربية ، وان كانت الأفكار الشسيعوية قد علقت بأرائهما ليس فقط فيما يتعلق بالمبادئ الشسيعوية ، ولكن في ميلهما الى النظريات الكلاسيكية ، وان كان هذا الميل بمثابة مؤشر لمبادئ جديدة في عالم السياسة .

ومن أجل تحقيق القومية العربية يتطلب الأمر تحقيق : الحرية والوحدة والاشتراكية . وهذه المبادئ يجب أن تنال كل تقدير

واهتمام ، وفى واقع الأمر ان تحقيق القومية العربية لا يتوقفت على تحقيق هذه المبادئ فقط ، انما أكثر من هذا القيام بنهضة خلاقة على أسس سليمة ، ومن ثم فان حزب البعث هو باعث النهضة ، وربما يكون ميشيل عفلق - المسيحى الأصل - لعب دورا غامضا فى الخفاء لنشر هذه الأفكار .

والفكرة الأخرى لحزب الوحدة هي أن الحزب الاجتماعى الخاص بأكرم الحورانى يستند فى تدعيم أفكاره هذه على الجزء الشمالى من سوريا خاصة مدينة حماه . حيث أن عفلق كان مشهورا فضلا عن أنه يتمتع بشعبية كبيرة وحظ وتقدير لدى محبيه باعتباره أستاذا لهم فى حين كان أكرم الحورانى بمثابة مندوب سيسى بل يعتبر الدينامو المحرك للأحداث ، ورجل المواقف ، فقد سبق له أن عمل كثيرا مع قادة الأحزاب السياسية ، وذلك على الرغم من أنه لم ينل حظا كافيا من التعليم ، ولم يكن لديه أفكار ومبادئ ثابتة منظمة ، ومن ثم فقد كان أقل الأعضاء مشاركة مع عفلق والبيطار وأقلهم ثورية وان كان لا يقل عن الأعضاء مشاركة شعبية فى مدينة حماه . ومن هنا كان يقف موقف العداء من تلك الأسر ذات الأصول العربية فى حماه .

وكان أكرم الحورانى - بعد عام ١٩٥٢ - مع حزب البعث بكل العناصر الثورية فى القوات المسلحة . وهو الذى كان يبعث فى نفوسهم الأفكار والمبادئ الراديكالية والثورية خاصة أنهم كانوا من صغار الضباط . وبعد أن كان متعاوناً مع أديب الشيشكلى لفترة من الزمن ، اذا به يختلف معه فى عام ١٩٥٢ ويلجأ الى لبنان وهناك يعلن تأييده لميشيل عفلق والبيطار وبعض الضباط الذين تمكنوا من الاطاحة بأديب الشيشكلى فى عام ١٩٥٤ وكانوا أصدقاء لأكرم الحورانى خاصة الضابط مصطفى حمدون . فهذا الضابط

وغيره تمكنوا من التعاون مع الجناح المدنى لحزب البعث ، ومن ثم لعبوا دورا خطيرا فى يناير عام ١٩٥٨ عندما سافروا الى القاهرة والتفوا مع جمال عبد الناصر باسم الجيش السورى طالبين اعلان الوحدة مع مصر فورا وذلك انقاذا لسوريا من الضياع الذى يطبق عليها من كل جانب .

وعلى هذا فان حزب البعث سعتبر مسئولا مسئولية مزدوجة : مرة عن قيام الوحدة ، والاخرى عن حركة الانفصال فى عام ١٩٦١ ، وعلى أية حال فان هذه الشخصيات السورية — التى طلبت الوحدة مع مصر — بخلفية بشكل جوهرى عن فكر ونظام عبد الناصر فى ذلك الوقت ، وبرغم هذا فان أقل ما يقال كلمات تشيكر وتقدير لشخصيتى ميشيل عفلق والبيطار وللروح التى يتمتع بها أكرم الحورانى ، وان كان يعتبر غير متورط فى مثل هذا الموقف ، فهو يتزعم الجناح الاجتماعى الثورى الداعى للوحدة العربية ، وبالرغم من أنه عضو فى الحزب فهو فى نفس الوقت يعد عسكريا قبل كل شىء ، فهو لهذا شخص منظم ومثقف ثقافة عالية . وبالإضافة الى هذا لم يكن هذا الحزب مقصورا على سوريا فقط ، فقد كان لزعمائه فى سوريا قيادات سياسية فى لبنان والأردن والعراق وكان أعضاء حزب البعث ذوو الخبرة السياسية العميقة كانوا أعضاء فى البرلمان . حيث ان أكرم الحورانى كان عضوا برلمانيا منذ عام ١٩٤٣ ، وحيث حصل الحزب على ٢٢ مقعدا من ١٢٢ مقعدا فى انتخابات عام ١٩٥٤ ، ومن ثم أصبح كل من أكرم الحورانى ، وميشيل عفلق وزيرين فى وزارة ١٩٤٩/١٩٥٠ . وكان البيطار وزيرا للخارجية منذ عام ١٩٥٦ حتى قيام الوحدة مع مصر ، وفى عام ١٩٥٧ أصبح الحورانى المتحدث الرسمى باسم البرلمان باعتباره منسقا بين جميع الأحزاب البرلمانية خلال فترة الخمسينات . ومن هنا أصبح حزب البعث هو المهيمن على كل التيارات السياسية التى كانت تروج بها سوريا فى ذلك الوقت .

وعلى الرغم من تأثير حزب البعث خلال العامين الأخيرين
نان عفلق والبيطار — جناحى البعث — كانا الملاذ والملاجأ للقوات
المسلحة اذا ما خالجهما الارتياح وسوء الظن فى السياسة الخارجية
للدولة ، وما يدعو للسخرية أن كل هذه التيارات لم تكن واضحة
تماما لدى أعضاء مجلس قيادة الثورة فى مصر ، حيث أن حزب البعث
كان مستغرقا فى تياراته السياسية ، ومشتطا فى أفكاره ومبادئه
الاجتماعية طوال العامين الأخيرين قبل اعلان الوحدة مع مصر فى
عام ١٩٥٨ وكذلك الاغراق فى ردود الأفعال المترتبة على ذلك .
ومنذ عام ١٩٥٥ ، كانت السياسة الخارجية لسوريا متطابقة تماما مع
السياسة المصرية كحليفين للاتحاد السوفيتى ، وفى نفس الوقت
فإن كثيرا من القيادات السياسية فى الوزارة السورية بما فى ذلك
الرئيس شكرى القوتلى ، ورئيس الوزراء صبرى العسلى وايضا
خالد العظم نائب رئيس الوزراء كانوا جميعا من المدرسة السياسية
القديمة ، وقد حضر جلسة البرلمان عن الحزب الشيوعى خالد
بكداش فى وقت استمر فيه النظام الاقتصادى لسوريا يتمثل فى
الاقتصاد الحر ، وهو نفس النظام الذى ظل سائدا منذ الحرب
العالمية الثانية ، ولكن يثبذ عن هذه القاعدة رجل مثل خالد العظم ،
فهو ينتمى الى أعرق وأقدم العائلات المشهورة فى دمشق ، وهو
يمتلك مساحات شاسعة من الاراضى لدرجة أنه يعرف بلقب
« الباشا الأحمر » من قبل أصدقائه فى الاتحاد السوفيتى ، وهو
لذلك مشهور بمفاوضاته مع السلطات السوفيتية فيما يتعلق بطلب
المساعدات الاقتصادية ، وبالرغم من هذا فإنه مفاوض عنيد اذ يتمتع
بشخصية قوية ، ولهذا فلم يستمد قوته وشخصيته هذه بانتمائه
الى حزب البعث الشيوعى ، وما يتسم به من مناورات سياسية
خاصة فى أوساط القوات المسلحة بقدر ما يستمدّها من مساحاته
الشاسعة من أراضى دمشق .

وفي سبتمبر عام ١٩٥٧ انضم كذلك بعض الضباط مثل
عفيف البرزى - الضابط الشيوعي - وأصبح رئيسا للقوات
المسلحة ، هذا بالإضافة الى بعض الضباط المهيمنين ، الأعضاء في
الحزب الشيوعي البعثي أمثال الضابط عبد الحميد السراج الذي
يقسم بالذكاء ، وهو يرأس جناح الشبيبة بالجناح الراديكالي .
كما أنه يتفق معه كثيرا في وجهات نظره ، ومن هنا يعتبر صديقا
للحزب من خلال هذه الزاوية .

ومن المعروف أن منهج السياسة التقليدي في الوزارة كان
يتزايد باستمرار نتيجة ضغوط وممارسات الضباط من الناحية
الايدولوجية ، ولاشك أن التيارات السياسية التي تموج بها سوريا
منذ عام ١٩٥٤ ولمدة أربع سنوات تالية كان أهم سمات هذه الفترة
هي آراء وأفكار جماعة الإخوان المسلمين وكذلك الحزب القومي
السوري بجانب الحزب القديم المحافظ . كل هذه الأحزاب كانت
ترفض هذا الاتجاه لاعتبارات عديدة ، والحزب القومي الذي يمثله
شكري القوتلي ، وكذلك رئيس الوزراء صبري العسلي كانوا
يتفقون بل يعتمدون كثيرا على خالد العظم ، وبعضهم وخاصة
شكري القوتلي ما زالوا يستفيدون من الوضع الاستراتيجي من
معارضتهم لغربنا قبل الحصول على الاستقلال وكذلك رفضهم
الشديد لحلف بغداد ، وبختمية التعاون مع مصر ، ومن ثم فقد
أصبحوا من الشخصيات البارزة التي تتسم بالثورية وذلك باعتبار
أنهم من قدامى الشخصيات السياسية والسرجوازية ، وأيضا
باعتبارهم يتمتعون بعلاقات طيبة مع كل الأطراف مع مرونة سياسية
لدرجة أنهم أصبحوا هدفا لرساى الكاريكاتير الساخرين .

ويبدو أن الحكومة والجيش كانا يتحكمان في شئون
سوريا من خلال الحزب الشيوعي ، إذ انهما لا يستطيعان التحكم

بعد ذلك فى حزب البعث الذى سعى الى الاتحاد مع عبد الناصر من أجل أن يحول دون سيطرة الشيوعيين على زمام الموقف الحرج، ومن المستحيل أن يخشى حزب البعث ومن والأهم من الشيوعيين من ضغط المناهضين للغرب من تلك الدول المجاورة سواء فى الوقت الحاضر أو غيما بعد ، فان الشيوعيين سوف بتصرون بكل عنف من أجل المشاركة أو الاستلاء على السلطة ، ومن ثم فمن المستحيل مقاومة مثل هذا الاتجاه الذى يدعو الى التعاون مع القوى الغربية وأعوانهم فى منطقة الشرق الأوسط .

وعلى أية حال يبدو أن هذا الأمر فى نظر القاهرة — بالنسبة للوحدة مع سوريا — لابد أن يتم بالتفاهم والحوار وليس باستخدام العنف والضغط ، وهذا ما كانوا ينشدونه منذ سنوات مضت فإذا لم يتم قيام وحدة قوية ، فان المبادئ الثورية هذه سوف تتأثر بها كثير من الدول العربية (٢) .



٤ — اتحاد مصر وسوريا :

اتسمت فترة قيام الوحدة بين مصر وسوريا بشيء من الفوضى والتداخل وقد تبه لذلك عبد الناصر فى المحادثات التمهيدية لقيام الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ وكان عبد الناصر يرى أنه كان لابد من إيجاد قاعدة تقوم عليها هذه الوحدة ، وهذا الأمر يستغرق خمسة أعوام على الأقل أما إذا كان لابد فمن الضرورى

(٢) وامتدت المناقشات عن اللابسات والطروف التى يمكن أن تتم فيها الوحدة ، سوف يرد تفصيل ذلك تحت عنوان « صراع فى سوريا » فصل ١١ للمؤلف جورجى تورى ، والكتاب الآخر له بعنوان « السياسة السورية والجيش » ١٩٤٥ - ١٩٥٨ الصادر فى عام ١٩٦٤ .

وضع ضوابط وشروط على ألا تكون وحدة فيدرالية كما يريدونها بعض السوريين ، بل نريدها وحدة مركزية تحل معها جميع الأحزاب السياسية ، وقد وافق الوفد السوري على كل هذه الشروط .

ولم يكن لشكري القوتلي وصبري العسلي رئيس الوزراء دور فعال في المحادثات . حيث أن حزب البعث وانتصاره في القوات المسلحة نتوا خالد العظم وكذلك انتصاره من الشيوعيين ، إذ كانوا يعارضون مسألة الوحدة مع مصر بانفعال شديد ، وبطريقة مهذبة ، ولكن كانت معارضتهم ليس لها أدنى تأثير في مجرى الأحداث .

وبعد أن تم التصديق على قيام الوحدة في ٢٢ فبراير عام ١٩٥٨ (*) منح شكري القوتلي لقباً شرفياً « المواطن الأول » من « الجمهورية العربية المتحدة » وأصبح صبري العسلي نائب الرئيس جمال عبد الناصر في القاهرة ، في حين تراجع خالد العظم عن السياسة بصفة عامة ، كما اختفى الشيوعيون من الساحة السياسية العربية .

وأصبحت السلطة كلها مركزة في يد عبد الناصر لدرجة أن أعضاء الحكومة السورية أصيبوا باحباط نفسي شديد ، وشعروا بأنهم وقعوا في مأزق طوال سنوات الاتحاد . في وقت كانت فيه وجهات نظر عبد الناصر هذه في محلها . ولكن أمام الأمر

(*) انظر خطاب وتصريحات جمال عبد الناصر ج ٢ إذ أعلن بمناسبة اتفاقية الوحدة قوله : « .. دولة تحمي ولا تهدد .. تصون ولا تهدد .. تقوى ولا تضعف .. توحد ولا تفرق .. تسالم ولا تفرط .. تشد أزر الصديق .. وترد كيد العدو .. لا تتحزب ولا تتعصب .. لا تنحرف ولا تنحاز .. تؤكد العدل .. وتدعم السلام » .

(المترجم)

الواقع كان مطلوباً من الجميع أن يسلموا لهذا الأمر ، وأقدم عبد الناصر على اتخاذ قراره بتجميد كل المحالفات السورية السابقة ، وأزاء هذه الظروف وتلك التطورات المتلاحقة كان حزب البعث يبدو كأنه توأم لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر ولكن من خلال مبادئ وأفكار سياسة جمال عبد الناصر .

وفي هذا السياق يجب علينا أن ندرك ما حدث من ليس نتيجة لموقف حزب البعث الذي اتسم بالغموض أثناء أحداث الوحدة المتلاحقة . فعلى أي أساس يمكن لهم مشاركة زملائهم المصريين في السلطة ؟ وفي الوقت الذي تمت فيه الوحدة بين مصر وسوريا كانت شاعر القنوط واليأس تسيطر على الزعماء السوريين ، ومن جانب آخر كان يخامر الزعماء المصريين شعور بأنه ليس في إمكانهم فرض النفوذ على سوريا في وقت كان فيه الزعماء السوريون مدركين أنهم لن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم وأمانهم من خلال سياسة عبد الناصر وأيديولوجيته ، بل من المحتمل أن يقفوا حجر عثرة أمامه . . . وسوف تكون هذه مجرد خواطر وفكرات تداعب خيالهم تماماً كما يؤكد المثل القائل : ذلك الرجل الفرنسي الذي يتجنى أن يسيطر على ألمانيا بأن يكون لديه جيش أكثر عدداً من الجيش الروسي ولكن أقل من الجيش الفرنسي .

وهذا بالتالي يدعونا إلى الحديث عن الصعوبات التي اكتنفت محادثات الوحدة بين مصر وسوريا ، واتضح ذلك بعد عدة سنوات أثناء محادثات ١٩٦٣ حينما بذلت جهود غير موفقة لقيام وحدة بين البلدين مرة ثانية حيث كان حزب البعث في ذلك الوقت له هدف أيديولوجي ، وأصبح قادته يعانون من تمسكهم بأيديولوجيتهم ، حيث هي رؤيتهم الوحيدة والحقيقة الثابتة لديهم ، والتي كانوا مرون أنه لا مفر من التمسك والتشدد بها أزاء تطورات الأحداث السياسية

التي كانوا يعتقدون — واحمين — أنها توصلهم الى السلطة الحقيقية .

ولكن عبد الناصر ومبادئه النورية الرائعة ، وكذلك ميشيل عفلق ذلك السياسي المحدث ، قد صرح للأصحاف بعد محادثات الوحدة هذه بقوله :

« انه في احتياج الى غيلسوف ينطق له هذه الأحداث المتلاحمة وهذا ما يهدف اليه حزب البعث ، انهم يودون ان يروا مراحيل سياستهم الداعية الى الحرية والوحدة والاشتراكية قد ذابت في مبادئ الثورة المصرية ومبادئ عبد الناصر الشخصية » .

وكانت قيادات حزب البعث يغلب عليها طابع الخيال والبعد عن الواقع وهذه القيادات لا تقدر تطور الأحداث ، وأي أفكار ثورية لا يمكن تحقيقها بدون عقيدة راسخة لديها . قبل ان تستفيد بخبرات عبد الناصر وسياسته الراسخة لكي يغيروا بها أفكار وسياسة حزب البعث (وسوف نرى ذلك خلال محادثات الوحدة في عام ١٩٦٣ حيث واجه عبد الناصر كلا من ميشال عفلق وصالح الدين البيطار بهتل هذه المتناقضات في آرائهم) .

وبناء على هذه المبادئ فان حزب البعث توقع ان يقدم خدمات جليلة الى القادة المصريين ويكونوا أنقادا لهم في تسيير دفة الأمور ليس فقط في سوريا انما أيضا في داخل شئون الوحدة المصرية السورية التي كانوا يأملون ان تكون مبادئهم ذات أثر عميق في كل من مصر وسوريا على مدى بعيد ، وعلى أية حال كان يخافهم الأمل بتنفيذ سياستهم هذه على أقل تقدير في سوريا أي في الاقليم الشمالي السوري في ظل هذه الوحدة .

وبالرغم من كل هذا فان الفوز في الانتخابات من ناحية مع التمسك بالناحية الأيديولوجية من ناحية أخرى (بالإضافة الى تنظيم

حزب البعث وخبراته الشخصية ، هذا بجانب قدرته على الاستمرار في التلاحم بالجماعير الشعبية) ، جعل قادة الحزب يعتقدون أن عبد الناصر لا يجرؤ على حل جميع الأحزاب السياسية في سوريا بما في ذلك حزب البعث نفسه ، و يرون تشكيل لجنة تنسيق بين مصر وسوريا بهدف قيام حزب مشترك بين الدولتين يعرف باسم « الاتحاد القومي » ومن ثم متروك لهؤلاء القادة السوريين إعادة تشكيلاتهم بهدف الاندماج في هذا التنظيم الجديد ، وقد صرح ميشيل علق بقوله : سوف نكون موظفين لا أهمية لنا ، وسوف نكون مجرد أشخاص في حزب الوحدة المعروف بالاتحاد القومي بمجرد مواد الوحدة بين الدولتين مصر وسوريا .

وبالنظر إلى أحداث الماضي فإنه يبدو أن عبد الناصر سوف يقبل مثل هذا التنظيم فقد تم انشاء ما عرف حينئذ « بالاتحاد القومي » على وجه السرعة معتمدين في ذلك على مالدبهم من نشاط وخبرة ، وما يتمتعون به من سمعة طيبة ، وتلاحم قوى بين أعضاء القيادة ، وفي نفس الوقت فإن حزب البعث والحزب الشيوعي هما القوتان المهيمنتان بين الأحزاب السياسية السورية بالإضافة إلى وجود قوى سياسية عديدة في سوريا منها : التنظيمات العسكرية والمدنية لدرجة أن هاتين القوتين امتد تأثيرهما إلى داخل الحزبين الكبيرين في سوريا (حزب البعث والحزب الشيوعي) حتى أن الكولونيل عبد الحميد السراج يكون القوى السياسية الوحيدة في سوريا التي لا تنتمي إلى أي تنظيم سياسي ، ولا يعتمد على القوى الأخرى باعتباره القائد العام للقوات المسلحة .

وفي مفاوضات الوحدة عام ١٩٦٣ هاجم عبد الناصر حزب البعث والبعثيين وألقى عليهم التبعة واللوم ، وقال عبد الناصر :

« ان حل الأحزاب السياسية كان خطأ فادحاً ، اذ ترك أثره

بوضوح على تنظيم « الاتحاد القومي » ولهذا فمن الأفضل إعادة تشكيل الاتحاد القومي من تلك القوى النورية ، وليس بالشكل الذي يريد أن يفرضه حزب البعث .

وبطبيعة الحال لم يتمكن عبد الناصر من تطبيق هذا الفكر ، خصوصا بعد أن مضى وقت طويل على حل هذه الأحزاب ، والأمر يتطلب سعة من الوقت ، ومن الصعب جدا تنفيذ هذه الفكرة بالنسبة للأحزاب السياسية في سوريا ، فبالنسبة لأيدولوجية حزب البعث يحتاج الى نفس الوقت وربما يكون لحزب البعث نفس الماضي ، ولكنه في نفس الوقت يفتقر الى العقول المفكرة ، كما أنه لم يستند من قيادات حزب البعث القديمة وإن كان أكرم الحوراني قد عين نائب الرئيس ورئيس الجناح السوري . وقد عين كل من وزير الاقتصاد والسُّنُون الاجتماعية مساعدين له ، وتم استدعاء صلاح الدين البيطار الى القاهرة وصدر قرار بتعيينه وزيرا للدولة ، وأخبرا تم تعيينه وزيرا للثقافة وعضوا باللجنة المركزية العليا ، ولكن يتبادر الى الذهن بمجرد أن تم إعلان « الجمهورية العربية المتحدة » أن حزب البعث أصبح يتمتع بحرية أكثر .

وجدير بالذكر أن حزب البعث كان يفتقر الى الخبرة في هذا الجانب وخاصة بعد تلك القيود التي فرضت على قياداته بعد قيام تلك الوحدة في عام ١٩٥٨ ، ومن خلال هذا التصور يمكن أن نؤكد أن عبد الحميد السراج كان وزيرا للحربية في الاقليم السوري ، وبرغم هذا كان قليل التعاون مع حزب البعث سواء كان ذلك قبل الوحدة أو بعدها ، وفي الحقيقة كان هذا الأمر أكبر دليل على مدى سلبية قيادات حزب البعث في القاهرة .

وكان من هذا الوضع المتدني لقيادات حزب البعث هو فشلهم في الانتخابات التي جرت بشأن قيام هذه الوحدة ، وكان من الصعب

اكتشاف مثل هذا الوضع قبل اجراء انتخابات هذه الوحدة ، هذا بالقياس الى تلك الانتخابات البرلمانية التي جرت في مصر عام ١٩٥٧ ، ومما لاشك فيه ان هذه مسألة حيوية ومهمة بالنسبة لمعالجة سلبيات حزب البعث ، وبدون الالتزام والتمسك بمثل هذه الاسس ، فان حزب البعث لن يجد قبولا هنا أو هناك ، بدون اتخاذ هذه الخطوات من الآن وقبل اجراء الاستفتاء العام على الوحدة في ٨ يوليو ١٩٥٩ ، أي بعد مضي ١٧ أسبوعا من قيام « الجمهورية العربية المتحدة » والا فسوف يجد أعضاء حزب البعث — المرشحون في الاقليم — أنفسهم وقد فشلوا في هذه الانتخابات في حين نجح في الاقليم السوري ٢٥٠ عضوا غير يمثلون من عدد المقاعد .

واللافت للنظر ان كثيرا من المرشحين كانوا يواجهون معارضة ونالوا هزيمة ساحقة من قبل ائتلاف الأحزاب المحافظة التي هيمنت وفرضت وجودها على حزب البعث طوال مراحل المفاوضات مع مصر بشأن قيام هذه الوحدة العربية ، وبالرغم من كل هذا فان حزب البعث هو الذي كان بيده زمام مسائل الاتحاد مع مصر .

ومن الأمور التي تدعو الى الأسى ، ان عبد الناصر — الناصر الديكتاتوري — هو الذي كان منحازا بحماسة شديدة لأعضاء حزب البعث ، وهو الذي اختارهم بمساعدة عناصر رجعية ، ولكن على أسس ديمقراطية وبيانات حرية تماما ، ولاشك ان مثل هذا امر بحير جدا ، وخاصة اذا علمنا ان بعض البعثيين شعروا بالرضا التام عقب حدوث الانفصال السوري عام ١٩٦١ وفي مطالب لعبد الناصر التي فيه اللوم — لحدوث كارثة الانفصال — لتسليم بعض العناصر الرجعية الى أعضاء الاتحاد القومي .

ومما لاشك فيه ان حزب البعث سقط في اول انتخابات جرت للوحدة ، ومن ثم بدا في التراجع والانحيار بشكل سريع ، وكانت

الخطوة الأولى له في أغسطس ١٩٥٩ ، فقد حدث انشقاق في الحزب ، وظهر هذا واضحا في ذلك الاجتماع المثير الذي جرى في لبنان حيث انشق اثنان من قياداته هما : عبد الله الريماوي ، و بهجت أبو غربية (٣) وقد ذهب الاثنان الى القاهرة وتأسس كلا حزبا على طريقتهما الخاصة .

وفي الشهر التالي أصدر عبد الناصر قراره باعفاء رياض المالكى من منصبه كوزير في لجنة الاتحاد القومي ، وقد ترك هذا القرار رد فعل عنيفا في قيادات حزب البعث خاصة لدى : الحوراني ، والبيطار ، ومصطفى حمدون ، وعبد الغنى كائوت ، حدث ذلك في غضون نهاية شهر ديسمبر ، وبهذا كان فصل الختام في الاشتراك مع القيادات المصرية . وبعد مضي عدة سنوات اخبر ميشيل علق بشيء من التفصيل عبد الناصر بأن هذا القرار اتخذه في وقت كان الحزب يمر فيه بأزمة سياسية واردف قائلا : انه لم يتمكن من اقناع العديد من الوزراء السوريين بترك الحكومة في نفس الوقت ، في حين كان عبد الناصر يعتقد أن مثل هذه الاستقالات تعد خيانة للمبادئ واهانة له في نفس الوقت (٤) في حين أن حزب البعث كان يعتبر أن مثل هذه الاستقالات تدل على الفشل الذريع في أيديولوجية الحزب وأسلوب الحوار فيه .

» ان مسألة الاتحاد كان يجب أن تتم بناء على رغبة الجماهير الشعبية في سوريا على أن يوضع في الاعتبار الاستفادة من كل

(٣) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع - انظر المرجع السابق ذكره - ص ٣٣ وما بعدها .

(٤) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ، انظر الفصل الثالث (التالي) .

التجارب السابقة لكي تتم الوحدة مع مصر بكل يسر وسهولة ،
حيث الالتحام مع الثورة الأم ، وتجارب الشعب المصري العميقة
الجزور في هذا المجال . والحقيقة أن الجماهير الشعبية في مصر
كانت محكومة قبل الثورة من قبل أحزابها المنتهية إليها ، ولكن بعد
الثورة لم يكن في إمكانها التعبير عن رغبتها الحقيقية مع رغبات
أحزابها « (٥) » .

أن الاستقلالات تمت بشكل غير طبيعي مما أحدث رد فعل سيئاً
لدى قيادات عبد الناصر وكذلك حزب البعث ، وهما المسئولان عن
قيام الوحدة بين مصر وسوريا ، ومن جهة أخرى ، فأنشاء هذه
الازمة كانت هناك وجهة نظر بأن تترك سوريا الى حيث تشاء . .
ومن جهة أخرى كان هناك رأي آخر ، يرى أن تترك سوريا في
حالة انعزال تام ، في حين أن حزب البعث اعتقد خطأ أن عبد الناصر
في حاجة شديدة الى مساعدة حزب البعث له ، وسواء كان هذا
الرأي صحيحاً أو خطأ فإن من الثابت أن عبد الناصر لم يطلب
ذلك ، فكان كلا الفريقين يقفان على أرض مشتركة ، وكلا الفريقين
كان مقدرا له الاختفاء من الساحة السياسية على أكثر تقدير في
عام ١٩٦٣ ، فإن أحداث عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ برهنت على أن
أيديولوجية الثورة المصرية تخالف وتناقض مبادئ الأحزاب الأخرى
العربية لمواجهة رغبة القوى الأخرى في اتجاهاتها وأهدافها التي
تسعى الى تحقيقها .



(٥) المحرر في صحف بيروت البعثية - الصحافة في ٢٢ فبراير ١٩٦٠
وهذه الفترة نقلت من مؤلف فرنسي (الشرق) ORIENT (١٩٦٠)
ص ١٢٤ - ١٢٦ .

٥ - مصر والعالم العربي :

وحول هذه الظروف والملايسات التى تكشففت فيها كثير من النوايا ، وتباعدت وجهات النظر بين غالبية الأحزاب فى الأيديولوجية والفكر أسفر عنه تفاؤل حزب البعث بل تجاهله من قبل كافة المنظمات والأحزاب العربية كلها . الأمر الذى أحدث تباعدا كبيرا بين عبد الناصر والبعثيين بعد أن تأكدت شكوكه ومخاوفه وتوقعاته التى كانت تراوده طوال فترة الوحدة ومن قبلها ، وساءت علاقة الدول العربية التى تربطها بالقرب مصالح مشتركة أو بمعنى أكثر صراحة تقع تحت تأثيرها الفعل مثل العراق والأردن والسعودية ولبنان وتركيا ، كل هؤلاء العرب ليس لهم أى هدف سوى سحب سوريا من هذه الوحدة مع مصر ، وقد شغلهم هذا الأمر وقتا طويلا وكان واجب هؤلاء بالدرجة الأولى هو مناصرة القضية الفلسطينية ضد إسرائيل والكيان الصهيونى باعتباره الخطر الزاحف الذى يضرب التجمع والتومية العربية فى المنطقة .

حقبة ان الوحدة بين مصر وسوريا لم تتم بالشكل القانونى المطلوب ، وان كانت هذه الوحدة - بهذا الشكل - هى الخطوة الأولى لقيام الوحدة العربية الشاملة ، ولذلك فقد أعلن رئيس الوزراء فى الأردن ، وكذلك النظام الحاكم فى العراق بعد أيام قليلة من الوحدة المصرية السورية ، أعلننا قيام وحدة فيدرالية فيما بينهما لتكون مناهضة لهذه الوحدة مع مصر .

وشهدت لبنان قيام مظاهرات شعبية عارمة ضد حكومة الرئيس شمعون التى كانت نولت مهامها فى شهر مايو من نفس العام ، وفى ١٤ يوليو حدثت ثورة فى العراق لتضع حدا لهذه الوحدة المناشلة مع الأردن ، وكان التاريخ يعيد نفسه ، أو بمعنى آخر ثان التاريخ عاد القهقري مرة أخرى حينما ساد العراق بأسى

تأم ، اذ ظهرت صورة عبد الناصر على واجهة المحال التجارية في شوارع بغداد ، في ١٤ يوليو ، ثم اختفت بعد ذلك بنفس السرعة التي ظهرت بها .

وثورة العراق لم تكن ثورة قومية عربية انما كانت بمثابة انفجار هائل لغضب الشعب وعدم الرضا عن العديد من المسائل والموضوعات الاجتماعية والسياسية لمجتمع العراق الممزق : الاقلية القديمة الحاكمة ، والاكراد ، والسنة ، والشيعة ، والعرب ، والشيوعيون ، و القوميون ، والائتلاف الحاكم الذي انحدر سريعا الى صراع داخلي ضاع فيه القوميون العرب بما في ذلك حزب البعث العراقي ، ووجدوا ان نفوذهم في البلاد قد استبدل به الشيوعيون وأنصارهم . وفي هذا الجو كانت الشخصية القومية القيادية تتمثل في عبد السلام عارف الذي وقف مع عبد الناصر في الشرقية بدمشق ليتلقى هتافات الجماهير ، ولكن بعد ذلك بثلاثة أشهر كان مصيره السجن ببغداد محكوما عليه بالاعدام . وفي نهاية هذا العام كانت العلاقات بين العراق والجمهورية العربية المتحدة أسوأ مما كانت عليه قبل قيام هذه الثورة في العهد القديم ، وذلك حينما بدأت محكمة الشعب التي شكلت لمحاكمة أعضاء الحكومة السابقة ورئيسها والمتعاطفة مع نظام الحكم القديم ، و كان رئيس هذه المحكمة الكولونيل مهدي الذي حول اجراء المحاكمات الى مهزلة كبرى بأقواله الجانبية الساخرة ضد الرئيس عبد الناصر وخطبه وكذلك ضد رئيس الوزراء العراقي الجنرال عبد الكريم قاسم كخائن للقومية العربية ، وكأداة للشبوعية العالمية ، وقد وصلت العلاقات الى أدنى وضع في شهر مارس ١٩٥٩ عند قامت انتفاضة في الموصل يقودها الضباط القوميون العرب لدعم ومساندة الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن هذه الثورة تم قمعها بشكل دموي عنيف .

وفى الخريف التالى كانت هناك محاولة فاشلة على حياة عبد الكريم قاسم بهدف اغتياله ، ويعزى قيام هذه المحاولة الى عملاء الجمهورية العربية المتحدة ، وساد المناخ العربى توتر شديد حتى شهر فبراير ١٩٦٣ وتبدلت الاهانات بين القاهرة وبغداد .

وفى داخل العراق ترأس عبد الكريم قاسم حكما غريبا وصل الى درجة الانحطاط بين الشيوعية والراдикаلية الفوضوية ولا يعتمد على اى مبادئ يستند اليها فى حركته .

وكانت المشكلة بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة ان قاسم كان ثائرا ولكنه — برغم هذا — مشغول فى التعاون مع الوحدة العربية ، او حتى اظهار اى نوع من الاحترام تجاه الرئيس عبد الناصر كما عمل القادة الثوريون الآخرون ، بل أكثر من هذا ، ألقى بآلاف المعجبين بعبد الناصر فى السجن ، ونصب نفسه عدوا صريحا لعبد الناصر وأنصاره ولذلك كان لابد من مواجهته بشكل ما ، ولو كان رجعيا مثلا كالمملك حسين أو نوري السعيد ، كما شكل هذا الافتراض تهديدا خطيرا فى ذلك الوقت لعبد الناصر ، بل كانت سياسته ومواقفه تعد أمرا مألوفا وهو بالطبع لم يكن رجعيا ، بل كان بطالا راديكاليا يعبر عن وجهة نظر سكان الأحياء الشعبية فى بغداد ، ولهذا فهو يعد عدوا للأعداء الامبرياليين المفترضين لعبد الناصر ، وصديق للأصدقاء المفترضين لعبد الناصر فى نفس الوقت ، وهو الاتحاد السوفيتى ، والغريب فى الأمر أنه على خلاف مع الشيوعيين العرب فى داخل الوطن العربى ، وبرغم هذا فقد لقى قبولا لدى الجماهير الشعبية .

ولأن قاسم كان يمثل السياسة التى انتهجتها العراق ، فقد كان يشكل تهديدا مباشرا للوحدة السورية المصرية ، ومن ثم

فان السوريين لم يشعروا بارتياح له ، خاصة أنه كان يتآمر بشكل مباشر مع الملك حسين والاسرائيليين ، وكذلك وكالة الاستخبارات الأمريكية لتقويض القومية العربية .

ومما تجدر الإشارة اليه أن الشعب المراقى نال تأييد المصريين حينما تمكنوا من الاطاحة بالنظام الملكي في بغداد ، والفريق في الأمر أنهم انضموا الى وفد محادثات الوحدة مع سوريا ، وترك الباب مفتوحا لانضمام دول عربية أخرى .

والآن وقد فشلت الوحدة مع سوريا ، وان كانت مثل هذه الوحدة لم تكن النتيجة المرجوة في ذلك الوقت ، اذن من أجل ماذا ضحوا باستقلالهم ؟ ومن أجل ماذا ضحى حزب البعث بوجوده الرسمي ؟ فان العراق يحكم موقعه الجغرافى والتاريخ المشترك والتركيب الاجتماعى ، والوضع الاقتصادى ، كان البد الوحيد الذى يجب عليه أن ينحد مع سوريا بقض النظر عن السبب الأيديولوجى لحكم الاسرة الهاشمية الواحدة .

وكان الاتحاد بين مصر وسوريا مقبدا بعدم التوسيع في المرحلة الراهنة وذلك بسبب أن الجانب المصرى هو الذى بيده زمام الأمور ، اذ كانت نسبة التمثيل بين المصريين والسوريين بنسبة خمسة الى واحد ، ولهذا فقد لعب المصريون دورا بارزا في رسم السياسة العامة لهذه الوحدة نظرا لعدم وجود طرف ثالث معها .

٦ - تفسير في الخطط :

عقب هذه الاحداث سالفة الذكر وموقف عبد الكريم قاسم المتشدد ضد عبد الناصر والناصرين الذين زج بهم في غياهب سجون العراق ، كان على عبد الناصر أن يغير موقفه تجاه الأحزاب

الأخرى وأن بحسن سياسته نجاه الأردن والسعودية لبستعينهما
ضد سياسة عبد الكريم قاسم في العراق ، التي أثارت الفتن
والاضطرابات في المنطقة العربية بأسرها .

ونجح عبد الناصر في كسب تأييد كل من الأردن والسعودية
ولكن هذا التأييد يشوبه الحرص الشديد من جانب هاتين الدولتين
حرصا على سلامة استقلالهما على الرغم من مظاهر الود الواضحة
في استقبال الملك سعود في القاهرة ، وأعقب ذلك عودة العلاقات
الدبلوماسية مع الأردن في أغسطس ١٩٥٩ ، وحسن عبد الناصر
علاقته كذلك بالولايات المتحدة الأمريكية التي كان يتناصبها العداء
بسبب احتلالها للبنان عام ١٩٥٨ .

وابدت أمريكا ارتباحا تاما لتقارب عبد الناصر الذي كان
يناهض النشاط الشيوعي في العراق وسوريا كما يؤكد عدم خضوعه
التام للاتحاد السوفيتي . والشيوعية في العراق وسوريا تعمل في
الخفاء ، لأن الأيديولوجية الشيوعية تختلف بشكل جذري عن مبادئ
ناصر النورية ومن هنا وجد الاتحاد السوفيتي نفسه في مأزق حرج
اذ كان عليه كبح جماح عملائه في المنطقة العربية ، حتى يستطيع
أن يحتفظ بأقل قدر من صداقته لعبد الناصر .

ان التفسيرات التي وجدت على هذه المساحة من قبل
عبد الناصر — برغم اعتدالها — أحدثت غزعا عند الوجدانيين داخل
سوريا وخارجها وخصوصا بين البعض الذين شعروا أن عبدالناصر
لجأ الى أسلوب الحل الوسط الذي يوافق مبادئه الثورية مع هؤلاء
الرجعيين في المنطقة العربية ، واذا كان خيق تفكير قاسم وشعوره
بجنون المظلمة قد سلب العراق فرصتها في الانضمام الى الوحدة
العربية ، فان تقارب عبد الناصر مع الأردن — من ناحية أخرى —

قد سلب الأردن فرصتها أيضا ، وما كان في إمكان أى قائد عربى آخر أن يقوم بدور أكثر ايجابية من عبد الناصر ، لأن الجمهورية العربية المتحدة تعوزها الوسيلة لضمان مستقبل المملكة الأردنية فى مواجهة أى عدوان اسرائيلى قد يقع عليها ، خاصة اذا ما أطيح بالملك حسنين مع تدخل القوات البريطانية فى الأردن منذ يوليو ١٩٥٨ ، وان كان هذا الحدث فى حد ذاته يعد بمثابة كارثة كبرى للجمهورية العربية المتحدة ، اذ كانت الخيارات أمام عبد الناصر محدودة ومحفونة بالمخاطر ، ولكن نظرا للالتزام عبد الناصر بالمصالح التى تعود على دولة الوحدة أكثر من التزامه بالناحية العقائدية ، فقد ألقى اللوم والنقد على الناصريين .

لقد واجه عبد الناصر نفس الموقف قبل حادث الانفصال فى صيف عام ١٩٦١ حينما قامت العراق باحتلال امارة الكويت ، هذه الامارة المنتجة للبترول والتى كانت موضوعة تحت الحماية البريطانية منذ عام ١٨٩٩ ، وقد أعطيت استقلالها فى منتصف شهر يونية عام ١٩٦١ ، ولم يكف الجف الحبر على هذه المعاهدة الكويتية الانجليزية حتى أعلن عبد الكريم قاسم بشكل لم يسبق له منيل أن الكويت كانت محافظة تابعة للعراق فى أقصى الجنوب ، وأنه وجبته سيحررها فى أية لحظة ، بان مستوى الدخل لآى فرد فى الكويت يزيد على دخل الفرد فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأن الكويتيين غير راغبين فى التحرر من الاحتلال البريطانى ، وأن شيخهم الحاكم قد نفذ المعاهدة ورتب الأمور لوصول قوات بريطانية طارئة لحماية المنطقة .

وفى الواقع كانت الجمهورية العربية المتحدة تضاع كل امكانياتها لقضية الوحدة العربية ، ولوضع حد لامراء وملوك البترول الأغنياء ، وأغنى حاكم فيهم هو شيخ الكويت ، وان كان من

المقروض استخدام دخل البترول بشكل أمثل ، اذا ما وضعنا قضية ترف الحكام جانبا ، وعلى هذا فان اتحاد الكويت مع العراق يجعل مثل هذا التوجه الاقتصادي أمرا غير مرغوب فيه ، اذ كان العراق في ذلك الوقت بلدا نوزيا غير مستقر تماما مثل الجمهورية العربية المتحدة ، في وقت كان فيه عبد الكريم العدو الاول للجمهورية العربية المتحدة وعلى هذا كان من المستحيل تشجيع أى شخص للقيام بهذه المغامرة وخاصة عندما واجه قيام الجمهورية العربية المتحدة بعض الصعوبات وبالإضافة الى ذلك فقد اكتشفت الجمهورية العربية المتحدة شركاء دبلوماسيين في عمان والرياض منحازين تماما بشكل لا يقبل الشك مع شيخ الكويت باعتبار أنه تضامن شرعى .

لم يكن هناك اية صعوبة في تبرير معارضة اطماع عبد الكريم قاسم بالكويت ، وذلك على أساس مبدأ تقرير المصير الذى اعلنه عبد الناصر مرارا ليكون أساسا للوحدة العربية الشاملة ، وكان العراق يقدم عرضا وقحا سافرا يحز في النفس ، وهو منظر القوات البريطانية وهى تفرض نفوذها على آبار البترول بالكويت ، وكانت الجمهورية العربية المتحدة على أهبة الاستعداد لتقديم المساعدة العسكرية اذا ما طلبت ذلك .

وعندما ذهبت القوات البريطانية الى الأردن عام ١٩٥٨ ، كان على الكويت على أقل تقدير أن تستدعى القوات المصرية ، لأن مصر لا ترجو فائدة من هذه العملية سواء كانت الفائدة بشكل مباشر أو غير مباشر ، الا المحافظة على استقلال امارة ذات كيان مستقل وعضو في الجامعة العربية .

لقد جرى التناوب على هذه المشنكة الواقعة على الكويت وذلك باستبدال قوات سعودية أو قوات مصرية بالقوات البريطانية،

وتم تنفيذ هذا في ١٤ سبتمبر ، ولكن حتى هذا العمل لم يزد شيئا على صورة عبد الناصر عندما يرى قواته بجانب القوات السعودية والاردنية تتبادل المواقع مع القوات البريطانية بهدف الدفاع عن مصالح بريطانيا في المنطقة (*) .

* * *

٧ - الانفصال السوري :

بعد حل حزب البعث السوري اعتمد عبد الناصر على الكولونيل عبد الحميد السراج الذي خلف أكرم الحوراني كرئيس لمجلس الاقليم السوري ، وليفرض نفوذه على سوريا بالأساليب البوليسية المتشددة ، وفي واقع الأمر كان السراج يسيّر في الاتجاه المعاكس الذي يريده الرئيس جمال عبد الناصر ، ولهذا بعث الى سوريا اقرب الشخصيات اليه وأقواها وهو المشير عبد الحكيم عامر ليكون ممثلاً شخصياً له مزوداً بتعليمات خاصة باستخدام الشدة في فرض النفوذ على هذا الاقليم . ولكن هذه السياسة الناصرية أحدثت رد فعل معاكساً في صفوف الجيش السوري ، إذ شعر الضباط السوريون بعدم الرضا لخضوعهم للضباط المصريين بالاضافة الى شعورهم بالتهمز لتخفيض الرتب العسكرية الى مستوى زملائهم المصريين .

كما ساد التهمز صفوف الشعب في سوريا نتيجة القيود الاقتصادية وزيادة الرسوم الجمركية على البضائع المستوردة ،

(★) وتكرر المشهد مرة ثانية على الكويت في أغسطس ١٩٩٠ عندما أقدم صدام حسين - رئيس العراق - على احتلال الكويت في غيلة من أهلها في ليلة صيف .

(الترجمة)

الأمر الذى أدى الى رفع الأسعار على كل المستويات ، وتشاء الظروف أن يسود الجفاف سوريا لمدة ثلاث سنوات متتالية ، ولم يكن في مقدور المشير عبد الحكيم عامر أن يفعل شيئا ازاء هذه الكارثة ، كل هذه الظروف قللت من هبة عبد الناصر في هذا الاقليم نتيجة المعاناة التي كان يعانيها الشعب السوري .

وعلى الرغم مما تحلى به المشير عبد الحكيم عامر من صبر وحسن نية ، فان مثل هذا السلوك لن يجدى ازاء شسغور السوريين ذوي العقول السياسية خاصة انهم وجدوا أنفسهم في عزلة عن المشاركة في الحياة السياسية في ظل غياب حزب البعث ، وفي وقت متأخر — في صيف عام ١٩٦٠ — تم تشكيل الاتحاد القومي الذي تم تعيين أعضائه بشكل مباشر ولم يتم ذلك بالانتخاب .

بالرغم من أن عددا لا بأس به عين في هذا المجلس من بين الشخصيات السورية دون أن يكون لهم أى تأثير يذكر على الشعب السوري ، وبالطبع كانوا أقل من زملائهم المصريين في المجلس الذين تتسمون بالانصباع التام للنظام الناصري .

وشاعت النكتة بين أفراد شعب سوريا حول فشل الاتحاد القومي وعدم فاعليته ، فهو شعب تتنوع طبيعته وتختلف أمزجته وتصعد قيادته لأن ٥٪ يعتبرون أنفسهم قادة وزعماء ، و ٢٥٪ يظنون أنهم أنبياء ، و ١٠٪ يتخيلون أنفسهم آلهة ، و ١٥٪ لا تشغلهم هذه القضايا ، وليست لهم هوية ، وان كانوا يفقدون مناصبهم تدريجا .

عندئذ صرح شكري القوتلي لعبد الناصر بقوله : « ان النبي صلى الله عليه وسلم وصل الى هنا ثم رجع » ، وهي عبارة تدل

على المناوأة وشتات الأمر ، ولم يبق من شعب سوريا سوى
عبد الحميد السراج الذى أبعد عن سوريا فى أغسطس عام
١٩٦١ ، ونقل الى القاهرة نائبا لعبد الناصر ولكن بعد مضي شهر
وجد نفسه معزولا تماما ، فأثر تقديم استقالته وعاد الى سوريا ،
وانتشرت اشاعات فيما بعد حوله ، اذ قيل انه يخطط للقيام بانقلاب
عسكرى ، ولكن فى الواقع لم يكن الكولونيل عبد الحميد السراج
هو الذى بفعل ذلك ، انما بعض ضباط الجيش السورى الآخرون
الذين كانوا يشعرون بئذمر ، هم الذين كانوا يفكرون فى ذلك ،
وذلك نتيجة الأوضاع السيئة ، وفى ٢٨ سبتمبر قبضوا على المشير
عبد الحكيم عامر ، ووضعوه فى طائرة خاصة متجهة الى القاهرة ،
ومن ثم أعلنوا انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة .

ولا نعرف بالضبط ماذا كانت طبيعة المؤامرة التى خططت
لحدوث هذا الانفصال ؟ وماذا كان دور الدتتين الذى لعبوه فى
هذه المؤامرة ؟ وقد حدث رد فعل سيئ لدى الشعب المصرى ،
وكان اصدق تعبير له من خلال عدة خطب ألهاها عبد الناصر ،
فضلا عما عبرت عنه الصحافة المصرية وكذلك الاذاعة ، وخاصة
اذاعة صوت العرب :

« طعنّت الوحدة العسكرية من الخلف من قبل طبقة الاغنياء
السوريين ، وكذلك الرجعيين الذين ناتروا بالتنريعات والقوانين
الاشتراكية ، وكذلك تأميم البنوك وشركات التأمين ، فضلا عن
النشاطات الصناعية والمهنية وكثير من الاجراءات التى فرضت
على النشاط الاقتصادى ، وعلى نطاق واسع ، وذلك نتيجة لتلك
القرارات التى أصدرها عبد الناصر فى يوليو ١٩٦١ ، هؤلاء
الرجعيون بمساعدة الامبرياليين ، وكذلك الملوك الرجعيون الذين
قدموا الرشوة لفئة من الانتهازيين من ضباط الجيش لتنفيذ الانقلاب

وذلك بهدف إعادة النظام القديم الى سوريا والغاء اصلاحات
وقوانين الوحدة العربية » .

ولقد كان هناك الكثير من الملاحظات والظروف التي استغلها
اغنياء سوريا ولم يكن الامر مقصورا على قرارات يوليو ١٩٦١ .
الاشتراكية انما كان هذا التفرد نتيجة لتطبيق قوانين الاصلاح
الزراعي المصري في الاقليم السوري ، وغالبا ما طبق بأسلوب
لا يتطرق اليه الشك من قبل الوزراء البعثيين ، كما فرضت القيود
على طبقة الرأسمالية الوطنية في وقت مبكر من عام ١٩٦١ (*) .
وعلى اثر حدوث هذا الانقلاب قام السياسيون السوريون بتشكيل
حكومة غورا ، وأجروا كذلك انتخابات برلمانية ، واحتلوا مع
زملائهم من المدرسة القديمة معظم المقاعد البرلمانية ، وفي اوائل
عام ١٩٦٢ قاموا بالغاء معظم قوانين التأمين التي اصدرها
عبد الناصر فترة الوحدة ، وقد استغرقت مناقشة هذا الموضوع
في البرلمان مدة دقيقتين فقط . قام الاعضاء بعدها بالتصويت لصالحهم
بالغاء هذه القوانين ، كما قرروا كذلك زيادة المرتبات بنسبة ٣٣٪
أما فيما يتعلق بقانون الاصلاح الزراعي فلم يتم الغاؤه ، اذ راوا
التريث بعض الوقت لدراسته وتعديله ، وكانت هناك شكاكوى كثيرة
من ملاك الاراضي الزراعية ، اذ حدث صدام بين الملاك الجدد
والملاك القدامى لهذه الاراضي ، الذين كانوا يرون امتلاك اراضيهم
بالقوة بحجة أن قانون الاصلاح الزراعي الغي ، وعلى هذا فقد
كان منطقيا ان طبقة الاغنياء في سوريا لم يقوموا بهذا الانقلاب ،
بل استغلوه لصالحهم بشكل لافت للنظر .

(*) خطب وتصريحات عبد الناصر ج ٥ ، ص ١١٣ وجاء حديثه من
هذه القرارات في عيد النصر بالاسماعيلية في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤ .

ومما يشتر الأسي في النفس مبادرة كل من : الأردن وتركيا
بالاعتراف بالحكومة السورية الانفصالية ، وجاء الاعتراف بسرعة
غير لائقة ، وقامت الدول الكبرى أيضا بالاعتراف مثلها ، ويبدو
للوهلة الأولى أن الحكومتين كانتا على علم مسبق بحركة الانفصال ،
ولهذا لم يتوان عبد القاصر عن قطع علاقته فوراً بكل من انقرة
وعمان .



٨ — الأسباب الضمنية :

ليس من المعقول أن تفسر حادث الانفصال السوري عام
١٩٦١ بمثل هذه العبارات البسيطة ، وترك الأحداث عند هذا
الحد ، وكان ما حدث لا يعدو أن يكون أمراً بسيطاً ، فإن ما حدث
قد ترك أثراً سلباً للقاية على علاقة مصر بالعرب في ذلك الوقت ،
فقد أوجد حادث الانفصال تعبيرات استعملت لتشخيص عقبات قيام
الوحدة العربية مثل : الرجعية ، والانتهازية ، والاقليمية ، هذا
بالإضافة إلى العديد من الخرافات والأساطير القائلة بأن الوحدة
العربية كان يجب ألا تحدث بين العرب ، لأن العرب ليسوا أعضاء
في أمة واحدة. لاختلافهم في البيئة الجغرافية ، وكذلك اختلاف
لهجاتهم ، فضلاً عن التركيب الاقتصادي المختلف ، وكذلك التقاليد
الاجتماعية المتباينة ، وتفاوت العرب في خبراتهم السياسية ،
فال موقف السياسي السائد ما هو الا موقف مصطنع أو على الأقل
لا يزيد على أنه ذو أهمية ثانوية ، وأن الامتيازات الممنوحة لهم
لا تستحق الشجب ، وأمر آخر هو أن حاجات ورغبات الجماهير
العربية يمكن فهمها بشكل مناسب لكل شعب على حدة ، والوفاء
بها ضمن الأفكار الايديولوجية البسيطة التي شارك فيها الناصريون
وكذلك البعثيون ، كثورة التحرير ، والوحدة ، والاشتراكية ، ويمكن

أن يكون ضباط الجيش السوري — على سبيل المثال — مستعدين أن يؤيدوا هذه المبادئ ، ولكنهم غير مستعدين للدفاع عنها ، ولهذا السبب لم يكن هذا الالتزام ظاهراً فقط ، ولكن الأمر الأخطر أنه يدل على ما وصلت اليه أنكار هؤلاء من عجز بالنسبة لأولئك المصابين بجنون العظمة ، ليدركوا أية تعقيدات وغموض وتوتر وتناقض وشكوك ، كانوا يتسمون به .

ودائماً نجد احتمالات الأمور السياسية العملية في كل مكان ، حتى في تلك المجتمعات التي يقيم فيها الحكم الاستبدادي نوعاً ما من الحكم يتسم بالعدالة المطلقة .

ولم يكن الأغنياء فقط — على سبيل المثال — هم الذين قاموا بحركة الانفصال . ولكنهم مجموعة كبيرة من رجال الأعمال الأقل أهمية . تضرب في قاع المجتمع السوري لتصل إلى صاحب الحافوت الذي عانى درجة من الضيق نظراً لإغلاق محله بين حين وآخر ، فضلاً عن القيود الاقتصادية والإصلاحات الإدارية المرتكزة غالباً على الاحتياجات المصرية لا السورية ، وكانت هناك أسباب مهمة لا علاقة لها بمسألة « الظلم الاجتماعي » .

ولنا أن نتساءل : لماذا أثار الاقتصاديون استياءهم الشديد في سوريا ؟ كان أحد هذه الأسباب الوسائل الإدارية للحكومة المصرية كما خلق عبد الناصر على ذلك بقوله :

« في كل مرة كانت تدخل فيها مجموعة من تنظييات الاستيراد والتصدير والعملية ، والأجور ، كان يظهر بسرعة تركيب بيروقراطي منظم كبير ، كان هذا أمراً سيئاً في أعين السوريين الذين كان عليهم التعامل مع موظفي الحكومة إلى الدرجة التي شعروا فيها بمثل هذه التعقيدات ، وازداد هذا الوضع سوءاً حينما كان

الموظفون المصريون — بشكل لا بد منه — قد لعبوا دورا رئيسيا في ايجاد مثل هذه المواقف وتطبيق القوانين والاجراءات الجديدة بأسلوب مبالغ فيه بحجة أنهم ذوو خبرة في هذا المجال لدرجة أنهم اشتطوا كثيرا عن جادة الصواب مما جعل الشعب السوري يكره الوحدة العربية وما ترتب عليها من تعقيدات في حياتهم الشخصية .

ومنتيجة لذلك فان العديد من السوريين من عامة الشعب قد وجدوا أن من الضروري التعامل مع بيروقراطيين مصريين غير مألوفين ومجهولين ، وفي نفس الوقت اتباع الاجراءات التي لا حدود لها ، والمعقدة في نفس الوقت بشكل يدعو الى العجب ، والتي اشتهرت بها الحكومة المصرية منذ زمن سحيق .

ولاحتواء مثل هذا السخط الشعبي ، والحد من شعور السوريين بالندم لأنهم هم الذين ساهموا في قيام الوحدة مع مصر ، ومن المؤكد أنهم لم يستخدموا كوسيط لذلك ، فقد كانت هناك حاجة الى وجود حزب سياسي قطري أو مجموعة من الاحزاب المنظمة تكون مئيرا للحوار الحر ، والتعبير عن آرائهم وافكارهم بشكل يمكن أن يراه الحاكم أمرا مناسبا ، وهذا لا يعنى أن يكون لسوريا ديمقراطية من خلال عدة احزاب ، لكن فقط كان الأمر يحتاج لأن تحكم سوريا بأسلوب ديمقراطي نبأى يحكمه دستور ، لياخذ في الاعتبار بعض الحقائق الاجتماعية والنفسية ، وبالمقارنة مع المصريين فالسوريون أكثر حرية وصراحة في مواجهة مشاكل المجتمع وأقل ادعانا وخضوعا للسلطة ، وفي نفس الوقت فالشعب السوري يتسم بالغيرة على كرامته وبأنه أكثر حرصا على حرته ، وهو مستعد للاحتجاج والثورة والمعارضة .

ولكن الملاحظ أن الاتحاد القومي الذي ألف في سوريا علي
أثر قيام الوحدة — كبديل لتلك الأحزاب السياسية التي كانت سائدة
في المجتمع السوري من قبل — كانت تنقصه هذه الصفات وتلك
الخبرة المتصلة بمشاكل الجماهير ، فضلا عن أنه كان كبيرا في
تشكيلاته ، واسعة الانتشار ، وفي نفس الوقت مجهولة الهوية ،
وكثيرا في مؤسساته بشكل بيروقراطي ليتحكم في النهاية من أعلى ،
أذ كانت سياسته قائمة على أساس أن تصدر أوامره من القمة
إلى القاعدة بأسلوب غير ملائم لطبيعة الشعب ، وتركيب المجتمع ،
وكان يحلو لمحدثي القول : بأن بعض المصريين السياسيين بودون
أن يظهروا تدميرهم من هذه الأوضاع متهمين الاتحاد القومي السوري
بالرجعة بعد أن تمكنت جماعة من الرجعيين التسرب إليه والتحكم
فيه أمثال : يأمون الكزبري أول رئيس وزراء بعد حادث الانفصال
عن مصر ، أذ كان رئيسا للجنة التنفيذية للوحدة في مدينة دمشق ،
لأنه في واقع الأمر قد احتجب السياسيون المحافظون ، فليس لهم
مكان في الاتحاد القومي عام ١٩٥٥ وكان ذلك بسبب غياب حزب
البعث السوري .

أضف إلى هذا أن تكوين الاتحاد القومي السوري قد أعطى
طابع المنظمة في تشكيله ، ولهذا فمن الصعب أن يتخيل كيف تمكن
هؤلاء الرجعيون من استخدام مكانتهم ونفوذهم في الاتحاد القومي
وأحداث الانقلاب الذي أدى إلى حادث الانفصال عن مصر لذا كان
هؤلاء الرجال هم المسئولون عن فشل استمرار الوحدة العربية .
وهذا الفشل لم يكن بسبب عدم تشجيعهم لفكرة الأيديولوجية
الاشتراكية ، ولكن بسبب عدم مشاركتهم الفعالة في القضايا
السياسية ، والتعبير عن آرائهم ، وذلك لإبعادهم عن مجال
جماهير القوات المسلحة والجنود ومشاركتهم الفعالة أيضا مع
كبار الشخصيات السياسية ، ورجال الأعمال ، وعامة المواطنين .

مما جعل حادث الانفصال يلقي تأسدا واسمع النطاق من قطاعات كبيرة وواسعة من الشعب السوري .

ولسوء الحظ فان مثل هذا الحادث والدروس المستفادة منه لم يكن يسترعى انتباه المسؤولين في القاهرة ، فقد كان من المستغرب لدى السياسيين الذين عارضوا قيام الوحدة بهذا الشكل والأملوب انهم كانوا يعارضون قيام وحدة على أساس الحماسة الشعبية فقط ، وهؤلاء هم الذين لم يتأثروا بأفكار شخصيات حزب البعث وعقائدهم الغامضة ، وكان على هؤلاء ان ينشروا كل شيء على أساس قوى الرجعية التي ما تزال تتركز في قطاع الوطن العربي وصراعها مع القوى الثورية في المجتمع العربي ، كما أن الحكومة المصرية نشرع فوراً سياسة قمعية — عقب الانفصال — ضد الطبقة الرجعية هذه كمصادرة أملاكهم واعتقالهم بشكل جماعي باعتبارهم أعداء الشعب ، وباستمرار علاقاتها مع بقية العالم العربي ، معنى ذلك أن الحكومة المصرية آثرت طريق الاعتدال الذي طويرته منذ عام ١٩٥٩ وتبنت فكرة النورة النمسالية لقلب أنظمة الحكم المفابرة لها .

* * *

الفصل الثاني

الانفصال

سبتمبر ١٩٦١ - مارس ١٩٦٣

- ١ - ردود الفعل المصرية
- ٢ - ردود الفعل السورية
- ٣ - انشقاق حزب البعث
- ٤ - حكومة بشير العظم
- ٥ - عجز جامعة الدول العربية
- ٦ - الانقلابات العسكرية العراقية السورية

((ان الاختلافات الموجودة حاليا بين بعض العواصم امر طبيعي في هذه المرحلة من الثورة السياسية الاجتماعية . انها تثبت ان الوحدة العربية ليست خيالا أو أسطورة ، بل على العكس ، ان ما حدث لدليل أكيد وبرهان قوى على أن هذه الوحدة العربية وحدة حقيقية وأصيلة)) .

محمد حسنين هيكل — الأهرام فى ٩ مارس ١٩٦٢

من أجل الأبد ولوجيبين الواعين تمت حركة الانفصال السورى بدون اراقة دماء ، ولاشك أن الموافقة والتأييد الداخلى الذى لقبته حركة الانفصال أخذ شكلا واضحا . فالثورة تقف وحدها متحدية قوى الرجسية ، لقد دلت سنوات الوحدة على أنها مرحلة ناذة ، واذا كانت الوحدة العربية هى الارادة العامة للأمة العربية ، فلماذا كانت الأوضاع السورية تشكل مشكلة دائمة للرئيس عبد الناصر ؟ ولماذا أصبح ناصر متسامحا مع الملك سعود والملك حسين مع عدم ذكر اسم الامام السابق لليمن ؟ أما الآن فهذه الاسئلة لم تعد بحاجة لأن تثار ، لأن رد الفعل فى القاهرة نحو الانفصال كنا اعلام الحرب الدبلوماسية ضد الحكام المحافظين والانسحاب خلف حواجز لصرح النظام الاشتراكى فى الوطن العربى ، ولاشك أن الصورة لم تكن واضحة المعالم تماما بسبب وجود نظام حكم قاسم بالعراق ، ومع ذلك يمكن أن نصف حكم قاسم بالعراق — صراحة — بأنه كان حكما يحمل عوامل فنائه وزواله .

وفي خطاب حماسي في ١٦ أكتوبر أعلن الرئيس عبد الناصر الخطوط الرئيسية للوقف الأيديولوجي والسياسي المصري قائلا :

« يجب أن يكون لدينا الشجاعة للاعتراف بأخطائنا . يجب أن نلوم أنفسنا لانهايار الوحدة مع سوريا ، وإذا كانت هناك خطيئة التصقت بمصر ، فإن عبد الناصر يعطن تحملها برجولة على عاتقه » لكن ماذا كان الخطأ الذي اعترف به عبد الناصر باسم مصر ؟

كانت مواقف الرجعية داخل سوريا وسياساتها وكذلك في الشؤون العربية الداخلية عامة، كان لابد أن نتعلم منها درسا قاسيا، ولا نثق إطلاقا بأي شخص مثل مأمون الكزبري والملك حسين ، والملك سعود ، ولا نلتمس عذرا لهم من أجل التضامن معهم مرة ثانية ، وإن من المستحيل بعث الأمة العربية بدون اكمال مسيرة النضال والثورة ضد قوى الرجعية هذه ، فعبد الناصر لم يعارض أحداث الانفصال بالقوة لأنه لم يكن راغبا في اراقاة الدماء للشعوب العربية، كما أن عبد الناصر لم يكن يتخيل أن يحدث من الشعب السوري النبيل ماحدث ، أن الذي طعنه من الخلف هؤلاء الانفصاليون الأناييون ، وبرغم هذا لم تنتكر مصر لدورها وتتخل عن قدرها العربي ، وتعود مرة ثانية للعزلة ، وفي هذه الاثناء فإن مصر ستستمر في تسمية نفسها « الجمهورية العربية المتحدة » وبهذا الشكل الذي عرضه عبد الناصر بمهارته التكتيكية المعتادة ، تعالى عبد الناصر عن الكارثة ، ونمكن من الامساك بزمام المبادرة النفسى، اظهر بذلك أنه قوى الشخصية وذلك بتوجيه النقد الذاتى لنفسه ، ومن أجل ذلك امتدحه معارضوه ، ورفض الاعتراف بنظام الحكم الجديد في سوريا بل قطع العلاقات الدبلوماسية مع الأردن، وأعلن إلغاء الاتحاد الكونفدرالى الموجود بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن . كما اتهم الحكم الملكى فى العربية السعودية

بالرجعية والتعامل مع الغرب ، وهكذا عاد عبد الناصر مرة ثانية كخصم لهؤلاء الحكام الذين تحوم حولهم الشبهات في تأييد وتمويل حركة الانفصال السورية وادانهم بشكل صريح ، ويرى أن من الأفضل ادانتهم ، وقد وضعوا موضع المتهمين في نظر شعوبهم .

١ - ردود الفصيل المصرية :

تأكد لمصر أن استمرار قواتها بالكويت لبس في صالحها في الوقت الراهن ، ولذلك سارع عبد الناصر بسحب قواته من الكويت ، ولم يعد المصريون يفكرون في استمرار بقائهم في الكويت بجانب الوحدات العسكرية : السورية والأردنية والسعودية ولم يفكر عبد الناصر في مهاجمة هذه الحكومات إذ ربما يحتاج إلى تعاونهم ضد عبد الكريم قاسم ، إذ كانت العلاقات متوترة بينه وبين شركة بترول العراق الانجليزية ، وربما انسحاب القوات المصرية من الكويت يفرض قاسم على تكرار هجومه على الكويت ، وإذا ما حدث هذا فانه سوف يشتبك مرة ثانية مع الأردن والسعودية .

ولكن قاسم لم يفكر في الهجوم ثانية على الكويت ، وان كان لم يسقط ادعاءاته بها . وفي محاولة مسرحية عديمة الجدوى قام باستدعاء سفرائه الممثلين له في بلاد الشرق الأوسط ، تلك الدول التي اعترفت باستقلال الكويت ، في وقت كانت فيه الكويت قد انضمت كعضو في جامعة الدول العربية .

وردت العراق على ذلك بمقاطعة جلسات جامعة الدول العربية ، ولكن هذا المسلك خدم موقف مصر الثوري بشكل جيد ، ومن خلال هذه المواقف استعاد عبد الناصر لنفسه النقاء

الايديولوجى ، بحيث أن حزب البعث ونقادا آخرين راديكاليين أبدوا استياءهم من سياسة عبد الناصر منذ ١٩٥٩ ، ولكن من الواضح أن عبد الناصر استطاع أن يقول لأوبيديه ، ومناصريه ، أن موقفه ثابت لم يتضمن أية تنازلات عن مبادئه وسياسته ، وأنه تعاون فقط مع الناس بتنقون معه ازاء هذه المشكلة فى آرائه وأنكاره ، ومن خلال هذا الموقف استطاع عبد الناصر أن يستعيد شعبيته العربية أكثر من هؤلاء الذين وقفوا يؤيدونه أثناء أزمة السويس ١٩٥٦ ، وكذلك مولد الجمهورية العربية المتحدة ، ولكن فى عام ١٩٦١ كان عبدالناصر أكثر عزلة مما كان عليه الوضع فى عام ١٩٥٦ أو ١٩٥٨ ، كما أن حادث الانفصال أشار شعورا هائلا بالعزلة وخيبة الأمل عند الاتحاديين العرب ، هذا بجانب المصريين المعقدين سياسيا . . وهكذا حدد عبد الناصر بأنه سيبدل كل الجهود المبذولة من قبل الثورة المصرية ، لخلق وعى عربى ، ولا شك أن عبد الناصر بإمكانه استغلال هذا الموقف لصالحه أحسن استغلال ، وذلك باستخدام الأسلوب الثورى . ولاتك أن الموقف سيكون سهلا بالنسبة لشخصية عبد الناصر بأن يقف بكل كبرياء وحيدا فى العالم العربى عندما انفض عنه الكثير من المصريين الذين ملوا التدخل فى مشاكل الوطن العربى ومغامراتهم ، كل المقتنعين من الوجوديين العرب أو المقتنعين بالعزلة من المصريين استطاعوا أن يؤيدوا بل يدعموا السياسة الجديدة مادامت لا تنعكس على مصر بشكل مباشر .

وأوضح محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، السياسة العربية الجديدة للجمهورية العربية المتحدة بالتمييز بين سياسة مصر كدولة وسياستها كدولة نائرة .

مصر كدولة تتعامل مع كل الحكومات العربية أيا كان نظامها وتتخذ مكانها الى جانبهم فى الجامعة العربية وكذلك الأمم المتحدة

وتعقد معها الاتفاقيات سواء كانت دفاعية أو تجارية أو ثقافية .. الخ .

ومصر كثورة تتعامل مع الشعب فقط ، وهذا لا يعنى تدخلا من جانبها فى شئون الدول الأخرى الداخلية ، ولأن المقدمة المنطقية الأساسية لنضالنا هو أن العرب أمة واحدة ، وإذا ما اعترفت مصر بالحدود فى معاملاتها مع الحكومات فإن مصر كثورة لن تتردد فى القيام بدورها ولا تفضل أن تقف عند الحدود ، ولكن يجب أن تحل رسالتها من خلال حركتها ، ولاحق لنا بأن نفصل أنفسنا عن نضال المواطنين الآخرين لأمتنا ، أن مصر كثورة لن تكون حكومة القاهرة ، ولكنها حزب تقدمى ضمن إطار الأمة العربية ، وبالتالي يجب أن تحدد كل العناصر التقدمية للأمة ، وتقف إلى جانبهم بشكل علنى وتدعم موقفهم ويجب أن نعمل ما نرى وسنعا للتعاون مع الحكومات . ولكن يجب ألا نبد ذلك التعاون إلى الدرجة التى تتأثر بها الحركات الشعبية ، وإذا ما استخدمت الجامعة العربية لنل حركتنا فسنكون مستعدين لتجديد عمليات تلك المؤسسة وسنكون مستعدين أيضا لقطع العلاقات الرسمية مع أى بلد عربى تحكمه القوى الرجعية إذا ما اشتد الضغط علينا لوقف ميلنا الطبيعى للحرية والاشتراكية والوحدة لكل شعوب الأمة العربية (١) .

هذا التحول وجد فى نفسة عبد الناصر تجاوبا وتغييرا فى الشعارات حيث كان من المألوف سابقا التحدث عن وحدة الصف العربى بين أنظمة الحكم العربية ذات السياسات الداخلية المختلفة ليحسن مواجهة الأخطار والاضغوط الخارجية ، فإن وحدة الصف العربى الآن أفسحت المجال لفكرة وحدة الهدف ، وقد وجهه للتسارع

١ . (١) . الأهرام فى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٦٢ .

الجديد اتهامات من دمشق وعمان والرياض بأن ناصر كان يحطم التضامن العربي ، وأعلن ناصر قائلاً (*) :

« هناك أشخاص يتكلمون عن تمزيق وحدة الصف العربي ، وقد تحدثوا عنها منذ أيام قليلة مضت بحتمية وحدة الصف العربي ، ولكن ماذا كان هدف مثل تلك الوحدة ؟ هل كانت لخدمة مصالح الامبرياليين أو لخدمة مصالح الأمة العربية ؟ ان الوحدة من أجل الاهداف أكثر أهمية من وحدة الصفوف ، اننا ندعو من أجل وحدة الهدف وننظر بارتباب وشك للشعارات المناداة لوحدة الصف ، ووحدة الصف المرتكزة على اهداف مختلفة يمكن أن تقود الأمة بكاملها الى الخطر . . انه يعني أننا ندخر قليلا لطموحائنا ، أننا نبحث لتحقيق وحدة الهدف في المقام الاول . . مثل هذه الوحدة يمكن أن تقود الى وحدة الصف لأن وحدة الهدف تشكل وحدة الشعوب العربية ، وكل الشعوب العربية لها نفس الهدف لكن حكما ما يعملون من أجل اهداف أخرى لذلك فهم يزورون الشعارات ويطلبون وحدة الصف » .

فمن هذا المنطلق كان من سياسة مصر ليس فقط الاعتراف بها ، ولكن العمل من أجل وحدة الصف العربي والتضامن العربي . وفي هذا الصدد كتب محمد حسنين هيكل بقول :

« ان الجمهورية العربية المتحدة يجب عليها أن تتجنب مثل هذا التضامن وتعامله بنوع من الفتور ، ومع إيمانها بحتمية الثورة العربية ، يجب أن تصرح برأبها وتصر على اختلافه . . والسبب وضعها التاريخي فهي مسئولة عن الثورة العربية والوحدة العربية ،

(*) انظر مجموعة خطب وتوجيهات عبد الناصر في ١٩٦٢/٢/٢٢ ج ٢ .

(المترجم)

انها لبست فى حاجة لاعلان التضامن مع بعض الاحكام ، عليها أن تقف بحزم امام كل الشموب . ان مدى هذا التعريف الجازم سيكون مدى نجاحه فى القضايا العربية الشاملة لكامل الأمة (٢) .

ويمكن الاستعانة بوضع نتائج المقتطفات فى منظور واضح اذا لاحظنا موازاتها لمظاهر معينة من النظرية اللينينية والستالينية وممارستها مصدر الهام ، وبالمصادفة ذات أهمية عظمى لقادة الثورة المصرية ابتداء من عام ١٩٦٠ وما بعدها . أولا كان عودة لتكريس الجهد للأهداف الثورية المحلية بعد الانفصال السورى وتقليل الاتصال الدبلوماسى مع الدول المجاورة التى كانت من صفات المظهر الستالينى للاشتراكنة فى بلد واحد ، كانت التطورات فى مصر فى هذا الوقت أدنى من الخط الموازى لقرارات القاميم فى يوليو ١٩٦١ ، اذ أعقب ذلك موجة من الاعتقالات ومصادرة الأملاك ، وكان هذا العمل ضد الطبقة العليا التى واجهت حملة دعاية ضدها فى شهر اكتوبر من نفس العام ، وترتب على ذلك حل البرلمان ، والاتحاد القومى بحجة تسرب الرجعية الى هذه المؤسسات ، وتقرر تغيير الاتحاد القومى بنظام جديد هو «الاتحاد الاشتراكى» وفى مايو ١٩٦٢ صدرت قرارات رسمية تحدد المبادئ الايديولوجية الثورية ، وكانت هذه القرارات تشبه قرارات الكومنترن Comintern فى الثلاثينات من هذا القرن ، معنى هذا أن مثل هذه السياسة لا تناسب طبيعة المجتمع والشعب المصرى . وكانت السياسة المصرية مثل تلك التى كانت فى الاتحاد السوفيتى ، ونظم الحكم الايديولوجية الأخرى التى كانت سائدة فى الثلاثينات .

وكان هناك شعور بالقدر والحمية التاريخية . . والمسئولية الاخلاقية العربية والتحرر من القيود ، وذلك بالتعالى الخاص الذى

(٢) الاهرام فى ٩ مارس ١٩٦٢ . . .

يصيب الحملات العنيفة لأسباب مختلفة عندما يصبحون مشغولين بالتبرير الذاتى العلمى ، وبهذا الشكل فإن وحدة الهدف بأية عبارة يدركها عبد الناصر يمكن أن تعنى أنها تشكل وحدة الشعوب العربية .

والجمهورية العربية المتحدة بسبب وضعها التاريخى يمكن أن يظن أنها المسئولة عن الثورة العربية، وكذلك الوحدة العربية . إن صياغة الاعلان الأيديولوجى فى القاهرة فى نهاية عام ١٩٦١ أصبحت مسألة منعمة بالمراجع الماركسية المزيغة للحتمية التاريخية، لقد تقرر إلغاء التناقضات الاجتماعية ، والأسلوب الثورى العلمى ، وتقرر وحدة النضال ضد التكتل من قوى الشر (الامبريالية ، والصهيونية ، والرجعية ، والاستقلال) ورغم التناقضات الظاهرة فإن له أهدافا ومسيرة فى عرض واحد موجه بواسطة الامبريالية ، ولا يهنا عنا مناقشة مسألة المد الثورى الذى كان ينادى به جمال عبد الناصر سواء كان هذا المد الثورى لينينيا أو ستالينيا . أما فى الأفكار والممارسات ، فإن الجو الأيديولوجى فى ١٩٦١/١٩٦٢ كانت له صفات مميزة : التحدى الثورى ، والحث على تقديس النفعية ، التى أصبحت بالوعة للعديد من الأوربيين قبل هذا الجيل (٣) .

وبالنسبة للانصار الملتزمين بالجمهورية العربية المتحدة فى هذا الوقت ، فقد ساعدت هذه الصفات على جعل كل شىء يبدو بسيطا وبشكل رائع وحررت عقولهم من وخز الضمير الذى يثبته عادة الاهتمام الجاد بالأمور العالمية ، مع تغيير اتحيازهم وتكتيكاتهم فى الوقت المناسب بطبيعة الحال ، فالأحداث المتغيرة كانت ملزمة مع عودة التعقيدات ولكن منذ سنة ونصف السنة — وقت حدوث

(٢) عضو مجلس حزب البعث السورى — عبد الله الريسوى
Remawi: حديث من اذاعة صوت العرب فى ٤ يوتية ١٩٦٢ .

الانفصال — كانت الظروف الدبلوماسية أعفت كثيرين من الاتحاديين العرب من الحاجة لاتخاذ القرارات الصعبة من الولاء ، بينما التفسيرات من القاهرة أعفتهم من ضرورة تحمل مواقف مؤلمة لاختيار المقدمة المنطقية لحركة الاتحاد العربى . كانت هناك قوة تقدمية واحدة على الساحة ، وكانت الجمهورية العربية المتحدة محاطة بالاعداء ، فقد كانت الرجعية السورية ضد تيار التاريخ . وعلى اثر الانفصال بدأ المصريون يتشككون فى القومية العربية وبلغ الغضب بالمصريين مداه ، نتيجة لتجربتهم الوجودية مع سوريا ، وكم عانى المصريون من المشاريع والأفكار الوجودية بالنسبة لدول المشرق العربى .

وان كان رد الفعل فى سوريا أمرا مختلفا تماما فبعضهم كان يشعر بالراحة النفسية لحادث الانفصال ، والبعض الآخر لا يسره هذا الاتجاه ، وتوجد فئة ثالثة تنقسم بالجغرافيا والكبرياء .

فالفئة الأولى تمثل غالبية الشعب السورى الذى كان يرغب حقا فى استمرار الوحدة مع مصر بالرغم من كل سلوكيات المصريين وتصرفاتهم التى شابت تطبيق مبادئ الوحدة ، وخاصة أنهم الجهاز المسئول عن تنفيذ قرارات الوحدة فى الاقليم السورى .

أما الفئة الثانية من الشعب السورى ، الذى فقد كل احساس وطنى أو قومى سواء كان ذلك فى الماضى أو المستقبل ، فهؤلاء يمثلون نبلاء الشعب السورى ، وفى نفس الوقت كان من الصعب على المصريين مهما كانت الأسباب أن يقبلوا مثل هذا الاتهام لأن دولتهم — مصر — تقع على عاتقها مسئولية الوحدة مستقبلا مهما كانت مسئولية المصريين فى سوريا ، وعلى هذا فالمسئولية تقع بالدرجة الأولى على سياسة ومسئولية الحكومات العربية ازاء الوحدة العربية .

وتتبع المسؤولية على القادة السياسيين المصريين ، ومدى تمسكهم بالوحدة العربية ، وبهذا لا يفرضون على أنفسهم العزلة عن العالم العربي بشرط أن ينادى العرب بمبادئ القيادة المصرية التي بدأت تنشر مبادئها الثورية منذ عام ١٩٥٢ ، وكانت أحاديث الرئيس عبد الناصر وكذلك الصحافة المصرية تركز على هذا الجانب (بأن الوحدة العربية أمر حتمي ومعيّر) وكثير من المصريين كانوا مقتنعين تماما بمثل هذا الاتجاه .

ومثل هذه المبادئ الأيديولوجية كانت أمرا حتميا من أجل القومية العربية الشاملة . وهذه كانت باستمرار توجهات القيادة السياسية المصرية خاصة في مراحل الانعزال عن العالم العربي .

ولاشك كانت هذه توجهات القيادة المصرية في مواجهة حلف بغداد ، وكذلك ضغوط الدول الغربية على المنطقة قبل حرب السويس وبعدها مشروع ايزنهاور Eisenhower للدفاع عن الشرق الأوسط عام ١٩٥٧ (*) .

بعد انفصال سوريا أخطر تحد - على الإطلاق - للمشاعر العربية لأنه كان صدمة قوية لزعماء سوريا ، وخسروا بذلك القاعدة

(*) جاء مشروع ايزنهاور للحد من الصراع في الشرق الأوسط عقب حرب السويس ١٩٥٦ - ١٩٥٧ وخروج مصر منها منتصرة على ثلاث دول : إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ، وانتهى النفوذ الاستعماري الإنجليزي الفرنسي في المنطقة ، وعلى أثر ذلك قدمت أمريكا في عهد الرئيس ايزنهاور هذا المشروع بهدف الدفاع عن المنطقة ضد التشرع الشيوعي ، ولكن كانت مصر هي أول الدول العربية الراضية لهذا المشروع وحرفست بقية الدول العربية على رفضه أيضا .

(الترجمة)

الشعبية التي كانوا يعتمدون عليها ، ويعولون عليها في سياستهم العربية منذ بداية عام ١٩٥٥ ، كما هددت سياسة سوريا الخارجية التي تقلصت الى أدنى درجة . ولم يمد لسوريا مكانة دولية تذكر كما قوبلت سوريا بهجوم شرس من قبل القاهرة موضحا موقفها للعرب بأنها لم تعد تنظر الى القومية العربية نظرة جادة .

٢ - ردود الفعل السورية :

لقد ساعدت الحملة المضادة التي شنتها القاهرة على تادة الانفصال السوريين بأن جعلتهم في حالة دفاع عن النفس ، وقد وجد السوريون أنفسهم في محاولة مستمرة لكي يبرهنوا على قضيتهم بخصوص القومية العربية والاشتراكية وذلك في مواجهة هجمات القاهرة المستمرة . فبالاهتمام بالقومية العربية بلغ مداه ، واية اقتراحات كانت كلها ضدهم ، ماداموا هم الذين فسسخوا عقد الوحدة وكلمة « انفصالي » خلقتها الدعاية الصادرة من القاهرة ، لكي تحمل معنى مرادفا للغدر والخيانة ، وهذه الصفات كانت توجه الى نظام الحكم في العراق ، كما تبني السوريون اسم « الجمهورية العربية السورية » من اجل دولتهم عقب الانفصال ، وروجوا على الفور - بين الحكومات العربية - خطة عمل من اجل وحدة فيدرالية عربية ، والقوا باللوم على المسؤولين المصريين بانهم هم السبب في حادث الانفصال نتيجة لموقفهم المتشدد وسياستهم الاستبدادية ومن ثم فهم يعتبرون اعداء للوحدة العربية ، وأن مدعهم - السوريين الانفصاليين - هو العمل على بناء وحدة أكثر تماسكا وأن يبدأوا بها صفحة جديدة ، على أسس أفضل .

وقد صجر بيان بتأييد حركة الانفصال السورية ، صادر من

دمشق في اليوم التالي من شهر أكتوبر عام ١٩٦١ ، ويحمل هذا البيان ثمانية عشر توقيعاً لزملاء سياسيين من مختلف الاتجاهات ويشتمل على :

خالد العظم — صبري العسلي — وبصفة خاصة زعيمى حزب البعث وهما : أكرم الحوراني ، وصلاح الدين البيطار (وقد ندم البيطار فيما بعد على ذلك) ، وقد كان ميشيل عفلق خـسـارج البلاد ، وبهذا لم يوقع على هذا البيان .

كما أصدر السياسيون الآخرون اعلاناتهم الخاصة بهم ، وهو يتضمن تأييد حركة الانفصال مثل فارس الخورى ، وسـلـطان الأطرش وأخيراً شكري القوتلى الذى قال : « لقد ميز حياتى تاريخان سعيدان هما يوم استقلال سوريا فى عام ١٩٤٦ وكذلك الوحدة السورية المصرية فى فبراير عام ١٩٥٨ ، لقد كنت أأمل أن أشارك فى المسئولية فى الدولة الجديدة . وأسـسـاهم فى جذب الشعوب العربية الأخرى الى إطار الوحدة ، ولكن خاب أملى بدرجة كبيرة ، لقد أنزل النظام الناصرى بغالبية السكان الى مرتبة الخونة ، وكان يحكمهم بالرعب والجبروت ، ويطأ بقدميه على شرف وكرامة المواطنين ، وأن السياسيين فى مصر لم يفهموا أن ما يمكن تطبيقه فى مصر لا يمكن تطبيقه بالتالى فى سوريا ، ولكى يبقوا على أنفسهم — سياسيين القاهرة — أطلقوا العنان لاهوائهم ونزعاتهم .

لقد كان عدد السوريين الذين تولوا مناصب مدنية أو عسكرية فى ظل الوحدة عدداً لا بأس به ، إلا أن هؤلاء رفضوا أن يدينوا حركة الانفصال حيث كان بعضهم — وقتها — فى القاهرة ، وآخرون هربوا الى هناك كى تحيلهم الحكومة المصرية الى المعاش مع هؤلاء العراقيين ، والمستبعدة السياسيين من الأردن لكى يمضى الجميع

وقته جالساً في محلات « لأباس » لشرب الشاي والقهوة ، أو في نادي الجزيرة الرياضي ليخوض في أحاديث القيل والقال .

لقد كان من الصعب بالنسبة لأعضاء الحكومة السورية الجديدة أن يقدموا أنفسهم كأشخاص تقدميين ، حيث أنهم ينتمون إلى طبقة سياسية سورية تقليدية ، مشهورة بامتلاك الأراضي ، والثروة التجارية ، مع مجموعة من الزعماء المحليين قائمة على السلطة والنفوذ العائلي المتوارث طويل الامد .

وفي أول شهر ديسمبر دعى الشعب إلى استفتاء عام على دستور سوري جديد ، وجاءت نتيجة هذا الاستفتاء بأغلبية ٩٧.٧٪ وان كانت هذه حالة مألوفة في الاستفتاءات التي تجرى في منطقة الشرق الأوسط ، فالإجراءات والمشرعون على الانتخابات تساعد على مثل هذه النتيجة ، حيث أن الناخبين يتقدمون بقصاصة ورق خضراء توضع في الصندوق ، ومعناها الموافقة ، وأخرى حمراء ومعناها غير موافق ، كما أن المرشحين في مثل هذه الانتخابات البرلمانية من الطبقة التقليدية يكسبون /م/ المقاعد ، وقد اختير زعيمهم « لؤي الاتاسي » وناظم القدسي عن طريق البرلمان كرئيس للجمهورية ، ونائب له ، وكان المتحدث الجديد للبرلمان الدكتور مأمون الكزبري الذي كان يتولى منصب رئيس الوزراء في الحكومة الانفصالية السورية .

وفي ١٤ فبراير ألقى البرلمان الجديد معظم القرارات التشريعية التي سبق لعبد الناصر أن أصدرها في يوليو ١٩٦١ والتي أممت بموجبها كل البنوك وشركات التأمين ، والعديد من المنشآت الأخرى ، ومنع الأفراد من امتلاك أكثر من ١٠٠.٠٠٠ جنيه في المؤسسات الوطنية الأخرى ، فقد ألغيت قرارات التأميم ،

وأصدروا بدلا منها قانونا صناعيا أكثر اعتدالا ، كما أصبح الشيء المسموح به في المستقبل أن تفرض قبود معتدلة بهدف تركيز الملكية محدّدت أسهم المؤسسين في الشركات الجديدة بنسبة ١/٤ ، في حالة الشركات التي يزيد عمر انشائها على ١٠ سنوات ، أما ملكية الأفراد في الأسهم فقد حدّدت بحد أقصى ١٧٥٠٠ جنيه في كل شركة كما سمح للعمال بشراء أسهم هذه الشركات .

وقد وصف عدنان القوتلي وزير الاقتصاد القومي هذا الاجراء بقوله : « ان قرارات عام ١٩٦١ كانت تتسم بالارتجالية ، وعدم الدراسة المتأنية ، انما كانت بهدف الدعاية لنظام الحكم الناصري وان كانت هذه القرارات على المدى البعيد ليست لصالح العمال ، بل ان هذه القرارات أنكرت كل المكاسب التي حصل عليها هؤلاء العمال ، كما أنها لم تكن في صالح الاقتصاد القومي لأنها حرمتهم من تقدمه ورخائه ، وام تهدف الى اصلاح اقتصادي أو اجتماعي ، وفي الواقع هذه القرارات تمكن الحكام من التحكم في شؤون الناس ، وفي معيشتهم بطريقة غير مباشرة دون أن تشجع المواطنين أن يقيموا صناعات مزدهرة ، وبدون تأسيس أو ايجاد صلة بين العامل وصاحب العمل خاصة لأن القوانين السابق الإشارة إليها أهذرت مبادرة الفرد وجهوده الشخصية ووادت أية فكرة في اقامة مشروعات أو زيادة النشاط الصناعي » .

وهكذا أصبح القانون السوري الجديد هو القانون الذي يعطى وصفا ثابتا لفكرة الاشتراكية البناءة ، ويقيم عدالة اجتماعية حقيقية على عكس اشتراطات القوانين السابقة التي تتسم بالارتجال والدعاية الطنانة الجوفاء من أي مضمون حقيقي لصالح الشعب أو لصالح الاقتصاد الوطني .

ورد الرئيس عبد الناصر بإشارة عابرة في إحدى خطبه

بازدراء الى الرأسماليين والاحتكاريين الذين يتشبهون
بالاشتراكية . هذا اشارة الى مقالة وردت فى صحافة دمشق تطالب
برنامج اشتراكى مشابه لبرنامج حزب المحافظين البريطانى .

وطالما شعر الزعماء الانفصاليون السوريون بانهم اضطروا الى
التعلق بمثل هذه الشعارات : كالوحدة العربية والاشتراكية ، تلك
الشعارات التى أصبحت مرتبطة تماما باسم الزعيم عبد الناصر
فى مفهوم كثير من العرب ، وعلى هذا فقد اصبح زعماء الانفصال
فى سوريا يمارسون معركتهم بشكل مباشر مع القاهرة ، التى تعد
عائقا امامهم حتى فى الانتخابات البرلمانية التى كانوا يأملون ان تعمل
على تثبيت نفوذهم وتخفى عليهم شرعية ، وكان عبد الناصر قد
أعلن صراحة - عقب الانفصال - انه لن يتعامل مباشرة مع النظام
الانفصالى الحاكم فى دمشق ، والذى لا يمثل الشعب السورى مهما
لجأ الى دعم موقفه بالانتخابات البرلمانية . ونتيجة لموقف الرئيس
عبد الناصر ، فان زعماء الانفصال بدأوا يشعرون بالباس والقنوط ،
ويحاولون دعم موقفهم بكل الطرق والأساليب .

٣ - انشقاق حزب البعث :

ازاء هذه التطورات كان حزب البعث فى وضع اضطراب
متزايد لان زعماءه تركوا مكاتبهم قبل الانفصال بغترة طويلة ، وكانوا
لا يحملون اية مسئولية لقرارات يوليو البيضاء ، كما أنهم لم يلعبوا
اى دور متميز فى حادث الانفصال ، ولكن جاء اسم اكرم الحورانى
وصلاح الدين البيطار فى بيان الانفصال ، كما ان عددا كبيرا من
أنصارهم ترك حزب البعث احتجاجا على هذا التصرف غير الواعى
بمواقب الأمور .

وجدير بالذكر أن أكرم الحوراني حصل على مقعد في الانتخابات البرلمانية التي تمت عقب الانفصال ، في حين لم يتمكن صلاح الدين البيطار من الحصول على مقعده ، وسقط في هذه الانتخابات ، وبرغم هذا فقد انتقد أكرم الحوراني في جلسة البرلمان المنتخب الأولى بقوله : : ان تشريعات عبد الناصر الاقتصادية لا تتفق مع واقع الانسان العربي . وانتقد بشدة وعنف الاسلوب الذي طبقت به هذه التشريعات والقوانين التي لم تنل الدراسة الكافية ، ووافق أكرم الحوراني مع زعماء الحكومة السورية الانفصالية على تحدى عبد الناصر وسياسته ، وعلان بأعلى صوته انتهاء دكتاتورية عبد الناصر ، كما أنه كال الاتهامات للزعيم عبد الناصر بأنه تخلى عن قضية العرب ، وفلسطين ، وباع نفسه للولايات المتحدة الأمريكية في مقابل معونة اقتصادية(*) .

لقد فزع حزب ميشيل عفلق ، وصلاح الدين البيطار من تلك الاتهامات التي كالحا أكرم الحوراني للزعيم عبد الناصر والتي لا تستند الى حقائق تاريخية بقدر استنادها الى عواطف تشنجية جوفاء ، وراوا الابتعاد عن الحكومة السورية الانفصالية حتى لا يسيئوا الى أنفسهم وناريخهم باتصالهم بأكرم الحوراني وثورته الجامحة التي انتهجها الحوراني والرجعيون الانفصاليون ولجؤتهم الى تشويه سمعة عبد الناصر ، في وقت ألزم فيه حزب البعث السوري الا ينتقد عبد الناصر صراحة وبالاسم . كما انكر صلاح الدين البيطار توقيعه على بيان الانفصال ، في وقت رأى فيه أكرم الحوراني وميشيل عفلق ألا يصطدما مباشرة مع البيطار .

(*) ألقى عبد الناصر خطابا في ١٩٦٦/١٢/٢٣ بمناسبة عيد النصر في بورسعيد جاء به : اننى أرفض السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وانى أرفض معونتها الاقتصادية « خمسين مليون على الجزمة » .

(المترجم)

وفى وقت ما انساق جناحا حزب البعث بعيداً عن الواقع ،
فى ١٨ يونية أصدر الحوراني بياناً يعلن فيه تكوين حزب جديد
لنفسه ، وفى اليوم التالى أعلن ميشسيل عفلق أنه قد تم طرد
الحوراني واتباعه من الحزب ، وفى حقيقة الأمر لم يكن هذا القرار
نتيجة انفعال عفوى ، انما هذا القرار اتخذته الحزب فى الشهر
السابق فى بيروت ، وهكذا انتهى التحالف الذى حاول ان يقيمه
أكرم الحوراني مع ميشسيل عفلق فى أجنحة الحزب . . كما بقى العديد
من شركائه الذين عملوا كوزراء فى الحكومة الانفصالية . وفى نهاية
عام ١٩٦٣ تفاوض أكرم الحوراني بشأن « معاهدة وطنية » مع
رئيس الوزراء خالد العظم ، ومع زعيم الاخوان المسلمين عصام
القطار وهذان كانت تربطهما به صلات فى مرحلة مبكرة من تاريخه ،
اما ميشسيل عفلق وصالح الدين البيطار فقد قام بطردهما باعتبارهما
عنصرين لهما ميل ناصرية .

وتطورت الأحداث والمواقف ، فقد ظهر فى هذه الأثناء آراء
أخرى من بين المجموعة السياسية المحافظة التى تسيطر على
الحكومة ، حتى الجيش انشبق على نفسه ، وظهرت مجموعة
من بين ضباطه كانوا ضالعين فى حركة الانفصال ، فأفراد
هذه المجموعة كانوا يميلون الى السياسة اليسارية والأفكار
الاجتماعية أكثر من ميلهم للسياسة العربية ، كما انهم أيدوا حركة
الانفصال ليس بسبب التشريعات وقانون التأمين ، أو قانون الإصلاح
الزراعى ، ولا بسبب تفلغل النفوذ المصرى فى سوريا ، ولكن
غضب هؤلاء العسكريين كان نتيجة لشعورهم بالمهانة والذلة تحت
الحكم المصرى ، رغم ان الأيماءات التى صنعها السياسيون باسم
القومية العربية والاشتراكية كانت بهدف تهدئة الأمور والمواقف
المتوترة بين الجيش السورى والرأى العام فى سوريا .

كما كان كثير من الضباط البارزين في مناطق حلب وحمص عاجزين عن القيام بأى عمل ايجابى لوقف حركة الانفصال ، ولهذا تم التخلص منهم وابعادهم عن مواقع عملهم ، بينما الآخرون الذين ايدوا حركة الانفصال كانوا يرغبون فى انتهاز نفس السياسة الخارجية المصرية وكذلك السياسة الداخلية بقدر الامكان وقد تم القبض على الكولونيل حيدر الكزبرى قريب مأمون الكزبرى ، أحد العقول المدبرة للانفصال وهو المعروف بأرائه السياسية المحافظة وسجن لمدة عدة اسابيع بعد حادث الانفصال .

٤ - حكومة بشير العظم :

فى ٢٨ مارس ١٩٦٢ تحركت القيادة العليا للجيش فى مواجهة الحكم المدنى الذى نصب نفسه على الدولة ، وقبض على الرئيس القدى ، وكل أعضاء مجلس الوزراء بالاضافة الى القاء القبض على أعضاء بارزين فى البرلمان النسابى السورى ، وجهت اليهم تهمة استغلال السلطة والنخوذ والانغماس فى الفساد الادارى والرشوة ، كما أنهم يعدون مسئولين مسئولية كاملة عن فشل الوحدة السورية مع مصر .

وترتب على ذلك حدوث اضطرابات كبيرة فى كل أرجاء سوريا ، وانقسم ضباط الجيش على أنفسهم ، وانتهزت قلة سياسية معارضة فى مدينتى حلب وحمص لتعلن عن ارادتها فى اعادة الوحدة السورية مع مصر ، وكان أمل هذه الفئة أن تسارع مصر بالتدخل لصالحهم ، ولكن مصر رفضت التدخل فى شئون سوريا باعتبار أن ما يحدث هناك بمثابة أحداث داخلية بحتة ، الأمر الذى دعا هؤلاء الضباط الى تسليم انفسهم الى القوى العسكرية فى

دمشق ، واضطر مجموعة من هؤلاء الضباط الناصريين الى الهروب وتمت السيطرة على الموقف داخل سوريا ، كما تم ابعاد ستة مع كبار الضباط ذوي الميل الناصرية الى اوربا ، وان كانت أحداث هذه المرحلة مازال يكتنفها الغموض ، وما زالت سرا من الاسرار ، ولكن أصبح من المؤكد أن كبار الضباط في الجيش كانوا عاجزين عجزا سياسيا كاملا . فلم يكونوا فقط غير ملائمين للموقف ، فضلا عن عدم وجود انسجام تام بين هؤلاء الضباط ، هذا بالإضافة الى عجزهم التام في ادارة شؤون البلاد من خلال حكومة مدنية محترفة ، كما اضطرهم في نهاية الأمر الى الانحياز للأمر الواقع ، واطلاق سراح الضباط الذين تم القبض عليهم ، كما طلبوا من الرئيس القدسي العودة الى منصبه ، وكان البرلمان قد صدر قرار بحله رسميا ، كما أقيمت الوزارة التي كان يرأسها الدكتور بشير العظم المعروف بنظريته الأكثر تقدمية ، والذي كان مسيطرا على الادارة التي ترى عودة الوحدة مع مصر ، بدلا من وزارة الدواليبي . ورحبت القاهرة بحذر شديد بالوزارة الجديدة ، التي اتخذت عدة اجراءات لكي تهدئ من المشاعر الناصرية ، كما تم اعادة تأميم الشركة الخماسية ، وهي أكبر مجمع صناعي ، كما ألغيت التعديلات السابقة في تشريع قانون الاصلاح الزراعي عام ١٩٥٨ ، كما أعلنت الحكومة أنها تعمل نحو الوحدة مع الأقطار العربية المستقلة خاصة مع الدولة الشقيقة مصر وكذلك العراق .

وقد تم التفاوض تماما من قبل هذه الوزارة الجديدة عن الحقيقة النابتة ، بأن مصر والعراق نادرا ما يكون بينهما وفاق ، وتم تشكيل لجنة على أعلى مستوى ، وروعي الدقة في اختيار شخصياتها وذلك بهدف اصدار توصيات بخطوات محددة نحو الوحدة العربية . وقد ألح الدكتور بشير العظم رئيس الوزراء بقوله : ان الرئيس جمال عبد الناصر طعن من الخلف بانفصال سوريا .

نحان الموقف الرسمي السوري يتحرك نحو القاهرة
لتهدئة الموقف في النظام المصري ، وبعد فترة وجيزة من الصمت
والحذر الذي يكتنفه التحفظ الشديد ، أعقبتها حملة من الصحافة
والإذاعة المصرية للتنديد بحكومة بشير العظم وان كانت أفضل
الى حد ما من الحكومة السابقة ، كما اتهمت اذاعة القاهرة حكومة
بشير العظم بأنها واقعة تحت تأثير أكرم الحوراني الخائن ، مما
اضطر حكومة العظم للرد على هذه الاتهامات والهجمات المصرية ،
كما ارتفعت شكوى سوريا من محاولات التخريب والتدمير المزعومة
من قبل حكومة القاهرة ، والتي يقوم بها عملاء مصريون مخربون
يتسللون الى داخل سوريا من خلال لبنان ، وقد أدت هذه الشكاوى
الى مواجهة عنيفة عند اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في
نهاية شهر اغسطس ، والذي عقد في المدينة اللبنانية شستورا
Shtura ، وقد اهتم مجلس جامعة الدول العربية بنقطة الخلاف
والصدام بين الطرفين : القاهرة ودمشق ، وبايماء استفزازية تم
حسابها جيدا أرسلت الجمهورية العربية المتحدة وفدا متضمنا
مجموعة من ٣٠ شخصية سورية من بين هؤلاء الذين استقروا في
القاهرة عقب حادث الانفصال ، يرأسهم الوزير أكرم الديري وهو
ضابط سابق بالجيش السوري ، ووزع المندوبون السوريون
بدورهم نسخا من « الكتاب الأسود » الذي قدم عرضا مفصلا عن
أخطاء السلطات السورية أثناء الوحدة ، وبذلك دخلت سوريا مرحلة
جديدة في الخلاف مع القاهرة ، وهددت الاتهامات للقاهرة بالتدخل
في شؤون سوريا . كما اتهمت حكومة الجمهورية العربية المتحدة
حكومة دمشق بتدبيرها حملة تعذيب ضد العناصر الوطنية في
سوريا وذلك خدمة للمصالح الاستعمارية ، وبعدها اتهم السوريون
الجمهورية العربية المتحدة في القاهرة ، بأنها كانت تعمل سرا مع

الولايات المتحدة الأمريكية لكي تؤجل نظر القضية الفلسطينية ،
وقدمت الى مجلس جامعة الدول العربية مستندات رسمية تؤكد
هذا الاتهام ، وانتهت هذه الجلسة الخاصة لجامعة الدول العربية
دون أن تضع حدا لاختلاف وجهتى نظر القاهرة ودمشق ، مما أدى
الى تباعد الطرفين ربحا من الزمن .

٥ - عجز جامعة الدول العربية :

نتيجة للدور الذى قامت به سوريا رأى وفد الجمهورية العربية
المتحدة الانسحاب من اجتماع شتورا بلبنان ، وذلك احتجاجا على
اقتراعات الحكومة السورية ، وقال الديري « لقد أصبح مجلس
الجامعة العربية بالنسبة لدولها الاعضاء بغير فائدة ، وان هذا
المجلس ليس بإمكانه القيام بأى عمل ايجابى من أجل تحقيق آمال
النضال العربى ، وانهار عبد الخالق حسونة الأمين العام لمجلس
الجامعة العربية ، كما ارتبك بقية أعضاء الوفود تجاه هذه المسألة
برمتها ، وصوتوا عشرة أصوات ضد صوت واحد ، وهو الصوت
السورى ، ضد تدخل الجمهورية العربية المتحدة فى الشؤون
السورية ، وان المجلس لا يمكنه الاستمرار فى مناقشة الشكوى
السورية ضد مصر ، نظرا لانسحاب وفد الجمهورية العربية
المتحدة ، وتجاهلت حكومة القاهرة المجلس منذ ذلك الوقت فصاعدا
لمدة عام ، مع ملاحظة أن حكومة العراق مازالت تفكر فى حضور
الاجتماع من عدمه ، كما أن حكومة الكويت رفضت حضور هذا
الاجتماع فى شتورا .

وتلا ذلك حدوث مواقف تدل على ما وصلت اليه جامعة
الدول العربية من عجز فى كثير من القضايا والمسائل ، منها عجزها
ان تلعب دورا فى الحرب الاهلية فى اليمن ، التى نشبت فى .

سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وهذا النزاع اليمنى الذى دخلت فيه مصر
والملكة العربية السعودية والأردن ، ونشوب نزاع بين مصر
وسوريا حيث تركز هذا النزاع حول طرد مندوب مكتب جامعة
الدول العربية لمقاطعة اسرائيل فى يناير ١٩٦٣ ، وكان المندوب
الدكتور عبد الكريم العبدى وأعضاء القيادة الدائمة يستقرون فى
دمشق ، وكان الدكتور العبدى قد تقلد منصبه منذ عام ١٩٥٠ ،
وهو أحد السوريين ذوى المناصب العالية فى جامعة الدول العربية،
وقد نال كره وبغض المصريين عليه ، حينما تمكن من اغراء الملحق
العسكرى المصرى فى بيروت بأن يسلمه وثائق مهمة تدين الحكومة
المصرية ، ولذلك أصدر عبد الخالق حسونة قراره باعفاء الدكتور
العبدى من منصبه بحجة بلوغه سن التقاعد ، وعين بدلا منه
« محمد محجوب » مصرى الجنسية كمندوب عن سوريا ، وأخذت
حكومة دمشق من هذا الحادث ذريعة لعداء القاهرة بشكل مباشر ،
ولم تعترف دمشق بقانونية تعيين محمد محجوب يؤيدها فى ذلك كل
من الأردن ، والعربية السعودية ، والعراق ، وبناء على ذلك
أقامت مكتب بمقاطعة خاصا بسوريا فى دمشق بكون تحت سيطرتها،
وأكدت أن العبدى قد تم تعيينه بتصويت مجلس جامعة الدول العربية
فى عام ١٩٥٠ بشكل قانونى وبالتالى لا يمكن طرده أو احلال أى
شخص بدلا منه الا من خلال تصويت جامعة الدول العربية ، وبانتهاء
يناير عام ١٩٦٣ دخل أعضاء مجلس جسامعة الدول العربية فى
سلسلة معقدة من المشاحنات والخلافات ، خاصة حينما تعرض
مجلس الجامعة لمشكلة أخرى ، اذ رفض العراق الاعتراف بالكويت
عضوا بمجلس الجامعة وعلى هذا الأساس استدعى العراق كل
سفرائه فى الدول العربية الممثلة فى مجلس جامعة الدول العربية،
فى وقت لم تكن فيه مصر معترفة بالنظام السورى ، بل قطعت
علاقاتها الدبلوماسية مع الأردن، كما قطعت مصر علاقاتها مع العربية

السعودية عقب قيام الثورة في اليمن ضد حكم الامام ، في وقت اعترفت فيه كل من : مصر ، العراق ، وسوريا ، ولبنان بالجمهورية اليمنية بينما اعترفت فيه العربية السعودية والأردن بنظام الامام الملكى .

كما كانت العلاقات السورية اللبنانية قد أسستها المواجهة التي كانت بين مصر وسوريا وبالتالي أغلقت الحدود بين البلدين ، وتعليقا على نزاع مكتب المقاطعة أشار صحفي لبناني بقوله : « ان اسرائيل بمكنها من الآن فصاعدا أن يكون لديها الاقتناع التام بأنها لم تعد البلد المعنى بالمقاطعة العربية حيث ان الدول العربية تقاطع بعضها البعض » .

وفي واقع الامر لم يكن يهتم الرئيس المصري عبد الناصر بعد حادث الانفصال في عام ١٩٦١ بكثير من الحكومات العربية الرجعية وقرر أن ينشر مبادئه الثورية ليثير الضغط الداخلى الشعبى على مثل هذه الحكومات العربية . وبهذا لم يعد يتعاون مع الحكومات المناهضة لسياسته وهى : السورية والعراقية والأردنية والعربية السعودية ، بل أكثر من هذا ازدراء مثل هذه الحكومات الرجعية ، ولهذا بدت له ثورة اليمن فرصة ذهبية يجب اغتناصها لمبادئه الثورية الى داخل الجزيرة العربية ، وتدخل الجيش المصرى لمساندة الثورة الشعبية ضد حكم الامام(*) ، بينما شعرت

(★) لقد وجد جمال عبد الناصر فرصته بتواجد قواته المسلحة على ارض اليمن ، ومن هنا يمكن له أن يتحكم في باب المندب جنوب البحر الأحمر ، وبهذا يمكنه أن يبطل مفعول حرية مرور اسرائيل عبره الى ابلات ، اذ اضطر عبد الناصر أن يسمح لاسرائيل بالتحكم في شرم الشيخ مقابل انسحابها من سيناء كاملة ، وكانت قد احتلتها أبان أحداث العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦ .
(المترجم)

كل من : السعودية والأردن بأنهما مضطرتان لمناصرة الملكية في اليمن ، حتى تنال هاتان الحكومتان تقدير شعوبهما ، وقد اعترفت كل من سوريا والعراق بثورة اليمن ولكن لم تقدما أية مساعدة تذكر ، إذ لم يكن لهما أي مصالح في اليمن يمكن الاستفادة منها .

وفي حالة سوريا ، فإن زعماءها المحافظين بصفة خاصة كانوا في موقف حرج من محاولاتهم الجادة لاجتاد وضلع خاص (تقدمي على وضع اليمن وشؤونها) ووقفت ضد التأييد الشعبي في سوريا لثورة اليمن وعلى هذا كانت تعارض مبدأ التدخل المصري الضخم في السياسة الداخلية لدولة عربية صديقة (وهذه السياسة تتفق مع شكواها ضد مصر ، التي كانت محل نقاش في شتورا) .

وعلى هذا أصبحت سوريا تسير في الاتجاه المضاد لمصالح الحكومات : السعودية والأردنية والتي تعتمد عليها في تأييدها ، وكان الوضع السوري يدل على ورطة الحكومة السورية في سياستها الداخلية والخارجية ، وأنه لم يعد لديها رصيد يمكن به أن تقاوم التحدي الثوري المصري دفاعا عن مصالحها المتحفظة ، ومن ثم لم يعد للسياسة السورية أي ملامح يمكن أن تقنع بها الشعب السوري .

٦ - الانقلابات العسكرية العراقية السورية :

لقد واكب المظهر الأخير الذي ساد العالم العربي ، والذي اتسم بالتمزق والضعف ، واكب هذا الوضع المزري الانقلاب العسكري العراقي ضد حكم عبد الكريم قاسم المعادي للثأرة

في ٨ فبراير عام ١٩٦٣ ، وتولى السلطة احد اجنحة حزب البعث العراقي ، ورحبت القاهرة بهذا النظام العراقي الجديد الذي اعلن عن اهدامه الاشتراكية التي يروج لها النظام المصري ، ومن ثم طار وفد عراقي — يمثل هذه الثورة — الى القاهرة لحضور احتفالات عيد الوحدة في ٢٢ فبراير (ويوافق هذا اليوم الذكرى السنوية لقيام الجمهورية العربية المتحدة) مع الرئيس عبد الناصر .

وفي هذا الوقت كان عبد الناصر له مشاكل عميقة الجذور مع البعثيين السوريين حدثت اثناء سنوات الوحدة وبعدها . وكان العراقيون الجدد يمثلون مجموعة من الشباب الذين تأثروا كثيرا بفكر وسياسة الرئيس عبد الناصر ، ومن ثم اعلنوا وقتها ان لديهم رغبة ملحة واكيدة في التعاون مع عبد الناصر .

وادرک عبد الناصر من الحدث معهم انهم يمثلون القوة العربية المنظمة الوحيدة في العراق ، وانهم كانوا يعدون لهذا الانقلاب طوال اربع سنوات مضت ، كما انهم نصبوا رئيسا للدولة بحل لقب بطل العراق عام ١٩٥٨ انه عبد السلام عارف .

ويقدر سرور وسعادة عبد الناصر بالانقلاب العسكري العراقي كان غضب وحزن الحكومة السورية ، خاصة ان النظام العراقي الجديد وقف من الحكومة السورية موقف العداء حيث همد العلاقات معها والتي كانت تجرى في الحكومة العراقية السابقة بهدف الحصول على مساعدات اقتصادية من الاتحاد السوفيتي والصين عن طريق العراق . كما ان النظام العراقي الجديد مارس القتل الجماعي ضد الشيوعيين ، والقاء القبض على كل الشيوعيين العراقيين والالقاء بهم في غياهب السجون .

وقد كان لحزب البعث العراقي مركز في دمشق ، وكان ميشيل عفلق يتولى منصب السكرتير لهذا المركز ، وكان الامل ان

يحدث تقارب بين العراقيين والسوريين في مجلس الحزب الوطني خاصة بعد أن تخلص حزب البعث السوري من أكرم الحوراني ، ولكن برغم هذا رفضت حكومة العراق الانسحاق وراء السياسة السورية المعادية لسياسة عبد الناصر ، رافضة بشدة حدوث أي تقارب ، وشعرت حكومة سوريا بعجزها عن قمع النشاط البعثي المتزايد ، وقد سمحوا لميشيل عفلق أن يتنقل بكل حرية بين دمشق وبغداد بهدف العمل على تقارب البلدين وحدوث وفاق بين النظامين . وواكب رحلات ميشيل عفلق هذه إصدار بيانات وتصريحات للصحافة ، كما حاول أن يقم وحدة بين العراق وسوريا ، وحقيقة كان موقف ميشيل عفلق ومحاولاته هذه انعكاسا للأوضاع المتردية في سوريا ، وشعورها بالضعف تماما كما حدث في عام ١٩٥٨ ، ومن جانب آخر كانت الحكومة السورية تجري محاولات مع مصر بهدف انقاذها من العراق نفسه ، وبرغم هذا لم يهتم العراقيون بالتعامل مع النظام السوري القائم ، أنهم ينتظرون موقفا آخر ، وفي تلك الأثناء كان العراقيون يعتقدون محادثات مطلولة مع عبد الناصر .

وقد حدث الانقلاب السوري بعد شهر واحد من انقلاب العراق (٨ مارس ١٩٦٣) وتم هذا الانقلاب بدون عناء أو حدوث عنف ، وهذا يدل على أن النظام الانقضى الذي انقض على الوحدة نظام ولد ضعيفا لا يستند على أية قوة ، وظل منذ عام ونصف العام يقاوم ويعاني من العقبات التي تعترضه ، وكثيرا ما كان يعاني من حدوث انشقاقات دينية ، ومعارك سياسية ، بين السياسيين والحزبيين ، وامتدت الخلافات الى صفوف القوات المسلحة ، وما يدل على هذا الوضع المزري أن تعاقبت على حكم سوريا أربع وزارات متتالية في خلال سبعة عشر شهرا ، وآخر هذا الوزارات كانت برئاسة « خالد العظم » ، وأن بدت هذه الوزارة

الأخيرة بظهر الاعتدال والاصلاح حيث القى القبض على الجنرال
« ظهر الدين » قائد الجيش ، وكذلك أكرم الحوراني والرئيس
القدسى ، وعندما حدث هذا الانقلاب — الأخير — ضد وزارة
خالد العظم ، اضطرر للالتجاء الى السفارة التركية وقبّع فى احدى
الشقق بالأدوار العليا من مبنى السفارة .

ومثلما حدث فى العراق ، تولى زمام الأمور فى سوريا مجموعة
من الضباط ومعهم مجموعة من المدنيين مجهولى الهوية تحت قيادة
« مجلس قيادة الثورة الوطنى » وعين مجلس وزرائه بقيادة بعنية،
وجيء بصلاح الدين البيطار رئيسا للوزراء ، وأعلن المجلس أنه
استولى على السلطة لى يكتر عن خطيئته الكبرى فى الانفصال
عن مصر عام ١٩٦١ ، ويعيد سوريا الى الوحدة مع الشقيقة
الكبرى مصر ، وايضا العراق ، وقد أبرق الرئيس عبد الناصر
الى سوريا مهثا ، وهذا الاتصال يحدث لأول مرة من قبل عبدالناصر
منذ حدوث جريمة الانفصال الفادر ، وتلا ذلك الاعتراف الدبلوماسى
يسوريا المستقلة ، وأشرق شمس الأمل على العالم العربى مرة
ثانية ، وعادت صورة الرئيس عبد الناصر لتعلق فى الشوارع
والمحال والنواخذ فى مدينتى دمشق وحلب ، وعادت الآمال تملأ
مخيلة عبد الناصر فى عودة الحياة الى القومية العربية الشاملة ،
وأدرك أنه كان على حق حينما رفض التهامون مع الرجعيين
والانفصاليين ومن ثم حدوث ثورتى العراق وسوريا وأصبح الطريق
الى احياء القومية العربية طريقا ممهدا ومفتوحا .

الفصل الثالث

مفاوضات القاهرة

مارس - أبريل ١٩٦٣

- ١ - النظام السوري الجديد
- ٢ - محادثات الوحدة عام ١٩٦٣
- ٣ - الاجتماعات السورية المصرية العراقية
- ٤ - الاجتماعات المصرية السورية
- ٥ - الجولة الأخيرة في المحادثات
- ٦ - التفاوض من أجل الوحدة
- ٧ - اتفاقية للموافقة

((أننا نواجه كثيراً من العقبات فيما يتعلق بإتمام الوحدة العربية بسبب أننا كعرب نتكلم كثيراً دون فعل حقيقى))

تصريح عبد الناصر للوفد السوري العراقى أثناء
المحادثات حول الوحدة فى القاهرة بتاريخ ١٢ مارس ١٩٦٣

لم يكن الانقلاب العسكرى فى ٨ مارس انقلابا بعثيا خالصا
اذ قاد هذا الانقلاب الجنرال زياد الحريرى ، وهو رجل ذو عقلية
مستقلة بعيد عن التيارات السياسية الحزبية ، وضابط له شهرة ،
وهو طموح بطبعه ، وكان يعمل من قبل قائدا على خط المواجهة
السورية الاسرائيلية .

والحريرى ليس له انتماءات حزبية ، وكان بعض البعثيين
يميلون — فى بعض المواقف — الى انتقاده حيث انه كان فى موقع
المسئولية ووقف من حادث الانفصال موقف اللامبالاة ، ويعزى الى
الجنرال زياد الحريرى انه هو الذى وضع خطة الانقلاب العسكرى
مع اثنين من الضباط غير الملتزمين الى أية احزاب سياسية وهما :
رشيد قطيئى رئيس الاستخبارات العسكرية ، ومحمد الصوغى
M-al-Sufi عضو القيادة العامة ، حيث انه خطط للانقلاب
فى ٧ مارس وابلغ هذه الخطة — فى سرية تامة — الى مختلف
الاحزاب السياسية التى تنادى بالقومية العربية . وزعماء البعث
وبعض الشخصيات الأخرى .

ولكن قبيل تنفيذ الخطة — وفي آخر لحظة — انسحب كل من الضابطان : رشيد قطيني ، ومحمد الصوفي ، بحجة أن كلمة السر تسربت الى الحكومة ومن ثم فإن السياسيين الوجوديين هم الذين أبلغوا بالنفاة خطة الانقلاب . الا أن زياد الحبري قرر أن يقوم بتنفيذ الخطة الموضوعة في موعدها وعلى مسؤوليته الشخصية .

ففي ٨ مارس قام الجنرال زياد الحبري بإبلاغ حزب البعث بهذا الإجراء ، وضمن بذلك مساعدة بعض الضباط له في تنفيذ هذه الخطة ، ولم يقل شيئا للأحزاب الأخرى ، ربما بدافع الخوف من وجود صلات بين هذه الأحزاب والجيش .

وهكذا ففي ٨ مارس عندما وقع الانقلاب العسكري ، سارع أعضاء حزب البعث للاجتماع منتهزين هذه الفرصة ، واتخذوا قرارا باستدعاء صلاح الدين البيطار ، وزعماء حزب البعث لكي يشكّلوا حكومة ، وسارعوا بإيقاظ كل من : قطيني وصوفي من نومهما لينصبوا الأول وزيرا للدفاع والآخر نائبا لرئيس الحكومة .

* * *

١ — النظام السوري الجديد :

لقد بحث الضباط الضالعون بعبء الانقلاب العسكري عن شخصية ملائمة ذات منزلة رفيعة لترأس مجلسهم الثوري ، واستقر رأيهم على رجل شاب معتدل السلوك ومناسب للموقف ، أنه الكولونيل لؤي الأتاسي ، وكان قد أمضى من قبل خمس سنوات كملحق عسكري في مصر ، وبعدها أمضى معظم أيام الوحدة المصرية السورية في وحدة عسكرية بالاسكندرية ثم قام برحلة قصيرة الى سفارة الجمهورية العربية المتحدة بموسكو وعاد

بعدها الى سوريا في اكتوبر عام ١٩٦١ ، وكان له دور مهم في ثورة الجيش التي حدثت في شهر مارس التالي عام ١٩٦١ خاصة في مدينة حلب ، ولهذا اودع السجن بلا محاكمة ، ووضع في سجن المزة حتى حدوث انقلاب ٨ مارس عام ١٩٦٣ ، وعندئذ استدعى من السجن وانتخب رئيسا لمجلس قيادة الثورة الوطني ، ولو أنه لم يكن بعثيا ، فقد كان له رفاق عديدون في حزب البعث نشاطيون معه .

وببدو أنه أختبر لهذا المنصب لكي يقود مجلس قيادة الثورة الوطني لا من أجل صلاته بالحزب ، ولكن لاكتسابه احترام كل فصائل الجيش نظرا لتصرفه الحكيم في حلب أثناء أحداث مارس عام ١٩٦١ .

ومن الغريب أن رجلا آخر مثل أمين الحافظ عضو مجلس قيادة الثورة ، وقائد اللواء ، لم يكن من الناحية الرسمية بعثيا ولكن بالنسبة لحالة الأتاسي ، فقد أسند اليه هذ المناصب من أجل سمعته الشخصية التي تتسم بالأمانة والاستقامة ثم كقائد عسكري في دير الزور ، ثم معلم في الكلية العسكرية ، ثم نبيه الحكومة الانفصال والحقتة بوظيفة الملق العسكري السوري في « بيونس آيرس » وقد كان أمين الحافظ شخصية أكثر ذكاء كما أنه يتصف بالحزم والجسم ، وسوف تتطور الأحداث سريعا ليصبح دكتاتور سوريا .

لقد تكونت وزارة البطار من أغلبية بعثية ، ولكن خصصت نصف مناصبها للمستقلين والأعضاء البارزين للمتظمات الوجدوية العربية الأخرى الذين أبلغوا بالانقلاب ، ويعتقد أنهم أبلغوا أيضا بوقف العملية ، ولكن في نهاية الأمر دعوا الى الانضمام للحكومة وهم : نهاد القاسم من الجبهة العربية المتحدة الذي صار نائبا لرئيس الوزراء ، وسامي الصوفاني من حركة الوحدة الاشتراكية ، وهاني الهندي ، وجهاد فاضل من الحركة الوطنية العربية .

وعلى المستوى المردى نكل من هذه الأحزاب الثلاثة كان من السهل أن يتفوق عليها حزب البعث فى القوة التنظيمية ، والمتابعة العسكرية ، والشهرة العامة ، كان زعمائها من غير المشهورين نسبيا ، فلقد قام نهاد القاسم بمهام منصب وزير العدل فى سوريا خلال فترة سنوات الوحدة ، و لكن لم يكن له دور يذكر بعد ذلك .

لقد كانت الحركة الوطنية العربية تتألف فى جزء كبير منها من طلبة الجامعات ، وشباب الخريجين ، وبصفة خاصة من طلبة الجامعة الأمريكية ببيروت (كما فى حالة هندى) ، حيث كان أول ظهور للمنظمة الى حزب الوجود . لقد كان لحركة القومية العربية ميزة ، انها منظمة على نطاق واسع وفى وحدات ليست مكتظة بالسكان وثبتة فى أنحاء مدن لبنان وسوريا والأردن والعراق ، وبحالة يمكن مقارنتها بتلك الخاصة بحزب البعث ، وخلال الوحدة عندما تغلب البعث على العلاقات الموثرة مع عبد الناصر ، اكتسبت حركة القومية العربية شهرة لأنها أكر المؤيدين ولاء لمبادئ عبد الناصر (أو أدوات فى عبون البعث) ومن ناحية أخرى طورت المقاومة العربية نفسها بالاهتمام قليلا بالاشتراكية أو أية أيديولوجية أخرى ، ومن الوحدة العربية نفسها .

لقد كان اتجاه عبد الناصر نفسه الى اليسار عام ١٩٦١ ، وكان للسرعة المتناهية لضميره المذهبي بعد ذلك الوقت ، وقد ترك كثيرا من أعضاء حركة القومية العربية الى الورااء بعيدا ، وفى أواخر عام ١٩٦٤ كانت سببا لبعض المناظرات داخل صفوف الحركة ، نالى أى مدى يجب أن يتساقوا وراء الزعيم فى هذا المجال .

ومن بين الأحزاب اللابعثية الثلاثة ، كان لحركة الوحدة الاشتراكية لسمامى مسووفان أكبر عضوية ، حيث يتألف من

الأعضاء السابقين لحزب البعث نفسه ، والذي انشأ بعد شهر سبتمبر عام ١٩٦١ احتجاجاً على توقيع الحوراني والبيطار على بيان الانفصال ، ورغم هذا الميراث من المشاعر الضعيفة في مارس ١٩٦٣ كانوا من المحتمل أكثر تعاطفاً للتعاون مع حزب البعث . لقد طرد أكرم الحوراني من الحزب ، ومن المعلوم أن صلاح البيطار ندم على توقيعته على بيان الانفصال ، ولكن سرعان ما فقدت تلك الواقعة أهميتها ، وأصبح البعثيون مرة أخرى أبطال الوحدة العربية ، وقد ظهر أن الأيديولوجية الموجهة التي شاركوا فيها مع حركة الوحدة الاشتراكية كانت بصفة عامة مبشرة بتعاون مجدد ، ولكن المعاملات بينهما لم تكن على قدم المساواة ، فكتب من السوريين لا يعترفون بحركة الوحدة الاشتراكية ، وخاصة سامي صوفان ، وكان ميشيل عفلق ، وصلاح الدين البيطار بينياني شهرتهما وحركتهما لمدة عشرين عاماً ، ولو أن هذه الأحزاب الثلاثة كانت على المستوى الفردي لها تقدير ثانوي فلا يمكن ادراك أن البعث بطريقة جماعية كان سيبدأ مدته في الحكم بتجاهلهم ، وهناك سبب آخر قد ألقنا إليه من قبل .

إن فيلق الضباط لم يكن كلية من أعضاء حزب البعث ، ولا من الضباط الذين لهم نفوذ واتجاه سياسي ، ولا من الضباط الذين ساهموا في حركة الانفصال عام ١٩٦١ ، إذ من المؤكد أن الضباط غير البعثيين كانوا ناصسريين أو غير ذلك ، فهذه الحكومة التي تشكلت في ٨ مارس لم تكن سوى ائتلاف يمكنها أن تقدم أي تأكيد لوقف حركة التطهير أو التنقلات بين فصائل الجيش ، وكان أجل مطمح يمكن أن تحققه هذه الحكومة هو التعامل مع الرئيس عبد الناصر ، وهو الهدف الأول لهذا الانقلاب وأن يجعل الوحدة العربية هي المطلب الأوحده ، وأيضاً تلاحم الثورة السورية مع الثورة العراقية ، فإن مثل هذا التلاحم يؤدي إلى تبلور فكرة الوحدة

العربية ، ويصبح من اليسر على حزبي البعث السوري والعراقي أن يتفاوضا معا بشأن الوحدة العربية ، ولابد من مجابهة عبد الناصر بشأن قيام الوحدة العربية تكفرا لهما عن جريمة الانفصال عام ١٩٦١ .

ان الوحدة العراقية السورية بدون الالتجاء الى المصريين تعد - في نظر العرب الوجوديين - وحدة غير شرعية ، وستكون عرضة للانتقاد والمناقشات الى الابد من جانب المصريين ، فمن الناحية العملية أظهرت الوحدة من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦١ أن شخصية عبد الناصر أظهرت كفاءتها ، وأنه بدون شخصه لا يمكن أن تقوم وحدة عربية سسليمية ، كما أثبتت فترة ما بعد الانفصال أنه بدون تسامح عبد الناصر لا يمكن تحقيق أى عمل ايجابي . وعلى أية حال فإنه بحكم انجاهاتهم المذهبية كان لابد أن تؤدي بهم الى اعادة فتح موضوع الوحدة المصرية السورية ، وفي هذا الوقت كان الابل بساورهم بالمساهمة مع العراق لصالحهم ولو اذ - لروا الى التعامل مع الرئيس عبد الناصر ، فمن الضروري التعامل مع أنساعهم السوريين كدليل لانخلاصهم ، أو اشارة الى مدى تقديروهم واحترامهم تجاه شخصية عبد الناصر الزعيم المصري الذي ظا ، متسكا بهبادئه وسبائسته ، وكان بأهل أن تعود سوريا رغم اريكابها لجريمة الانفصال ١٩٦١ الى رشدها وعقلها وتسير في ركاب الوحدة العربية(*) .

وهكذا نمان البعث برغم شجونه وقوته المذهبية كان لابد أن يركز على الشئون العربية . وقبل أن تستقر الأمور في دمشق ،

(*) لمزيد من التفصيل انظر حديث عبد الناصر الى مجلة « كل شيء » اللبنانية في ١٣/٥/١٩٦٢ . خطب ونصريحات عبد الناصر ، ج (١) ص ٣١ .
(المترجم)

بدأ حزب البعث بعلاقة مع الأحزاب ، الوجودية الثلاثة الأخرى التي
تلتزم بالدخول في مرحلة التنسيق من أجل قيام الوحدة العربية .
لقد بحثوا منح هذه الأحزاب دورا من الحرية ليتمكن التفاوض مع
عبد الناصر ، ولكنها حرة لا تعرض سيطرتهم للخطر ، سواء نحو
المفاوضات أو على الساحة السياسية للبلاد .

ولكن الأحزاب الأخرى كانت لها رؤيتها الخاصة في الوحدة ،
ومن الملاحظ أنهم شاركوا في الحكومة السورية ، وأنهم في اشتياق
للسفر جوا إلى القاهرة أكثر من البعثيين لأن هدفهم كان تحرير
من كل لبس ، أو غرض ، والبعثيون لم يبدوا لائسهم أن يدعوا
ثمنا غاليا لتحسينهم للوحدة ، ولم يستغنوا عن شركائهم ، ولم
يوافقوا على هذا النوع من الوحدة الذي ضلها شركائهم والتي
يمكن تلخيصها في شعار « عودة إلى ٢٧ سبتمبر » ، وأخيرا كان
لزما أن يتصادقوا مع الناصريين الذين لم يوافقوا على أن يكون
دورهم ثانويا ، ونتيجة لذلك اهتموا بدورهم مع الزعيم عبد الناصر
نفسه فيما بعد خمسة شهور ، بعد الصدام الذي حدث مع
عبد الناصر ، وان كان أمل الوحدة العربية قد تحطم تماما فان أعضاء
حزب البعث كانوا يشكون بأن موقف عبد الناصر المتشدد قد كلف
سوريا ثمنا غالبا ، ووقتا ضائعا كان يمكن الاستفادة به ، وهذا
الوقت كان يمكن أن يكرس بطريقة مثمرة أكثر نحو التقدم ، وكانوا
في ذلك الوقت قد وقعوا بالأحرف الأولى في مفاوضات القاهرة —
وكان التزامهم الأيديولوجي هو الدافع والمحرك لهذه المفاوضات مع
عبد الناصر ، وذلك على حساب الشئون الداخلية ، إلا
الانشغال ببعض الوقت بإبعاد منافسيهم من طريقهم وإقدامهم على
القيام بمضامرة من أجل الوحدة العربية .

٢ - معادلات الوحدة عام ١٩٦٣ :

كان مجال مناقشات الوحدة بالقاهرة (١) خلال شهرى مارس وأبريل عام ١٩٦٣ . وهذه المناقشات نشرت في السلطات المصرية فيما بعد وهي تعد وثيقة سياسية رائعة ولها أهمية من الدرجة الأولى للمهتمين بالشئون العربية ، وقد عقدت هذه الأحداث غير الرسمية والتي كانت تناقش بطريقة واضحة الوحدة الفيدرالية التي تمت من قبل بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، وجرت معظم هذه المناقشات - غير الرسمية - بين الرئيس عبد الناصر وزعماء حزب البعث السوري ، وهم : ميشيل عفلق ، وصالح الدس البطار ، وعبدالكريم زهور ، وتضمنت هذه الأحداث عتبا خاصا بين الطرفين خلال سنوات الوحدة ١٩٥٨/١٩٦١ ونشرها كاملا للموقف السوري في الوقت الراهن ، وموقفهم الأيديولوجي بالنسبة لمسائل الديمقراطية والاشتراكية ، ومنظمة الحزب ، واهتمت هذه الأحداث أيضا بالقضاء الضوء على شخصيات هؤلاء المشتركين في الحكم الآن ، وكان طبيعيا أن تكشف هذه الأحداث المتأنية عن مغزى ومنهج وهدف هذه المفاوضات التي يمكن أن نصفها بأنها بمثابة محضر تحقيق أكثر منها مفاوضات .

ولقد عتدت هذه الأحداث على ثلاث مراحل :

- خمسة اجتماعات سورية مصرية عراقية خلال المدة من ١٤ الى ١٦ مارس ١٩٦٣ .

(١) نص الأحداث طبع في الأهرام ، وأذيع بإذاعة القاهرة من ٢١ يونية الى ٢٢ يوليو ١٩٦٣ ، وبشرت هذه الأحداث فيما بعد في كتاب عنسوان « محضر جلسات الوحدة » وأذيعت الترجمة في إذاعة راديو القاهرة ، وأذيع في الحسول على ملخص لها في الإذاعة البريطانية ، كما يوجد ملخص للجزء الرابع ، الجامعة الأمريكية ، الوثائق السياسية العربية - بيروت عام ١٩٦٧ .

— خمسة اجتماعات ثنائية بين سوريا ومصر يومي ١٩ و ٢٠ مارس ١٩٦٣ .

— وأخيرا عشرة اجتماعات من ٦ الى ١٦ أبريل ، وكان أول جلستين بين مصر وسوريا فقط ، والثمانى الجاسات الباقية كانت ثلاثية : مصر وسوريا والعراق .

● **الجزء الأول :** خاص بالشكاوى التى كانت بين عبد الناصر وحزب البعث السورى حتى ٧ أبريل .

● **الجزء الثانى :** المفاوضات الثلاثة للوحدة الفيدرالية من ٧ الى ١٤ أبريل ويوحدون انبن من زعماء حزب البعث العراقى : على صالح السعدى ، والحسين شبيب ، فى الجلسة الاولى من تلك المحادثات تركزت على موقف سوريا وتدخل العراق بين الطرفين المتحاذين لتتحاز الى جانب موقف وسياسة حزب البعث السورى .

ان درجة الدقة فى تسجيل نص هذه المحادثات — تم نشرها — لم تكن دقيقة بالدرجة المطلوبة ، ونتيجة لذلك فقد ادعى السوريون أن المصريين قد عالجوا النص بطريقة تبدو بها آراء عبد الناصر واضحة مؤكدة فى عرضها ، بينما تبدو البيانات السورية مبتورة ، مشوهة ، حتى أن المرء يستطيع أن يتخيل أن هذه المحادثات كانت بمثابة مناظرة بين انبن من الصم (٢) .

وقد لاحظ المراقبون أيضا عدم دقة تسجيل بعض الصفحات زاعمين أن هناك اختلافات واضحة فضلا عن بتر أجزاء من هذه المحادثات ، ورغم أن وفد العراق حاول النظر الى هذه المسألة ،

(٢) لمزيد من التفصيلات راجع صحيفة البعث فى ٤ يونيو ١٩٦٣ .

فى أول لقاء ، وعند اكتشاف أن المحادثات غير دقيقة فى تسجيلها ، فقد حصارا على تأكيد (هكذا قالوا فيما بعد) أنه سيتم تسليمهم نسخة من نصر المحادثات بانتظام لبدء ملاحظاتهم على هذا التسجيل ، ولكن فى واقع الأمر لم يتم شىء من هذا .

وحدث سلاح الدين البطار للمؤلف بصفة قاطعة ، أن الجولة الثانية من المحادثات التى كان منها التسجيل الذى نشر بمعرفة ميشيل عفلق ، بفترة رديئة غير واضحة ، كما لم تكن هناك سكرتارية لتدوين الملاحظات ، وعندئذ النصوص المسجلة ، ولهذا فقد رأى لوى الناسى أن يحضر هذه سكرتارية خاصة فى الجولةتين : الثانية والثالثة من هذه المحادثات ، ورغم هذا فمن المحتمل أن النص الذى قد انتهى ، ولو حفظ أيضا أن النص المذاع كتاب مكتوب ، وقد " صانح البطار للمؤلف : أنه لم يقرأ النص المنشور أبدا ، وبعد ، زال كل من البطار ، وطالب شبيب بصفة خاصة ، تم تسجيل المحادثات بكل تفصيل ، فى مراحلها المختلفة . . واستنتج المؤلف أن جزءا كبيرا على الأقل من التسجيل الذى تم نشره دقيق بصفة عامة ، ولهذا فإن الصاغة المضبوطة للاقتباس فى أى فقرة (وردت فى ثلثي هذا الكتاب) يجب أن ينظر إليها بحذر ، ومع هذا التحفظ ، فإننا نتبع مراحل الملاحظات التى جرت فى القاهرة .

* * *

٢ — الاجتماعات السورية المصرية العراقية :

فى الاجتماع الانتخابى ، تخلص عبد الناصر من الحرص الخاص بحزب البعث السورى والعراقى ، وعرض أعضاء الوفدين على عبد الناصر قيام وحدة عربية شاملة وفورية وطلبوا منه ابداء شروطه . فرد عبد الناصر بتأثر شديد بقوله :

((انه ليس في مجلة من امره ، ومن الواجب عليكم ان تزيقوا قليلا حتى تحصل على اجابة نامة عن كل تساؤلاتي من الفريق السوري ، اذ من الضروري تصفية الموقف مع الوفد السوري ، وبعدها يرى الانسان ما يجب عمله)) .

لقد كان عبد الناصر على استعداد تام لقبول فكرة قيام وحدة اخرى مع ممثلى الحكومة السورية ، ولكن الأمور ليست بهذه البساطة ، خاصة مع أعضاء حزب البعث ، الذين فقد فيهم كل ثقة ، اذ لا بد من فحص سجل الوحدة السابقة ، ماذا كانت دروسها المستفادة ؟ ومن الذى يحكم سوريا الآن ؟ ومع من يتفاوض الآن ؟ وما هى وجهات نظر أعضاء حزب البعث فى تنظيم برنامج وحدة المستقبل ؟ وقال عبد الناصر : « اننا سنخبركم بشكوانا وستخبرونا بشكواكم ، سوف نمارس نقد الذات ، سوف نشرح لكم ابدولوجيتنا ، وانتم ستشرحون لنا ابدولوجيتكم ، وبعد ذلك سنقرر مقترحاتنا فيما يتعلق بالمستقبل وما يجب عمله » .

فى واقع الأمر ، لقد وضع الرئيس عبد الناصر هذه الأسئلة ، كحمل ثقيل على كاهل وكرامة حزب البعث ، واتضح للوفد السوري الموجود فى القاهرة كثير من الأمور ، وان كان هذا الوفد يفضل المثل القائل :

« عفا الله عما سلف » أما بالنسبة للرئيس عبد الناصر فقد لخص وجهة نظره بقوله :

((انه ينظر الى الأداء السابق لحزب البعث بالمخادعة والانتهازية ، وادعى هذا الحزب أن الاسـستقالـة الجماعية لوزراء حزب البعث فى ديسمبر عام ١٩٥٩ وكأنها انسحاب من الوحدة نفسها انها جريمة وطعنة فى الظهر ، وأنه يتوقع كل من أكرم الحوراني وصـلاح الدين البيطار على بيسان

الانفصال ، وكأنهما وقعا على ترخيص (بوقاة الوحدة)
وأكثر من ذلك فقد فقد ساوره الشك أن البعثيين رغم ادعاءاتهم
الفكرية ، فإنهم مبادئهم الأيديولوجية ولا تزيد على شهوة
شديدة للسيطرة . (١)

وعكذا كان الرئيس عبد الناصر واضحا تماما منذ البداية ،
ويمكن أن يبدأ المفاوضات إذا ما اعترف حزب البعث في سوريا
بأخطاء الماضي (والأمر موجه أيضا إلى وفد العراق) ويطلع الجميع
إلى «ميثاق العمل الوطني» الذي كثر الكلام عنه في مصر ،
وينظرون إلى التجربة المصرية من أجل تحقيق آمالهم ، ولو اعترف
حزب البعث في سوريا بأخطاء الماضي فإنهم بهذا سينتهجون طريق
التجربة المصرية الرائدة في التخطيط من أجل المستقبل ، ويجب
أن يكون حزب البعث السوري تابع لعبد الناصر ، وبهذا يمكن
حل كثير من المسائل الغامضة (٢) .

وقى بداية المحادثات ، كان المتحدثون السوريون مع
عبد الناصر ، في ظروف سيئة للغاية ، ففي بادئ الأمر تقابل نفر
منهم مع الرئيس عبد الناصر هم : نهاد القاسم الذي يعتبر رجلا
عبد الناصر ، وممثل حزب البعث ، وكذلك زهور ، وهو مدرس
سابق ومحرر بجريدة البعث وقد ظهر مؤخرا لبثسفل مكانة في
قيادات حزب البعث السوري ، ولو أنه كان عضوا في البرلمان
السوري خلال الفترة من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٨ ، تنقصه الخبرة كوزير
ومفاوض .

أما الحاضرون الآخرون فكانوا ضباطا في الجيش السوري
مجهولي الهوية ، وقفوا إبان الوحدة في هلع من شخصية

(٣) محاضر جلسات الوحدة ، ص ١٢ ، ١٣ .

عبد الناصر الأولى وبجواره المشير عبد الحكيم عامر ، وكذلك
الرسميون المصريون الواقفون بجوار عبد الناصر ، ولم يكن أحد
من السوريين في وضع يؤهله للرد على هجوم عبد الناصر ، أو
الوقوف أمامه وقفة الند للند ، إذ كان بالنسبة لهم « السيد الرئيس
صاحب السعادة » وكان هو بناديبهم بأسمائهم مجردة (٤) .

ولم يتمكن السوريون بأية حال من التفوه بشكواهم ، وشعر
الضباط بانعدام الثقة في أنفسهم بمن فيهم « زهور » برغم مرعته ،
لقد قال الجنرال القطاني Qutayni : « إن كل ضابط مصري
في سوريا — أثناء سنوات الوحدة — كان يتصرف كأنه جمال
عبد الناصر ، وشعر الضباط السوريون حينذاك بالتهيار وضعف
معنوياتهم لدرجة أنه في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ لم يكن لديهم أي
حائز لمعارضة « حركة الانفصال » وقد زعم زهور بدوره أن
أعضاء حزب البعث شعروا باهانة بالغة ، وأن إحلال « منظمة
الوحدة القومية » للأحزاب السياسية ، خلق فراغا للفشاشات
السياسية الذي خطا إليه الانفصاليون ، واستمر قائلا :

أما بالنسبة لما يفهمه الحزب عن الحرية والاشتراكية والوحدة،
فإن الحزب فخور أنه بعد ١٥ عاما أصبحت هذه الشعارات الآن
ملكا للأمة العربية كلها (مشيرا بالتلميح أن عبد الناصر نفسه نقل
مفاهيمه من حزب البعث) حقا لقد قرأنا ميثاق الجمهورية العربية
المتحدة ، ونوافق على معظم ما جاء به من آراء وأفكار ، ولكن
الميثاق ليس عملا مهما ، فالأهم هو تنظيم الاتحاد الاشتراكي
العربي ، وأتينا في انتظار النتائج (٥) .

(٤) تم تصحيح هذه الأسماء في هذه الطبعة .

(٥) محاضر جلسات الوحدة ص ١١ .

كانت هناك ملحوظات جديدة ، وفي اليوم التالي تجاوز زعمور حدا بعيدا وبطريقة واضحة ضاقت عبد الناصر ، وأكد أن المشكلة الحقيقية للوحدة السليمة كما زعم أنه بينما كانت الحركات الثورية في سوريا ، والميل في حزب البعث من الشعب ، لم تكن النورة في مصر لنا أرضية شعبية أصيلة ، ولهذا فرضت مصر سلطاتها من أعلى وذلك بإلغاء الأحزاب السورية ، وما ترتب على ذلك من فرض النظم الاستبدادية في سوريا ، وأكثر من ذلك فمصر على النقيض من ذلك حيث أن مصر لديها بيروقراطية متطورة فرضت فرضا على الجيش السوري وهناك وزراء مدنيون لا يستطيعون التكيف مع احتياجات المواقف المحلية (٦) .

كان هناك شعور بأن الحكومة المصرية تبحث دائما عن عملاء سريين في سوريا ، في وقت لم تهتم فيه بالتعامل مع السوريين ، وكونها تعتمد على خدمة سريّة فقط بعد شبرا خطيرا حدا لأن هذه الخدمة (من المخوض) أنها قوّة تساعد المنظمات الشعبية ، ولأن هذه المنظمات غير موجودة ، فإن الخدمة أصبحت مسيطرة ، والتقى كانت قليلة في نفوس السوريين ، ويرجع هذا في الحقيقة إلى أن السلطات في الجمهورية العربية المتحدة ، كانت تتعامل أولا مع البيروقراطيين والسياسيين تحت ظروف غير ثورية مناسبة ، وهم عادة ما يكونون منافقين ، كما أن السياسيين انتهازيون .

لقد كان ذلك كثيرا بالنسبة لعبد الناصر ، لقد أنكر أنه خلال واحد وعشرين عاما من النشاط الثوري ، قد اعتمد في يوم ما على عملاء ، لقد كان هذا نوعا من الأكاذيب التي وجهت مباشرة ضد

(٦) المرجع السابق ذكره ص ٢٢ .

الجمهورية العربية المتحدة منذ أيامها الأولى ، ويهدف تدمير الوحدة ، وما زال عبد الناصر يرد على زهور وكان يتحدث بانفعال شديد قائلا : « أود أن نذكروا لى أسما واحدا كان يعمل فى سوريا كعميل لنا ! اذكروا واحدا !! » .

واضطر السعدى أن يذكر خمسة أسماء على الفور ، كما بادر نهاد الجاسم بالهجوم مدعيا أن زهور كان واحدا من أدوات اللعبة لعبد الناصر ، ورد زهور بانفعال شديد أنه ينكر هذا الاتهام !! (٧) وهكذا شاجم السوريون بعضهم بعضا .

عند هذا الحد من الجدل والنقاش تساهل عبد الناصر ، من يحكم سوريا ؟ ورد عليه القطاى بأن هناك مجلسا يتكون من عشرة من العسكريين وعشرة مدنيين وأن هذا المجلس بهذا التشكيل مسئول عن التشريع والتخطيط السياسى . فرد عليه عبد الناصر بأن هذا لم يحدث إطلاقا مارشد قطاى ؟! تقدم لى النفاصل على صحة هذا الادعاء ، وهنا تلغى القطاى محاولا التملص من الموقف .

قال عبد الناصر : « أريد أن أعرف من هم الذين فى هذا المجلس الذى أمامى الآن ؟ ومع من سوف أوقع الوحدة ؟ أم أننى

(٧) عبيد ص ٢٨ - ٣٠ زعم أحد البعثيين الذين شياركوا فى حادث الانفصال ذكروا للمؤلف : أن عددا من التفاصيل المخرجة استجلبت من هذا القسم فى النسخة الأصلية للناشرين المصريين ، أحداها اعتراف عبد الناصر فى الحقيفة الى ماجير مؤيدى له من بين محررى الصحف والمجلات اللبنانية ، كما قام بمساعدة ١٧ منهم بتقديم مساعدات مالية لهم ، وتقطه أخرى آثارها السعدى زاعما أن فى المحادثات غير الرسمية - بعد الانفصال - وصله النقطة تحض الوزير العراقى البعثى « فؤاد الركابى » الذى اهتمته العراق بأنه استولى على مبلغ ٢٠ ألف جنيه مصرى يزعم أنها امانة مقدمة للحزب .

أتعجل مع الصباح ؟ وكان عبد الناصر يتحدث بطريقة عصبية شديدة .

وسرة أخرى « همهم » رئيسي تطلني بكلام غير مفهوم ، وحديث غير مترابط وبرغم هذا أصر عبد الناصر على معرفة أسماء المجلس الثوري الوطني ؟

وانبرى الضابط عبد الشاعر قائلا : هذا الشعب العربي في سوريا ، وكذلك الجيش العربي في سوريا . نحن هنا نيابة عنهم .

وهنا قاطعه المشير عبد الحكيم عامر قائلا : « حسنا ألا يوجد أحد يمثل هؤلاء : الجيش والشعب ؟ » .

وهنا تدخل الحريري قائلا : حقيقة حاولنا أن نخفي هذا الأمر ، وتظل الأسماء سرا ، لكي نبقي الزعامة « جماعية » ، ولكي لا ينجمك الناس في الجدل ، والقليل والقال حول ما يدور في هذه الاجتماعات ، ولكن لاداعي للفساد والدوران ويمكن اعتبار القائد العام للجيش ، ووزير الدفاع ورئيس الهيئة بجانب الرتب العسكرية الأخرى .

وأخيرا استمع عبد الناصر الى ذكر عشرة أسماء ذكرت له ببطء شديد ولم يكن من بينهم الأعضاء المدنيون .

واقترح الجاسم المناقشة بانفعال شديد ، منتقدا سيطرة حزب البعث على مجلس الوزراء المرتقب . وقال : قد يبدو الامر غريبا بأن تتظاهر القوى الوطنية الأخرى بأنها لم تكن ممثلة في مجلس الثورة ، واننا لم نحضر الى هنا لمناقشة تشكيل المجلس الثوري ، أو مجلس الوزراء .

وهنا اعترض « الشاعر » على حديث « الجاسم » ، ومن ثم بدأ الجدل بينهما باحتدام شديد بين السوريين ، مما دفع عبد الناصر الى التدخل في الحديث ، مكررا كلامه بعدم الثقة في حزب البعث ومخاوفه من نظرية « المطرقة والسندان » ولم يكن واحد في هذا الوفد بعثيا ، هكذا رد الشاعر على عبد الناصر كنوع من المخادعة ، مع ملاحظة أنه شخصيا من مؤيدي حزب البعث ، ولذلك ظهر على وجه عبد الناصر عبير بأنه لم يصدق في هذا الادعاء . . لأنه أبدى شكواه من قبل ، من الحزبيّة المعارضة المستمرة في الجيش السوري ، فلو أن من بين ٢٠ عضوا في مجلس قيادة الثورة الوطني ، ١١ عضوا بعثيا ، فانهم يستطيعون أن يسيطروا على الأمور ، وهذا أمر مرفوض بالنسبة لعبد الناصر .

وحاول البعثيون : عبد الكريم زهور ، و شبيب ، وصالح المسعودي أن يؤكدوا دون جدوى نياتهم المخلصّة في مدى التصاقهم ، وتمسكهم بشخصية عبد الناصر ومنهجه ، وسياسته بغض النظر عن نوع الأغلبية في المجلس النوري الا أن شبيب اصبر على أن ارادة التعاون من كل الاحسزاب هو الأمر المهم بدون أي تمثيل للحكومة السورية على الاطلاق ، فان حزب البعث كان يمكنه أن يحجب أعمال الوحدة بين مصر وسوريا ، كما أن رئاسة الحزب في دمشق يمكنها أن تحرض حزب البعث العراقي ضد عبد الناصر أيضا ، ولكن مثل هذه الأفكار المدمرة ، وتلك الشرور التي عانى منها عبد الناصر من قبل خاصة من حزب البعث ، قد اختفت تماما مع رحيل أكرم الحوراني وانصاره من حزب البعث .

وقد تكلم شبيب قائلا : أن أطل في النشاط السياسي مازال قائما على تبادل وجهات النظر ، واني سوف أعصف باسمي

التخصي كيمى ، لو كان من طرستى أن أسنل الحالة الراعنة من أجل منورة ساسية لكى أفرض وجهة نظرى على الجمهورية العربية المتحدة بين سوريا والعراق ، لقد نربينا على الخلق الكريم ، اننا لم تكن سياسيين بمعناها الكلاسسيكى لنكون من المفسدين .

وقاطعه السعدى بقوله : ان الرئيس عبد الناصر مازال بنقر من حزب البعث الى أقصى حد .

ونظرا لحرص عبد الناصر على ضرورة تصفية حسابات الماضى ، فقد استمر النقاش طويلا ، وكان الوفد السورى فى موقف المدافع ، ولم يكن يتوقع أن الرئيس عبد الناصر يهتم كثيرا بصفحة الماضى عقب حادث الانفصال .

وفى الجلسة الرابعة تابع عبد الناصر الحديث بتكتيك خاص ، وإن كان ذلك على حساب عبد الكريم زهور ، اذ بدأ عبد الناصر حديثه بانتهام السوريين بالمخادعة ، فبالامس أخبروه : أن الأعضاء المدنيين فى مجلس قيادة الثورة الوطنى السورى لم يتم اختيارهم ، ولكنه فى اجتماع خاص — فيما بعد — أشار عبد الكريم زهور أنه تم اختيارهم بالفعل ، وأعطانى قائمة بأسمائهم .

واحتج عبد الكريم زهور بانفعال شديد قائلا : انه أسىء فهمه وان شيئا ما لم يتقرر ، وان ما ذكره كان مجرد تخمين فيمن يكون من الأعضاء المدنيين ، وعندما كرر عبد الناصر الانتهام تضايقت عبد الكريم زهور وقال :

سبدي الرئيس : حقيقة لا اعتقد أن المرء يجب أن ينقض — منتهزا الفرصة — على ملاحظات الشخص الآخر ، وعندئذ غضب عبد الناصر بشدة من أن يحادنه أحد بمثل هذه الوقاحة !!

وانهال على عبد الكريم زهور بالتوبيخ الشديد كأنه تلميذ فى مدرسة !!

— ناصر : يا عبد الكريم .. انا لا أنقض على ملاحظات أحد .

— عبد الكريم زهور : معذرة سيدى الرئيس لم أكن أقصد ذلك مطلقا ..

— ناصر : اننا هنا لازالة سوء التفاهم ، ونكون صرحاء
تما ما مع بعضنا .. ولا تدع اننى أنقض على ملاحظتك ، وهذه
الطريقة معيبة جدا فى الكلام .. ببساطة أرفض قبولها .. لقد
قبلت ملاحظتك بالأمس حول موضوع عملائنا فى سوريا ؟! ولا بد
أن يكون هناك مبدأ نلتزم به ، ولكن لست هنا لكى أنتقدك باستمرار
لقد سمعت ما قلته لى بالأمس ونقلته الى زملائى .. وكونا
استنتاجات ... هل نتوقع منى انى لا أخبر زملائى ؟!

— عبد الكريم زهور : بالطبع لا ..

— ناصر : عندئذ كيف تفهم انى أنتقدك .. وأسىء نوم
ملاحظاتك ؟

— عبد الكريم زهور : سيدى الرئيس لقد قلت ذلك ، ولكنى
ثم أكن أعرف ..

— ناصر : اذا لم أذكر الموضوع الآن فلن أكون مخلصا تماما
نحو الوحدة . أنا أرحب بكل أنواع نقد الذات .. ولكن ملاحظتك
تجاوزت هذا الحد ..

— عبد الكريم زهور : ربما ..

— ناصر : يمكننى أن أرحب بأى قدر من نقد الذات ..
وهذا لا يضايقنى على أقل تقدير .

واستمررت الرهبة ، وتوتر الموقف لبعض الوقت ، الى أن
تقبل عبد الناصر اخيرا اعتذارات عبد الكريم زهور .

ووجهة نظر عبد الناصر في نقد الذات تبدو الى حد ما من
جانب واحد ، وفيما بعد كان عليه أن يوجه حديثا استغزانيا الى
كل من : ميشسـيل عفلق ، وصـلاح البيطار ، أكثر مما قتاله
لعبد الكريم زهور ، ويتعجب الانسان ما هو نوع جو التفاهم الذي
كان يأمل عبد الناصر أن يقيمه في هذا الموقف المشحون بالغضب
والتوتر ؟ ومع ذلك قال أعضاء حزب البعث السوري أنهم قدموا
للقاهرة كمقدمي عرائض .. لاقامة الوحدة ..

وفي وسط هذا الجو المتوتر اختلف شبيب ملاحظة حساسة ،
هي التي أشارت الى مدى سخف شكوى عبد الناصر — في بادئ
الأمر — ولكن عبد الناصر لم يبال بها .

— شبيب : لكن سيدي الرئيس ... لو أراد عبد الكريم
زهور حقيقة أن يتآمر ، فانه لن يخبرك بذلك .
— زهور : لقد ذكرت كل مناقشاتي لك ..

— عبد الناصر : رأيت من الأفضل ذكر كل ذلك أمامك ،
بدلا من ذكره خلف ظهرك ، لقد قدمت الى هنا لكي تتآمر !؟

وأخيرا بعد هذه الواقعة افتتح عبد الناصر النقاش
حول مسألة تكوين وحدة ، يحتمل بدء التفاوض حولها ، ولكن في
الحقيقة كانت مناورة سيكولوجية تمهيدية محسوبة لاختبار
ردود فعل زواره الممثلين في هذا الوعد ويذكرهم بأن هذه فرصة
متاحة أمامهم ، واقترح عبد الناصر أن تتكون الوحدة على
مرحلتين :

— المرحلة الأولى : تكون الوحدة بين مصر وسوريا لفدرة اختبار لمدة أربعة أشهر .

— المرحلة الثانية : وفي حالة استتباب الأمور تكون الوحدة مع العراق كشرط ثالث .

ولكى يهدى من روع هؤلاء السوريين ، اقترح عبد الناصر ، للذين اعتبروه دكتاتورا ، أنه على استعداد لقيام وحدة بين مصر وسوريا على أن يتنحى عبد الناصر جانبا بعيدا عن شئون هذه الوحدة .

وبدلا من ذلك لو أرادت سوريا أن تشمل الوحدة العراق لكى تتوازن مع مصر فتبدأ هذه الوحدة بين العراق وسوريا ، ثم انضمام مصر اليهما بعد ذلك .

كان يمكن التنبؤ بسهولة أن كلا من السوريين والعراقيين سيرفضون هذه الاقتراحات جملة وتفصيلا ، فان قيام وحدة سورية مصرية بدون عبد الناصر أمر لا يمكن التفكير فيه .

وقد أسسرت الومود في التعلق لعبد الناصر لتكرر عن مواقف سابقة لها ، فأعلن عبد الكريم زهور قائلا : الرئيس عبد الناصر ليس له حق الاختيار ولكن هذا هو قدره بأن يقود المسيرة لكى يتلقى كل سهام العدو ، وليكون سعيدا أم تعيسا ، فهذا أمر يقع على مسؤولية الأمة العربية ولاشك أنه هو الشخص الذى فرض القدر عليه أن يتحمل مصير أمة في مرحلة تاريخية ، فما عليه الا أن يشغل موقعه .

ان وحدة استهلاكية محدودة بين سوريا والعراق أمر لا يمكن قبوله أو مجرد التفكير فيه من كلا الطرفين ، واننا ننظر الى مصر — خلال مراحل تاريخنا — كنقطة مركزية للقومية العربية ، وربما

عبد الناصر لا يدرك شخصيا أن ثقل نفوذه وشخصيته ومنهجه وأيديولوجيته أمر لا يقدر بثمن ، لقد قدمت تلك الوفود العرقية والسورية الى القاهرة ليستعيدوا الثقة بأنفسهم وليسسينفوا الشرعية على ثورتهم ، وهذا بدون شك أمر مغيد لعبد الناصر بأن يدعمهم يستعيدون هذه الحقيقة مع أنفسهم .

ان وحدة سورية مصرية ، بشكل مبدئي ، مع عبد الناصر وبدون العراق ، هذا أمر يضعف الثورتين (السورية والعراقية) ويضعف حزبي البعث في كلا البلدين ، ورفض الوفد السوري هذا الاتجاه ، على أساس أن الرأي العام لن يقبل هذا الاتجاه وكان الوفد السوري في أشد الاحتياج الى الاتحاد مع الوفد العراقي ، على أساس أن يتحد الوفدان مع عبد الناصر مما كان الثمن الذي يدفعه الوفدان السوري والعراقي .

وقد أثار جاسم : لا شك أن مثل هذه الشكوك تحيط بالبعث وأن إزالة مثل هذه الشكوك أمر ممكن ، وأن جلستي اليوم بغرض اكتشاف طرق ووسائل إزالة هذه الشكوك ، واننا لا نتظر الى حزب البعث السوري كممثل لكل الشعب السوري .

ان عبد الناصر لم ينطق ببنت شفة ليشرح مبادئه ، كما لو كان حزب البعث يذكر أوراق اللعبة التي في حوزته ، لقد شرح بوضوح ملحوظ ما كان يحدث في الحقيقة . عندما ظهرت الوحدة الى الوجود عام ١٩٥٨ ، وجد البعث أنه لا يمكنه أن يتفق مع الجمهورية العربية المتحدة ، أو أية مجموعة وحدوية أخرى . . وستسحب مصر من هذه الوحدة عند نهاية الأربعة الأشهر ، هذا ما أتوقع حدوثه ، الا أنني لا أوافق على مخاطرة ثانية بمحاولة أخرى ، وبالرغم من أن تحديد أربعة أشهر كفترة اختبار ، فإن من المتوقع قبل نهاية هذه المهلة أن يبدأ حزب البعث مناورات ،

مفترضاً أنه لن ينسحب ، ولكن سيحاول أن يقوى مركزه ووقفه في سوريا بمساعدة عدد كبير من العسكريين ، ففي هذه الحالة ستسحب الجمهورية العربية المتحدة من هذه الوحدة ، وفي هذه الحالة بكل صراحة سأكون قلقاً على العراق ، وسيكون موقفها حرجاً .

وأضاف ناصر إلى قوله : اننى لا أعتقد ان العراق سيكون في موقف يتحمل نفس النكسة التي تحملناها في عام ١٩٦١ ، اننى متأكد أننا لن نتفق ، وسوف ينسحب حزب البعث مرة أخرى ، ويكرر نفس الخطأ الاجرامية ، ولهذا نسرع ، ونهرول مثلهم نحو الوحدة ، ونندفع بأنفسنا الى المتاعب ، تكون وحدة يتبعها انفصال ، ثم وحدة مرة أخرى وبعدها انفصال آخر ! ان المستقبل أمامنا طويل . . ويجب ان نسلط شعنا الذي تنكر اخيراً لفكرة الوحدة ، لهذا وضعنا فترة انتقالية أربعة أشهر قريبا خلالها نتوصل الى اتفاق أفضل بعد ان نستوعب الدرس الذي استفدناه من حادث الانفصال في عام ١٩٦١ ولا تنغمس في نقد مخادع واقتراء لا اساس له من الصحة ، ولو قدر لهذه الوحدة ان تعيش لمدة أربعة أشهر ، فأعتقد أنها ستكون خطوة على الطريق السليم ، ولكن لو ان البعث السوري سينتهج سياسته القديمة فحينئذ سيحدث صدام حتمي .

لقد ترك عبد الناصر الموضوع بعد هذا الحديث مفتوحاً دون أن يحدد فكرة معينة ، ولو أنه فهم بكل وضوح لا قبل الشك : ان معيار عبد الناصر للنجاح . . اثناء الفترة الانتقالية المحددة بأربعة أشهر كان يعنى تقيد حزب البعث الى دور محدود ، ووضع القوة في يد أخرى . عندئذ سيواجه البعث العراقي مطمح الدخول في وحدة بين مصر وسوريا « المطرقة والسندان »



٤ - الاجتذاعات المصرية السبورية :

كان عبد الناصر يرى أن أزمت ومعارك وحدة ١٩٥٨ لم يتم بحثها مع حزب البعث ، ومن ثم فلا يمكن التفاوض بشأن قيام وحدة جديدة لم تستكمل جوانب بحثها بعد . وكل ما جرى من مباحثات كانت مع عبد الكريم زهور فقط ، وهو في واقع الأمر شخصية ثانوية ظهرت على مسرح الأحداث خلال الأيام السابقة ، لأن حزب البعث بالنسبة لعبد الناصر كان يعنى كلا من : صلاح الدين البيطار ، وميثيل عفلق بذاتهما . وبناء على ذلك فهذان الرجلان ، بصحبة لؤى الأتاسى رئيس مجلس قيادة الثورة ، وبوجود نهد الشاعر ، هؤلاء حضروا الى القاهرة لمحادثات يومية ١٩ و ٢٠ مارس ١٩٦٣ .

إن المحادثات في الجولة الثانية كانت في واقع الأمر تكرارا للجولة السابقة إذ كان الهدف الأساسي هو « تصسيمة الجو » وعرض كشف حساب بتفاصيل أكثر . إذ بدأ عبد الناصر يسرد خواطره بألم شديد عن أحداث الماضي ، وبأسلوب يرهب به مستمعيه ، وكرر مرات ومرات افتقاره الشديد للثقة فيهم كشركاء المستقبل .

وبطريقة منطقية تحدى عبد الناصر أيديولوجيتهم بأنها لا تحقق شيئا . وهذه المرة كان عبد الناصر يتحدث الى رجال أكبر منه سنا ، ولديهم القدرة على كبح جماح أنفسهم ضده ، رجال كانت لديهم الخبرة السياسية لسنين طويلة ، وكزعماء لحزب سياسي قوى ، ومنهم ميثيل عفلق - بوجه خاص - الذي يحترمه شباب حزب البعث كفيلسوف للحزب . ويتوقع بقدر كبير من الشهرة كرجل مثقف وهو - فوق هذا - متحدث لبق ، وصاحب أفكار ووجهات نظر ، وأكثر من هذا أن الرجلين ثقيلان من قبل مع عبد الناصر عدة

مرات عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ ويفترض أن يكون لديهما حاسة ما ،
وبطريقة ايجابية فعالة عن كيفية التعامل مع عبد الناصر .

أن ما يمكن ملاحظته بصورة واضحة بالنسبة للمحادثات فى
الجولة الثانية هذه ، أن عبد الناصر تعامل مع ميشيل عفلق وصلاح
البيطار بأسلوب عنيف أكثر مما تعامل به مع عبد الكريم زهور من
قبل ، كان عبد الناصر فى موقفه وانقا من نفسه كل الثقة ، وهو
دائما الموجه لدفة المناقشات حسب ترتيب أنكاره ، كان
عبد الناصر المدرك للبعد السيكولوجى للمشكلة ، صريحا ..
قويا .. واضحا .. سريع البديهة فى تعبيره ، واختيار عباراته
بدقة بالغة ، فتارة نراه جذابا .. وتارة أخرى نراه متفطرا ،
وذلك تبعا للموقف ، حديثه متفق مع هدفه ، ولا متردد فى بعض
الاورقات ، أن بضايق أو يقاطع أو يخرج محدنه ، بطريقة وأسلوب
حاسم ، ويرفض بشدة معارضته أو انتقاده بأى شكل من الأشكال .

ويتضح من تسجيل تلك المحادثات أن البيطار ، وعفلق يبدوان
فى حرج ، مضطربين ، صامتين ، معظم الوقت ، وظهرا أمام
عبد الناصر شخصيات غير مؤثرة ، وبدون شك فهناك اعتبار كبير
كانت السلطات المصرية تضعه فى الاعتبار وهو نشر هذه المحادثات
فيها بعد .

ويحق لنا القول : أن ميشيل عفلق ، وصلاح البيطار لم يكونا
أحمقين ، كما يبدوان ، فكلاهما معروف عنه البطء المل ، ومتحدث
متمهل ، ولا يتورطان فى اجابات سريعة بنفس المقدرة التى برع
فيها عبد الناصر ، وهكذا فقد كانت الحقيقة أن ميشيل عفلق كان
لديه القليل لأن يقوله ، وبالرغم من أن عبد الناصر كان يقاطعه كثيرا
خاصة فيما يتعلق بالأيديولوجية ، كما سنرى . فمن المحتمل أنهما

كانا متضايقين من موقف عبد الناصر الذى كان كمن يلحق فى التعليم الدينى سؤالاً وجواباً فيما يتعلق بالشعارات والمبادئ ، والمبادئ المصرى الوطنى وخاصة فى التنظيمات السياسية والاقتصادية .

أما بالنسبة لمناقشات أحداث الوحدة خلال عام ١٩٥٨ ، فمن الطبعي أن السوريين كانوا كارهين للشجار ، فهم الذين قدموا إلى القاهرة للبحث عن اتفاق جديد ، وكسب موافقة عبد الناصر ، وكان غصدهم فيه قليل من الجدية ، أما قصد عبد الناصر فكان هو الأهم ، وتحت هذا الاعتبار كانت الحقيقة : أن حزب البعث كبطل للوحدة وهى خطتهم الأساسى والرسمى ، فواجب عليهم أن يدينوا انفصال عام ١٩٦١ ، مع أنهم كانوا ضحايا الوحدة مع أن البيطار ندم — لاحقاً — لأنه وقع على بيان الانفصال ، بل جريمة الانفصال ، ولم يترك عبد الناصر أية فرصة الا ذكره بهذا الموقف ، بل بالخطة فى الظاهر . فقد كان عبد الناصر باستمرار يتهم ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار بأنها بضعفان الوحدة تدريجاً ويعملان على تحييدها ببطء .

وفى الحقيقة فانهما عملاً ذلك وهما ملزمان بطبيعة نظام الوحدة . فكان جيد حزب البعث أن يحموا مصالحهما الشخصية ، وأن كانا قد اعترفا صراحة ، بأن حادث الانفصال كان خيانة عظمى للمبادئ ، وغفد حزب البعث كل سبل الدفاع عن تاريخه ، فلقد اتى كل من : ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار موثقى الأيدي خلف ظهرهما .

بدأ عبد الناصر يتحدث بأسهاب عن أسباب فشل وحدة عام ١٩٥٨ ، واعترف أنه كان هناك خطأ فى حل كل الأحزاب السياسية

السورية ، والمشكلة أن النظام السوري الذي اتحدت معه مصر
اشتمل على تشكيلة من المجموعات الثورية والرجعية المتنازعة ،
وليس من الحكمة محاولة التلمص من هذه التهم ، بعد جريمة
الانفصال ، وأصر عبد الناصر على توجيه هذه التهم اليهما .

والبعثيون هم الذين اقترحوا حل الأحزاب ، وبعد ذلك
تصـرفوا كأنهم قد نفذوا استثناء ، وكان لدى ميشـيل عفلق
وصلاح البيطار تقرير مطول سـيقدمانه الى عبد الناصر لتبرير
مواقفهما وأعمالهما . . ولكن لم يفعلا .

لقد استقال صلاح البيطار في ديسمبر عام ١٩٥٨ مع آخرين
من حزب البعث ، قدموا استقالاتهم من الحكومة بطريقة استغزائية
تأمرية ، وبدون مقدمات ، وبدون ابداء أى أسباب دعتهـم الى تقديم
الاستقالة ، وفعلوا نفس الشيء ، أى الانسحاب من الوحدة
نفسها ، والأسوأ من ذلك أن البعثيين حاولوا سرا اقناع عدد من
الوزراء المصريين أن يقدموا استقالاتهم تضامنا معهم . لقد أمضى
حزب البعث بقية فترة الوحدة يخلق المشاكل مع الحكومة ،
وعندما تم الانفصال وقع كل من البيطار وأكرم الحوراني على بيان
يؤيدان حركة الانفصال .

حتى بينما كانت اتهامات عبد الناصر مازال في الادراج ، فقد
تصرف وزراء البعث بطريقة سيئة للغاية ، واشتكى البيطار وأكرم
الحوراني كل منهما للآخر ، وكل منهما من وراء ظهر الآخر ، وثناء
أحداث عام ١٩٥٩ عندما أرسل عبد الحكيم عامر الى سوريا ،
أخبره البيطار أن حزب البعث لا يمكنه التعامل مع عبد الناصر ،
ولكنهم كانوا يجاهدون أنفسهم للتعاون معه . والأكثر خزيا من ذلك
كله أن ميشـيل عفلق اقترح أن يحكم الجمهورية العربية المتحدة

لجنة من ستة أشخاص ، تضم أعضاء من السوريين منهم أكرم الحوراني وصلاح البيطار ، وميشسيل عفلق . . وأبدى البيطار تعجبه من هذا الرأي .

ورغم كل المعوقات التي وضعها كل من ميشسيل عفلق ، وصلاح البيطار ، فانهما قد هيا الموقف لخلق المشاكل والأزمات ، فقد غضلا نفسيهما تلقائيا ، واضاعا تلك الفرصة للسيطرة على زمام الموقف لبناء نظام جديد ، وأن اشتراكهما في الحكومة سيحملهما أكثر من المسؤولية الرسمية ، لقد انتظرا طويلا حتى يستقila لكي يتركا لعبد الناصر مشاكل أكبر في ضوء انفجار ثورة العراق في عام ١٩٥٨ ، لأنها شعرا أن اهمال عبد الناصر لهما كان أمرا في محله ، وبرغم هذا فقد تم طردهما بمقتضى الدستور منذ منتصف عام ١٩٥٨ .

ويحاول ميشيل عفلق أن يشرح الموقف بقوله : انهما عندما قررا أن يستقila اعتبرا أن هذا أفضل من أن يحاولا اقناع الوزراء المصريين اللحاق بهما ، لأن استقالتهما لا تحمل صفة للنزاع المصري السوري ويخاطر بالوحدة نفسها .

وكان مضمونا أن عبد الناصر قد أصبح لديه انطباع سييء عن حزب البعث وذلك نتيجة تصرفات أكرم الحوراني والذين كانوا معه ، ولكن كان من المفروض على عبد الناصر أن يلاحظ أن حزب البعث منقسم على نفسه الى جناحين ، وقدر لأكرم الحوراني في وقت ما أن يسير في نفس الطريق الذي كان يسير فيه عبد الناصر وقاطعه عبد الناصر قائلا : ما تأخذونه عنى لا يقبل النقاش ، لقد كنا تحت تأثير أن الحوراني كان زعيما للحزب) .

وعلى أية حال شعر وزراء البعث أنه لا يوجد أمامهم خيار إلا تقديم استقالاتهم احتجاجا على سياسات الحكومة ، وعندئذ

أكد عفلق بقوله : ان الفترة منذ تقديم استقالتنا حتى تاريخ الانفصال فترة تسعة أشهر ، خلال هذه الفترة تعرضنا الى وابل من الافتراءات والاهانات والاضطهاد عن طريق وسائل الاعلام العامة .

وعندما انتقل الحديث الى حوار سناخن بن الطرفين عن الايديولوجية والبرامج الخاصة بالأحزاب ، وان السوريين على الأقل ظهروا بصورة أفضل ، وهذا ما دفع الرئيس عبد الناصر الى أن يعرف هل كان أعضاء البعث في حاجة الى الحديث حول تنظيم الحزب والحرية والديمقراطية والاشتراكية ؟ وقد أجاب عن السؤال بنفسه : فشل البعث في شرح مفاهيمه لأنه ليس لديه مفاهيم لقد كان مشغولا بوضع النظرية الغامضة لدرجة أن حزب البعث لا يفكر بطريقة عملية أو منظمة .

وأضاف عبد الناصر قائلا : لمدة خمسة عشر عاما مضت لم يحدث أن وضع حزب البعث مفهومه للحرية ، لقد قرأت كل كتاباتهم ، وعبثا بحثت عن معنى واضح للحرية ولم أجد ذلك لا في كتب مشبل عفلق ، ولا أي كتب أخرى . واني أؤكد — مرة أخرى — أن مفهومهم عن الاشتراكية غامض وحبثا سألت اكرم الحوراني عن البرامج الاشتراكية للحزب فقال لي : ان لديهم فقط شعارات وليس برنامج .

في حين أن عبد الناصر كان يذكر مستمعيه مرة تلو الأخرى بأن الجمهورية العربية المتحدة لديها اجابات كاملة لكل هذه الاسئلة ، ومشروحة بالكامل في الميثاق الوطني . وكما تعلم فان الحرية تعنى حرية الوطن وحرية المواطن ، والدستور يشرح ذلك بتفصيل أكثر ووضوح تام ، والاشتراكية تتضمن — مرة أخرى — الكفاية والعدالة ، ويحدد الميثاق أيضا هذين المصطلحين بطريقة

كاملة للغاية . ان الوحدة ارادة شعبية تاريخية حقيقية ، ويخصص الميثاق فصلا كاملا عن الوحدة الدستورية بكل أشكالها . وطريق الاشتراكية محدد ، بدءا من التجارة الداخلية ومنتها بالرقابة الشعبية على وسائل الانتاج مارا بالزراعة والقطاع العام والخاص ، وكل نشاط النشاط الوطنى محددة تماما فى الميثاق .

اما فيما يتعلق بحرية الفرد فاننا نقول ان هذه الحرية تشمل حرية شاملة للشعب ، ونبذها لأعداء الشعب . . اننا مؤيدون للديمقراطية ، والاشتراكية . . والحرية كلها مستقلة . . وبعد ذلك كيف يحدد البعث الديمقراطية ؟

واضاف عبد الناصر قائلا : ربما فى امكان كل من ميشيل عفلق ، وصلاح البيطار ان يستطيعا تحديد هذه المفاهيم وأن يحددوا موقفنا من هذه التعريفات الكاملة ، لقد وضعتم انفسكم فى موقف حرج للغاية ، ومطلوب منكما تحديد تعريف للديمقراطية . . والاشتراكية . . وليس تقديم تعريف آخر ، غير هذه التعريفات السطحية . .

كان لقاءهم بعبد الناصر . . كأنهم أصيبوا بالشلل التام ، وترددوا أن يخصصوا عما فى نفوسهم من نقد وتعليق للميثاق الذى استشهد به عبد الناصر فى هذا الموقف كثيرا ، وكان يشعر بكبرياء لا حدود له ، وعلى أبة حال كان عبد الناصر يريد أن يلقنهم درسا . . ولا يستمع اليهم .

— عفلق مقاطعنا عبد الناصر : أعتقد أنك لا يفتقر الى تعريف الديمقراطية والاشتراكية ، ولكنى لاحظت أحيانا ان الاشتراكية أخذت مكان الديمقراطية .

— عبد الناصر : بوجها كلامه لميشيل عفلق وبحدة وسخرية قائلا : هل قرأت الميثاق ؟!

— عفلق ؛ نعم . .

— عبد الناصر : يبدو أنك كنت تقرأ سطرًا . . وتترك سطرًا تاليا . . ليس الأمر مطلقًا كما تتخيل . . ان ثورتنا هي الثورة الأولى التي نادت بالحرية الاجتماعية ، معناه أن الديمقراطية السياسية لا يمكن ادراكها بدون الديمقراطية الاجتماعية ، وهذه الحقيقة أدت بنا الى الاشتراكية ومن ثم غان الحتمية الاشتراكية شرط للديمقراطية الحقيقية ، والا فستصبح الديمقراطية هي دكتاتورية رأس المال ، وسيطرة الاقطاع عامة ، وهذا ما يصـطـلح عليه بالديمقراطية البرجوازية ، ولكن لا يوجد ذكر للاشتراكية تأخذ مكان الديمقراطية ؟

ويؤكد عبد الناصر بقوله : ان حزب البعث بمرض سذاجتهم باتهام الزعماء المصريين بالدكتاتورية ، وتخيلوا ببساطة اننا نعطي أوامر ويسير البلد تبعًا لها ، انك مخطيء ، لقد كانوا سذجًا . . أن يفترضوا أن الحكومة الثورية يمكنها أن تنتظر الجماهير كي تقدم مطالبها ، لقد شرح كرجل ثوري . . فالمرء يأخذ القيادة ولا يجلس في الخلف متوقعًا ، مطالب الجماهير . . لكي تبلور تلقائيًا . . لم ينتظر السوفييت بعد عام ١٩١٧ ، بل بجب على طليعة الجيش أن تعبر عن أهدافها ، وبعدها تعمل وفق مبادرتها وهذا معنى الزعامة ، لا ينتظر حتى يسترشد برأى أو بغبر رأى من لنين . . كان عليه أن يفهم حاجات المجتمع . . ثم يتصرف طبقًا لها . . ان قبول أشخاص ذوي توجيه من مجهول للمشاركة في الزعامة سيدمر هذا الغرض ، الزعامة المصرية تتوقع احتياجات الجماهير قبل ان تعرفها الجماهير ، الزعامة كانت طليعة الجيش لأنها تعمل لصالح الجماهير .

وهكذا دافع عبد الناصر عن هدفه ومبادئه ضد تلميحات حزب البعث . . ونصب البعثيون أنفسهم كمدائعين من الديمقراطية . . وباعترافهم بأن الحزب له فقط . . ر. ا. عضو ، بينما الاتحاد

الاشتراكي العربي له خمسة ملايين عضو ، وماذا عبد الناصر الى مواصلة حدينه قائلا : هل تتدخل أن الحكومة بواسطة الشعب حتى لو كان لديك انتخابات . . هي مجرد قليل من الناس يجلسون في حجرة واحدة ويقررون شئون البلاد ؟ لاشك أنك مخطيء . . لأنك عندما ستعزل كل الناس وتحكم كأقلية صغيرة .

حتى في روسيا عام ١٩١٧ (أضاف عبد الناصر الى حديثه) لم يعتمد لنين على الحزب وحده ولكنه استخدم السوفيت . في خطته الخمسية الاولى نقل لنين كل السلطة الى الشعب السوفيتي . حزب 'الدكتاتورية لن ينجح' ، ومع ذلك لو أن لديك دكتاتورية الشعب العامل ذات التأثير الديمقراطي فانك ستكسب مجموعة ملتصقة بك طوال الزمان .

وبانطبع كل هذه المناقشات الأيديولوجية عكست الاختلافات في العرض العملي بين عبد الناصر وحزب البعث ، وخاصة تصميم حزب البعث على اقامة حزب له دور بارز في الوحدة القادمة ، وكانت رغبة عبد الناصر أن يضمهم في جبهة واسعة ، ونتيجة لذلك كان من سوء حظ البعث أن كلا من البيطار وعفلق لم يجدا ما يدافعان به عن نفسيهما أو حزبهما (البعث) ردا على تشهيرات عبد الناصر وتحدياته ، ولم يجدا نفسيهما مجردين من كل شيء فقط ، لكن أيضا مجردين من الأفكار الأكثر غموضا ، وكما يقولون مثلا (الحل الصحيح بالنسبة لمشكلة الوحدة العربية يكمن في مجتمع يسوده التعليم والحب) ، هكذا قال عفلق مثل هذا الكلام !!

ولكن على أية حال يمكنهم أن يقبلوا مبدأ مشاركة النفوذ داخل سوريا . وفي موضوعات أخرى انكشف امر السوريين في نقاط ضعف أمام آراء عبد الناصر ، وهكذا حين اقترح الأتاسي إعادة عاجلة لتأميم البنوك السورية جرت المحادثة التالية :

— البيطار : هناك مرحلة أولى قبل التأميم ، وهى مرحلة « تعريب البنوك » ..

— الأتاسى : تقصد التأميم أولا ؟

— البيطار : لا .. أعنى التعريب أولا ، هناك مرحلتان : أولا التعريب ثم التأميم .

— عبد الناصر : ذلك ما فعلناه فى سوريا اثناء الوحدة

— البيطار : نعم .. حقا هذه قوانين معروفة .

— الأتاسى : اننا نعرفها .. لأنها جاءت كلها فى فترة محددة

— عبد الناصر : اننى لا أرى حاجة الى مرحلتين .

— البيطار : موافق .

وانتقلت المحادثات بين الأطراف الى موضوع آخر ، خاصة عندما أتاح عبد الناصر فرصة الترحاب بالوفد السورى لتكون المحادثات بشكل أكثر ايجابية بعيدا عن تبادل وجهات النظر عن الماضى القريب ، ودار الحديث عن زعامة الوحدة العربية ، لم يكن يبدو انها موافقة حقيقية على ما أراد عبد الناصر ولذلك اقترح الأتاسى فى موضوع « المكتب السياسى » الذى يحكم الوحدة أنه يجب أن يشتمل هذا المكتب على مضموا من كل الاقطار الثلاثة : بالإضافة الى الرئيس (أى عبد الناصر) كرئيس المجلس ، وهكذا سيكون هناك أربعة أعضاء للمجلس ، والمشكلة القائمة ، بين « المطرقة والسندان » كما وصفتها فخامتكم لن تثار ، وتلقى عبد الناصر هذا الاقتراح بنوع من عدم الاكتراث المتعمد !!

— عبد الناصر : لنفترض ان هناك ممثلين .

— الاتاسى : لماذا اثنان ؟

— عبد الناصر : افترض أن لكل اقليم ممثلين ، وأنا خارج هذا المجلس ، من عندئذ سيكون الرئيس ؟ وكيف يجب أن تسير الأمور ؟

— الاتاسى : أنا أقول مثلا بإصاحب الفخامة .

— عبد الناصر : دعنا نفترض أن هناك اثنين عندئذ (مغيرا نسمة صوته) دعنا نفترض ثلاثة أعضاء بالإضافة الى رابع على أساس ايجاد النوازن ، أو اثنين من البعث .. عندئذ سيكون في بعنيين وفي من الاتحاد الاشتراكي ، وهذا يعنى رجحان الكفة التي ستسبب تعثرا في خطواتها التنفيذية .

— الاتاسى : حل آخر .. ولكن عمليين وأنا أحاول أن يكون ، فليكن هناك عضوان من الاتحاد الاشتراكي ، وواحد سوري بعثي ، وعراقي بعثي مع فخامتكم كرئيس .. أعتقد أن النقطة المتسبب لوجوده ، والرئيس حتما سيكون فوق كل الأحزاب .

— الشاعر : (يفتحم المناقشة فجأة بعد صمت طويل) لماذا لا يكون لنا مجلس وحدة مثلما في الاتحاد السوفيتي .

— علق : بالطبع .

— الشاعر : أعتقد أن يكون لنا مجلس أعلى للوحدة (٨) .

(٨) الشاعر : خلال المحادثات بتدخلاته المتكررة بدا كأنه يعبر عن عقلية مغار الضباط الذين دخلوا حلبه السياسة العليا عبر انقلاب أو آخر بدون مؤهل ينتقد المجلس الايدولوجي العارض ، وبدون هدف ، وفي لحظة اقترح نظام حزب واحد مثل نظام الاتحاد السوفيتي ، وبمدها بدقيقتين كان ينادى بنظام ذي حزبين مثل بريطانيا ؟

— عبد الناصر : هذا لا يغير شيئاً ، سيبقى المشكلة الأساسية ، ممن سيكون هذا المجلس ؟ ولو حدث فسيكون لديك بعثى عراقى ، وبعثى سورى ، ومصرى ومعنى ذلك حزب البعث سيسير الدولة .

لقد أنفضت سلسلة المحادثات البائدة على هذه المذكرة ، وعند هذا الحد من تطور الأفكار المتناصرة المضطربة ، ويحاول غلق البيطار والزلاء الآخرون أن ينعخوا على وجه التحديد بماذا طلب عبد الناصر منهم ؟

وبستمر عبد الناصر يضرب على الوتر الواحد ، على المشكلة التى لا يبدو لها حل يلوح فى الأفق ، بهدف إقامة الثقة ، وتتضمن وجهة نظر عبد الناصر أن حزب البعث عليه أن يفعل شيئاً ما ، ومن أجل توضيح الأمور يبدو لى أن غلق قد أشار بقوله : هل هناك عدم اتفاق أساسى بيننا ؟ ومضت ساعات طويلة دون طائل من المحادثات للرد على هذا السؤال .

ويركز عبد الناصر على هذه النقطة بالذات مكرراً عبارة « عدم الثقة » ومن المحمل أن عبد الناصر كان بنوى أن يضع حزب البعث تحت ضغط سيكولوجى بهدف تفريغ شحنة الغضب التى تجيش بصدرة .

أنه لا يجب على حزب البعث أن يشارك فى السلطة فحسب، بل يجب أن يشارك على المستوى الفيدرالى مع الناصريين فى سوريا والعراق ، وعندما أكد غلق أن حزب البعث لن يتدخل فى شئون مصر ، انتهز عبد الناصر هذه الجملة وبيع غلق على نفوذه بمثل هذه العبارة قائلاً له : أنك لا تتدخل فى شئون مصر ، ونحن لا نتدخل فى شئون سوريا ، من أى صنف هذا الاقتراح ؟! هل

تقترحون ان نضم الوحدة ، فمن الأنضل لنا — فى هذه الحالة —
ان نبقى فى مكاننا .

واضاف عبد الناصر الى قوله : لقد لاحظنا فى مناسبة أخيرة
لو ان جبهة حربية من مملى الحزب فى كل بلد ، وجهت حكومة
فيدرالية أفضل من منظمة كاملة الاندماج ، عندئذ سبرى كل عضو
من الجبهة انه يجب عليه العودة الى اقليمه ليحصل على توقيع من
أجل ابداء رأيه فى ابة مشكلة ، وستكون النتيجة صموتا يتبعه شرب
شيرة . . . وينفض المجلس دون اتخاذ اى قرار ابجسبى ازاء ابة
مشكلة ، ويجب على غلق والبطار أن يتذكرا مدى ضعف موقفهما ،
حيثما اقترحا بأن الاتحاد الاشتراكى العربى مسموح العمل به فى
كل من سوريا والعراق ، ومسموح لحزب البعث أن يعمل فى مصر ،
وبالطبع رفض زعماء حزب البعث مثل هذا الاقتراح بسرعة .

وبدا غلق يشعر بضيق شديد قائلا : لكن لديك معان
عريضة . .

واجاب عبد الناصر بحدة وغضب شديد : انك تقول انه ليس
لديك الارادة او الوسيلة ، وانا أقول اننا ليس لنا الارادة ، ولكن
لدينا الوسائل ، وهو فعلا لديه الوسيلة ، وحزب البعث لديه
السبب فى شعوره بأن بخاف ، ولو أنهم لم يقدموا تنازلات ضرورية ،
فانه ربما بطور الارادة أيضا .

هـ — الجولة الأخيرة فى المحادثات :

عندما عاد السوريون الى بلدهم ، قيل ان ميشيل غلق كان
غاضبا جدا من المعاملة التى تلقاها من عبد الناصر ، وبقي فى سوريا
فى الوقت الذى حضر فيه الى القاهرة وفد — بعد أسبوعين —
يتكون من صلاح الدين البطار ولؤى الأتاسى ، وبصحبة وفد

موسع وذلك من أجل الجولة الأخيرة الحاسمة في المفاوضات مع المصريين والعراقيين .

ومرة أخرى قال عبد الناصر : انه الآن لم يكن لديه استعداد لبدء المفاوضات ، حيث جرت تطورات جديدة عقب جولة المفاوضات السابقة أدت الى عدم الثقة في حزب البعث كانت بمثابة « هجوم مستتر » من خلال المقالات التي نشرتها صحيفة حزب البعث ، وكان من نتيجة ذلك أنه سمح لمحمد حسنين هيكل في الرد على هذه الحملة بجريدة الأهرام مدعيا أن السوريين حينما كانوا في اجتماع منفصل طلب منهم عبد الناصر تفسيراً صريحاً لذلك .

والمقالات التي اشتكى منها عبد الناصر كانت حقيقة من المقالات المعتدلة الى حد ما . واحدى هذه المقالات كانت بعنوان « أكثر مناصرة للملكية من الملك » وقد انبرى هيكل مهاجماً هذه المقالة التي لم تبذ - مطلقاً - موجهة ضد عبد الناصر أو مصر ، ولكنها فقط وجهت ضد السوريين الذين طالبوا باسم عبد الناصر احياء عاجلاً لوحده عام ١٩٥٨ بدون اشراك العراق ، هذا في الوقت الذي كان عبد الناصر قد وافق فيه على مبدأ قيام وحدة نلأسه . مع أن الرأي العام - في كلا البلدين - رفض قيام وحدة ثنائية بين سوريا والعراق ، وهذا كان محوى اقتراح أكرم الحوراني حيث أكد الوغد السوري أنه لن يعتقد ولو للحظة واحدة قيام وحدة بدون أن تكون مصر على رأسها ، وفي قلب أية وحدة . وسوريا تناشدهم الا يفوضوا في الوحل « لحركة انفصالية جديدة » بالمقارنة لتلك الحركة الانفصالية الانتهازية لذلك المرتد أكرم الحوراني . وكان أقرب مقال في نقد النظام المصري يقول : أن وحده عام ١٩٥٨ كانت مجرد خطوة على طول الطريق ولم تكن محبوبدا لكي ننحنى له ونطوف حوله (١) .

(٩) البعث في ٢٣ مارس عام ١٩٦٢ .

لقد كانت مقالة صحيفة حزب البعث الصادرة في ٢٧ مارس
أشد حدة نوعا ما ، وأعلنت أن « عملية بناء الوحدة ليست
مجرد الحصول على موافقة الشعب في «استفتاء» وهكذا كانت
الوحدة السابقة ، حيث كانت الجماهير محبوسة في مخزن لكي تجذ
قوى الانحلال الحلبية غارغة نماما امامها ، لا يوجد الا منظمة شعبية
ذات تأثير يمكنها أن تملأ هذا الفراغ ولكن مثل هذه المنظمة لا يمكن
بناؤها ببساطة بأن يكون العمال والفلاحون والاعكرون التقدميون
معاً ، وهذه إشارة مفهومة إذ أن المقصود بهذه الإشارة الاتحاد
الاشتراكي العربي المصري (١٠) .

أما بخصوص المقال الذي كان بعنوان « أكثر مناصرة للملكية
من الملك » فقد رد هكل بحده وبسرعة محرراً المعنى . . ومتسائلاً . .
من هو الملك المشار اليه ؟ هل هو جمال عبد الناصر ؟ ، فان جمال
عبد الناصر ليس طامعاً في عرش سوريا ، ولا يحلم بأن يجد نفسه
مرة أخرى في ترعة قصر الضيافة في دمشق بتلقى تحيات رعاياه .

والآن يواجه عبد الناصر ، البيطار متبها حزب البعث
باسنهار محاولاته الخيانية أن يضعف اجتماعنا هذا . ورد البيطار
شاكياً بفسبرات هينل ومقالاته ، ومصرراً فيها بأن هناك اختلافات
أيدولوجية خطيرة بين عبد الناصر وحزب البعث ، ومدى شرعية
الصحافة أن تناقش مثل هذه القضايا ، وأردف قائلاً : الظاهر أننا
نفسى ما جاء في جولة المحادثات الأولى التي انتهت حديثاً ، أننا لن
نجلس أبداً في جلسة طويلة ، وتبادل مثل هذه الخلافات والافكار .

وأضاف البيطار في اليوم التالي بقوله : وعلى أية حال فإنه
لم يكن قد قرأ المقال في جريدة البعث ، مما أعطى عبد الناصر
الفرصة للتصرف معه بأنفعال شديد .

(١٠) الاهرام في ٢١ مارس عام ١٩٦٣ .

— عبد الناصر : ألم تقرأ الصحف اللبنانية ؟ لقد كانت المقالة
منشورة في لبنان وأيضاً في باريس في صحيفة « الفجارو » .

— البيطار : لم أرها لكي أُنقدها .

— عبد الناصر : ألم تقرأ الصحف اللبنانية ؟

— البيطار : لا . . . لم يحدث هذا .

— عبد الناصر : غريبة . . لا الصحافة الفرنسية . . ولا
اللبنانية ؟

— البيطار : لا لم يحدث لنا . . أنها لا تدخل سوريا ولهذا . . .

— عبد الناصر : شيء لا يمكن تصديقه ! من أي نوع من
المحادثات هذه ؟

— البيطار : فخامتكم عندما تقرأوها . . اتصل بنا . .

— عبد الناصر : أنك لا تقرأ الصحافة السورية ، ولا اللبنانية
ولا الفرنسية كيف نحكمون بلادكم بحق السماء ؟ !

— البيطار : حسناً . . دع أحدا يتصل بنا ويبلغنا . . أننا
ليس لدينا وقت للقراءة . .

— عبد الناصر : قبل أن أغادر الفرائش في الصباح منلا اقرا
كل الصحف اللبنانية والفرنسية والانجليزية والسورية .

* * *

ولأن البيطار كان يصر على أن « الاختلافات الأيديولوجية
الخطيرة » تشكل أساس المشكلة ، وهذا بعد أمرا خطيرا في التخطيط،
وكان عبد الناصر مسرورا وسعسعدا للتطويع بها عليهم ، وقدمت

له ذريعة لكي يسعد المناقشات أبعد مما كان يرجو لها . منتهزا مثل هذه الأمور البسيطة ، أجبر الوفد السوري لأن يكون بمشاورات الحركة والحرية طوال فترة تواجده في القاهرة ، بينما نظامهم — الذي دعى عليه شهر واحد — يترنح في دمشق ، وبدلاً من ذلك لو غش السوريون تلك المحادثات دون التوصل إلى نتيجة واضحة محددة . فانهم سيجعلون النتيجة .

وأبدى عبد الناصر استعداده لشرح هذه الاختلافات الأيديولوجية في الصحافة ولهذا فإن أعضاء حزب البعث تراجعوا بسرعة عن موقفهم ، وقد وعدوا بشرحها في حضور العراقيين ، ولكن في ذلك المساء عندما دعت الوفود الثلاثة أعلن طالب شبيب وزير الخارجية العراقي والمتحدث الرسمي باسم أعضاء حزب البعث العراقي بقوله : ان من الصعب بمكان أن نقول ان هناك اختلافاً أيديولوجياً ، وأنا كعضو بالوفد العراقي ويعني يؤكد أنه لا توجد اختلافات من الناحية الأيديولوجية .

ولكن عبد الناصر قال : ان البطار وعبد الكريم زهور أصراً على أنه توجد مثل هذه الاختلافات ، ولقد عقدنا هذا اللقاء لنناقشها ، والسؤال الآن مطلوب تحديد مجال النظرية ، واننا لو أدخلنا طريقة التحيز في معنى النظرية يمكننا القول : ان هناك اختلافات أيديولوجية ، والا فلو نستطيع أن نأخذ ما قاله طالب شبيب في الاعتبار ، ويبدو لنا أننا متفقون أنه لا توجد اختلافات سياسية ، وفي المضمون لا توجد بالتالي اختلافات أيديولوجية .

ان البطار الذي كان بالأمس الأول يقول : انه يمكنه أن يشرح بالتفصيل الاختلافات الأيديولوجية لمدة شهر ، انه الآن يراجع ، انني لا اعتقد أن هناك اختلافات أيديولوجية منلها قال

الآخرون (١١) وفي الحقيقة فإن الحركات الثورية المختلطة كلها لها نفس الهدف ، وقد كان شيئا محيرا للغاية ، هل هناك اختلافات أيديولوجية أو لا ؟ لا يوجد انسان متأكد من ذلك والمناقشة الكثيرة لمعنى الديمقراطية والحربة .. الخ .. لاحت في الآفاق مرة أخرى فالكولونيل محمد عمران رئيس مجلس قيادة الثورة الوطني السوري قدم وجهة نظر عسكرية بسيطة (اننى أعتقد أن مضمون الحرية والديمقراطية واضح الا وهو أنه يجب على الشعب أن يمارس السلطة بالكامل ، ولكن عند أى موضوع يمكنهم — فى الحقيقة — أن يفعلوا ذلك ؟ هنا المشكلة ولكن فى الحقيقة أن مفهوم الحربة والديمقراطية واضح وهو ممارسة الشعب لسلطانه . ورغم ذلك فهذا سؤال آخر .

فمنذ جولة المحادثات الأولى وعبد الناصر يحاول عبثا أن يستقبط البعث بيانا نابضا لمبدأ عما اذا كانوا يوافقون على استمرار نشاط الحزب المتعدد ، وبعدها وقفوا طويلا كأبطال ازاء اجراءات الديمقراطية فى سوريا ، واشتكتوا بعد حل عبد القاصر للأحزاب عام ١٩٥٨ فانهم الآن يواجهون مطلب الأحزاب المؤيدة لعبد الناصر ، انهم يشاركون فى السلطة التى اكتسبوها بأنفسهم فى دمشق ، ولقد أخذ عبد الناصر « من شبلى العنصى » Shibli Al-Aysami وزير استصلاح الأراضى السوري الاعتراف بأن المفهوم الأول للحزب عن الديمقراطية قد تطور ، وبميل البعث الآن للنظر الى الحربة ، انها تنتمى بطريقة صحيحة الى الطبقات العاملة والى الأجهزة ذات العقلية الاشتراكية ، ولهذا غربا فى النهاية أجبرت لتتبني نظام الحزب الواحد ، مثل سياستها ، وقد

(١١) حذفت الجملتان الأخيرتان من محاضر جلسات الوحدة

المح لؤى الأتاسى بحكمة قائلا : فخامة الرئيس . . اننى استنتج ان التعريف المفصل والمحدد للحرية صعب الوصول اليه الآن حقا ، وانساققت الأفكار الأيديولوجية الى النهاية عند وجهة النظر هذه والمحيرة فى نفس الوقت .

والقى عبد الناصر فى اليوم التالى رأيا له صدى بقوله :
« فى مناقشات الأيس كنا فى حلقات وخلفنا كل أنواع الفراغات الاجتماعية والسياسية والعسكرية » .

* * *

٦ - التفاوض من أجل الوحدة :

وأخبرا حان الوقت للمساومة ، وبدأت الوفود ... بشغف ... مسألة تكوين زعامة سياسية موحدة ، ووجدوا أنفسهم معا عاجزين عن الموافقة .

وكانت وجهة نظر عبد الناصر دائما منذ بدء المحادثات هي تمسوية مشكلة الزعامة أولا ثم بعد ذلك فانه على استعداد ليقبل أى اتحاد غيرالى بالغ الوهن من ثلاثة أقطار عربية عن طريق ادماج الهياكل التنظيمية للأحزاب المختلفة فى جهاز واحد ، والا فان زعماء الحزب سبحانهظون على المخلصين المنفصلين عن الحزب من التشاحن الى الأبد ، ولن تقوم ثقة على أساس ثابت من ناحية أخرى فضل كل من البعثيين السوريين والعراقيين ابعاد هذه المشكلة ، كما اقترحوا أن يدعوا الدولة العربية المتحدة تقام وتبدأ عملها تحت رعاية ائتلاف بسيط لزعماء الأقطار الثلاثة ، وفى وقت ما يمكن أن نتوقع أن للزعامة السياسية الموحدة الكاملة أن

تتطور نظورا طبيعيا ، لأن البحث لا يعتبر الاتحاد الاشتراكي العربي لعبد الناصر منافسا له لكن شريكا له ماداموا متفقين على الأساسيات الأيديولوجية .

وهنا تسأل عبد الناصر : « كيف يتمكن الانسان أن يحكم دولة بدون الاتفاق أولا حول تنظيمها السياسى ؟ فقد كان أعضاء حزب البحث فى موقف غريب حينما يتناقشون ويجادلون ، فان ايجاد صياغة الآن لادماج الزعامات سيكون عملا سهلا ، اذن فلماذا يكون من الصعب جدا الموافقة على هذا الاقتراح الآن ؟ ، ولم يكن هناك رد مباشر على هذا التساؤل ، وبدلا من ذلك كان البعثيون يحاولون الرد على هذا التساؤل وانه يجب عليهم أن يتابعوا المفاوضات من أجل عمل دستورى للوحدة فى المستقبل ، وحدث انهم استقروا على توزيع القوى داخل الحكومة الفيدرالية ، بينهم وبين الحكومات الاقلية الثلاث ، وسبكون من السهل كثيرا التعامل مع مسألة الزعامة » .

وأخيرا وقع عبد الناصر على هذا الاقتراح ، وكان السوريون من قبل قد أعدوا مسودة لاقتراحاتهم الخاصة بهم ، وتكونت لجنة تحت رئاسة كمال الدين حسين نائب الرئيس المصرى ، ولكن عندما قدمت اللجنة مسودة عمل لمناقشتها زمجر (امتعض) عبد الناصر بسبب السؤال الخاص بتقسيم السلطة الى كل من : مجلس التشريع المقترح للبرلمان ، ومجلس الرئاسة ، هذا بالإضافة الى مجلس آخر لايزال عبر محدد هو الزعامة السياسية المشتركة ، وكان البعثيون يرغبون فى استثمار الموقف كقوة ضاغطة خلال الاجتماع الفيدرالى الموسع الذى سيكون كل قطر فيه من الاقطار الثلاثة ممثلا فيه بالتساوى او باقامة لجنة مختارة يدخل لها الاشراف على أجهزة الحكومة ككل ، أو بدلا من ذلك تجسد هذه

الزعامة في المجلس الخاص بلؤى الأساسى كأعلى سلطة فى الدولة ، وبترتيب يبدو محسوبا بطريقة سلبية لتقيد النفوذ المصرى .

ولكن كانت رؤية عبد الناصر ازاء هذه المسألة تختلف تماما ، اذ أراد عبد الناصر استثمار التأييد الشعبى العربى له . وعلى هذا الأساس يكون التمثيل فى المجلس المقترح أو على أقل تقدر ان يتشكل هذا المجلس على أساس نسبة عدد السكان ، بمعنى ان يكون بنسبة ثلاثة الى واحد لصالح مصر ، وان كان عبد الناصر يدرك أيضا ان نفوذ الرئيس سيكون ضعيفا نسبيا فيما عدا قوة « الفيتو » التى تماثل تماما تلك السلطة التى لدى الرئيس الأمريكى ، وعلى هذا الأساس فان أعضاء المجلس الرئيسى لن يجدوا شيئا بعملونه ، ورغم ذلك فسوف يحدون من سلطة الرئيس وسحرمونه سلطة الفيتو ، ومن ثم يصبح قراره مرهونا بموافقتهم .

وقد علق عبد الناصر بقوله : مشـلـلـكـتـنا التى نحاول أن نتجاهلها طوال الوقت هى : غياب العمل السياسى الموحد وأينما نسير تحلق لنا هذه المشكلة فى وجهنا ، وتعرقل تقدمنا ، وتناشوا أنه منذ فترة قصيرة أصروا على استبعاد هذه المسألة ، وغجاة وافق البعضون على أنها مسألة ملحة ، لأنهم لو وازنوا التأثير الدستورى المصرى مع اصرار عبد الناصر على نفوذ المجلس التشريعى الأدنى غريما كان الطريق الوحيد لتجنب هذه القوى من خلال مجلس زعامة مشترك ، ولكن يبدو أنه لا توجد وسائل يمكن قبولها تكون مريحة وممكنة لتثبيت هذا الجهاز فى اطار عمل رسمى .

وفى أغلب الأحيان كان عبد الناصر يتهم فى الماضى بالدكتاتورية ، انه يطالب عندئذ بتمثيل شعبى فعال ويقبل رئاسة

ضعيفة نسبيا . وعندما اقترح عبد الكريم زهور أنه يمكن تكوين مكتب سياسي ثلاثي يمثل القوى البرلمانية للدول الثلاث ، ويشكل على غرار مجلس الرئاسة السوفيتي الأعلى ، رد عبد الناصر على هذا الاقتراح بقوله : « انه حل مقر لمشاكلنا ولكن عندئذ سنتهم بأننا لسنا فقط دكتاتورين ، ولكننا طغاة بلا شعبية ! » .

وأخيرا تقبل السوريون والمراقبون مسودة العمل على طول الخط الذي اقترحه عبد الناصر ، وطبقا للاتفاق الأخير الذي وُقع في ١٧ أبريل سيعين الرئيس عبد الناصر رئيسا للوزارة ، وسيكون مجلس وزارة مسئولوا إلى جانب مجلس تشريعي أدنى (سيطرة مصرية) ولن يكون هناك مجلس رئاسي إنما سيكون هناك ثلاثة نواب للرئيس ، نائب واحد لكل إقليم ، وسيكون لهم من السلطات فقط ما يفوضهم فيه الرئيس ، ويخول للرئيس أن يستخدم حق « الفيتو » للأعمال التشريعية ، ويمكن وقف حق الفيتو بتصويت ٣ الاصوات في المجلسين ، وهذا المجلس يخول له التعيينات في المناصب الرئيسية ، ويكون رئيس المجلس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ، كما يكون من حق الرئيس حل البرلمان .

ولقد نصت الاتفاقية على خلق جبهات سياسية في كل قطر مهمتها توحيد كل القوى : الوندوية الاشتراكية الديمقراطية ، بالإضافة إلى إيجاد زعامة سياسية موحدة على مستوى فيدرالي ولكن بدون ادماج هذه الأجهزة في هيكل دستوري واحد ، وبدون شك سيكون لهم تأثير حاسم ، وسيلزم كل الجبهات الداخلية ، والزعامة السياسية على المستوى الفيدرالي بغالبية القرارات ، وتلتزم الجبهات بقرارات الزعامة الفيدرالية .

ولقد أعلنت هذه الزعامة السورية والعراقية أن هذه الاتفاقية ستقيم بالتدريج منظمة سياسية موحدة مسنقود العمل

السياسى القومى داخل وخارج الاتحاد الفيدرالى وبعمل استعبئة قوى الشعب ، ولكن هذا لا يعنى حل الأحزاب الوجودية القائمة .

وهنا تسأل عبد الناصر بقوله : « ماذا يعنى ذلك ؟ من المؤكد أن استمرار الأحزاب القائمة كان عملية منضاربة مع التنظيم السياسى الموحد » ولقد سُرح فيها بعد زعماء حزب البعث هذا التناقض بقولهم : ان قضية حل الأحزاب لم ينم الاشاق عليها ، وتركت لحولة نهائية للمناقشات ، ويكون ذلك قبل تحديد موعد الاحتفال الرسمى الذى منوقع عليه الاتفاقية ، ولكنهم عندما دخلوا صالة المؤتمر زعموا أنهم وجدوا مندوبى الصحابة والمصريين حاضرين على المنفذة قبلهم وجاهزين لمشاهدة توقيع الوثيقة التى تمت صياغتها طبقا للرغبات المصرية من أجل تكوين « منظمة سياسية موحدة » . لقد تمكنوا بسرعة وبطريقة سرية أن يضيفوا سطرا بخط أيديهم ، يبين أن هذا لا يعنى حل الأحزاب السياسية الكائنة ، وقد أقتنعوا عبد الناصر بقوله هذا الرأى ، كما تركت نقاط أخرى يمكن بحثها عقب الاحتفال .

وبصرف النظر عن هذه القصة ، حقيقة أو مزورة ، فمن الواضح أنه لم يكن هنا اتفاق حقيقى على النظام المرتقب ، وقيام « الزعامة السياسية الموحدة » أو الجبهات الخاصة بالأقطار الثلاثة كما لم يكن هناك اتفاق على هكل الجبهاز المؤقت ، المجلس الرئاسى الذى كان سيعلم الوحدة أثناء الفترة الانتقالية لأن كلا من أعضاء حزب البعث وخصومهم كانوا مشغولين بحسابات وتوازنات فى كل صياغة مقترحة ، وأخيرا كان لحزب البعث الأصوات التى ستخلقها كل صياغة مقترحة ، وأخيرا وجد أعضاء حزب البعث الحل ، إذ ستكون عضوية المجلس على أساس التكاثر بين الأقطار الثلاثة دون اعتبار لعدد السكان . ونتيجة لذلك

كان هذا الحل لصالحهم ، وأن يكونوا آمنين مادامت هناك فترة انتقال طويلة بقدر الامكان ، وخاصة أنهم مازالوا يواجهون مشاكل داخلية في بلادهم .

وفي الاجتماع قبل الأخير ، وقبل توقيع الاتفاقية في ١٢ أبريل أعلن أعضاء حزب البعث مطالبهم ، طالب شبيب يقترح بوجود فترة تمهيدية لمدة ستة أشهر هذا بخلاف الفترة الانتقالية المحددة بأكثر من سنتين على الأقل قبل أن يبدأ العمل بالدستور المعروض . وبشرح عبد الكريم زهور بقوله : « اننا لا يمكننا إجراء انتخابات الآن لاننا يجب أن نزورها حتى نتجنب دخول (مأمون الكزبري) الى السلطة ، لابد أن يكون لدينا فترة أطول لنتمكن من ايجاد نظام قوى يمكنه بالتالي أن يحقق شيئا ما قبل إجراء الانتخابات ، مع ملاحظة أن الثورة لا يمكنها أن تكون ديمقراطية في السلوك فقط ، وفخامتكم يجب أن توجه الحكومة من أعلى الى أسفل ، ويجب أن نخترق الطبقات الى أسفل ، تلك الطبقات التي ترغب في الخروج الى الحياة العامة » .

وقد سبق لعبد الناصر أن حذر السوريين من هؤلاء الرجعيين وضمان عدم سيطرتهم على الحياة السياسية والاجتماعية من خلف الكواليس عن طريق تطبيق إجراءات اشتراكية خاطئة خاصة بهم ، وأضاف قائلا : عندما تتولى الثورة السلطة يجب أن تعرف كيف تحافظ عليها ، فلهذا هي مضطرة الى حرمان أعدائها من أسلحتهم الضرورية ، ويكون رد الفعل أكثر قوة من الثورة خاصة لو أن أهدافها كانت غامضة ، فان الشعب الذي من أجلهم تحمل إجراءات الاشتراكية يكون من الصعب عليهم أن يتغفوا ، ولكن يكون من السهل تجميع الرجعيين معا في نادي الشرق بدمشق .

لم يكن اهتمام عبد الناصر في تلك الفترة مركزا على التفتيش الأيديولوجي ولكن كان جل اهتمامه حول الهيكل ، وقد كسب طريقة في توزيع القوى الدستورية ، ولم يرغب أن يراها تتسلل بعيدا ، وبدون الدستور ، والمؤتمر القومي ، وبدون أية خطة ثابتة متفق عليها لزعامة مشتركة في سوريا والعراق ، لقد كان عليه أن يبدأ الوحدة بالمشاركة مع أي نظام قائم بالفعل في دمشق وبغداد ، وتلك كان يسيطر عليها البعث في ذلك الوقت وأن أي مجلس نالسي موجه أو نظام رئاسي للفترة الانتقالية بدون اجتماع يركز عليه كان سيضعه في نفس الموقف الذي أراد أن يتجنبه ، لقد كان قادرا على الأقل أن يجعل أعضاء حزب البعث في قلق .

قال عبد الناصر : لماذا تفترض أنني وافقت أنه يجب على رئيس الجمهورية أن يكون لديه سلطات كثيرة أو قليلة ؟ ذلك راجع الى حديثك عن الطغيان والدكتاتورية ، هذا الموقف قائم على المسودة التي قدمها الوفد السوري ، لقد شمرنا بعد كل الذي كتب عن الدكتاتورية أنكم كذتم تريدون ديمقراطية برلمانية ، ولهذا وافقنا ، وقد تجادلنا طوال المناقشة على فرض أن حكومتنا ستكون برلمانية ، الآن لا نريدون برلمانا ، هل كان نقاشنا بدون جدوى ؟ » .

لقد حاول كل من عبد الكريم زهور وطالب شبيب توضيح وجهة نظرهما بأنهما كانا يرغبان التأجيل الى حين من الوقت ولا يرغبان في الالغاء ، انهما محتاجان الى وقت متسع لاعداد الدستور ، كما انهما في احتياج الى مثل هذا الوقت في بلديهما ليبدأ نظمهما النورية قبل بدء الانتخابات البرلمانية ، وهنا سأل عبد الناصر : « لماذا اذن كنتم تبحثون عن الوحدة بينما تواجهون مثل هذه المشاكل والتحديات المحيطة بالحقبة ؟ » .

وحقيقة كان عبد الناصر يدرك الدوافع لذلك اذ كانوا يريدون استثمار اسمه ومكانته الشعبية في الوطن العربي بصفة عامة وسوريا بصفة خاصة لتثبيت سلطاتهم ، عندئذ قال عبد الناصر : « أعنقد أن وحدتنا ضعيفة بطريقة باليسسة ، ان الحلقة القوية الوحيدة التي تربطها معا هي المؤتمر القومي ، فاذا لم يكن موجودا فستكون وحدتنا انفصالا في نياب وحدة . اننا نتخيل أن فترة انتقالية لمدة سنة واحدة تكون كافية لخلق ادارة فيدرالية ، وهذا هو السبب في موافقنا على كل تعليقاتكم واضماتكم ، وما حذفتموه (وفي الحقيقة لم يفعلوا ذلك) ولكننا نتخيل أن المؤتمر القومي سيجعل الوحدة متماسكة .

لقد أجاب عبد الكريم زهور بقوله : « لو حققتنا هنا الدستور فوراً — مرددا الآراء التي عبر عنها عبد الناصر مسبقا — علينا أن نتخلى عن ثورتنا ونهتد الطريق للرجعيين والانفصاليين الذين سوف يلغون بكل بساطة الاتحاد الفيدرالى » .

ورد عبد الناصر بحده قائلا : لم أر في حياتي نقاشا بهذا الشكل ، لماذا لا نناقش هذا الدستور الآن ؟ ولماذا نؤجل هذا النقاش حتى نهاية الفترة الانتقالية ؟ عندئذ من يدري ما الذى سيحدث خلال ثلاث او أربع سنوات من الآن ؟ وفى تلك الأثناء من الذى يحكم الجمهورية ؟

رد عبد الكريم زهور بقوله : يمكن أن يحكم الجمهورية جهاز تورى مثل ما لدى كل الثورات .

سأل عبد الناصر : أين هذا الجهاز ؟ اذن فمن المفروض أن يتكون بأسرع وقت ممكن .

لقد أحرز عبد الناصر نقطة مؤثرة في هذا الموقف لكنه لم يتلمس طريقته حتى النهاية ، ففي الصباح قابل الوفد العراقي بصفة خاصة وخضع لالتماسهم بهدف إطالة الوقت أمامهم ، وقد وافق عبد الناصر على تأخيره لمدة خمسة أشهر قبل أن تعلن الوحدة ، ثم وجود فترة انتقالية تزيد على ٢٠ شهرا قبل العمل بالدستور .

والآن أتى الدور على الأعضاء الناصريين في الوفد السوري ، لقد أصيب بالاكتماب كل من : نهاد الجاسم ، وهاني الهندي حيث أبدى هاني الهندي احتجاجه قائلاً : أقول ان نتائجنا مدهشة الى حد ما ولو ان كل اقليم يعالج مشاكله الخاصة مستقبلاً (من الآن حتى نهاية الفترة الانتقالية) فان مشاكلنا ستزداد ، وانتم تدركون ماهي مشاكلنا .

وهكذا ألح هندي أن حزب البعث في دمشق من المتوقع أن يتحين الفرصة لنفيه هو وأصدقائه الى كوالالمبور . وفي الحقيقة كانت مخاوفه هذه يمكن تبريرها تماماً ، فانها لم تسفرق سنتين بل تحققت خلال اسبوعين .

وهكذا فان المفاوضات تكون قد انتهت باتفاق على تأجيل اعداد الوحدة الكاملة لما يزيد على عامين ، وبخطوط غامضة بالتزامات لفترة ناضلة ، وأثناء تلك الفترة من المتوقع على أفضل تقدير أن كل قطر سيكون الى حد كبير مسئولا عن شؤونه الخاصة به ، وفي خلال هذه الفترة يمكن حدوث ما لا يحمد عقباه من قبل حزب البعث وكذلك الناصريين .

٧ - اتفاقية للموافقة :

ان الموضوع الجوهرى الذى بدأ واضحا للعيان اثناء هذه المباحثات هو فقدان الثقة بين كل الاطراف ، أعضاء حزب البعث من جانب وعبد الناصر وزملائه من جانب آخر ، فقد كان عبد الناصر يرفعها ، والبعث يخفضها ، وكلا الجانبين شارك فى الموقف بالتساوى ، فأعضاء حزب البعث لم يكونوا فى لهفة ليشاركوا فى السلطة فى سوريا أو فى العراق ، واهبطوا عبد الناصر موقفا معلنا على الملأ ، وكان جل اهتمامهم مركزا فى أى موقف للدفاع عن مواقفهم الخاصة ، وتكاد تبدو كل المحادثات مثل لعبة القط والفأر ، وهذه المباحثات تتسم بالمشاورات الدبلوماسية ، وكذلك مشاورات نفسية لم تؤد الى أية نتيجة مرضية يمكن التوصل اليها بشكل ايجابى ، اذ من المؤكد أن حزب البعث ينفى منافسيه ، خاصة الحركة القومية العربية التى كانت تبادل نفس الشعور ، وينظرون اليهم كاتجاهيين مستغلين لاسم عبد الناصر (أكثر مناصرة للملكية من الملك) .

فى حين كان غرض عبد الناصر الأساسى أن يجبرهم على التحدى جانبيا وخلق مكان مساو لحركة القومية العربية ، والاطراف الأخرى ، ومنذ البداية فرض عبد الناصر شرطا لا يمكن قبوله ، وذلك أنه يدرك يقينا أنه سوف يقبم اتحادا مع سوريا وليس مع حزب البعث ، اذ كان يتوقع عبد الناصر أمام هذا الشرط أن يعود أعضاء حزب البعث الى أوطانهم ، ولكن ما حدث كان العكس تماما ، اذ أنهم مكثوا متملقين بشروطه ، ومعلنين استعدادهم للتعاون ولو باندماجهم أخيرا الى الناصريين ، وبرغم هذا لم يكن هناك دليل واحد يمكن أن يقدموه لانبات حسن نواياهم ، وفى نفس الوقت لم يبد أنهم ابتعدوا عن الأمل فى أن عبد الناصر

سبعطيمهم ضمننا حرية الارادة فيما يريدون ، ونتيجة لذلك ، كان البحث عن صياغة لتوحيد الزعامة السياسية .

وقد فترت بين الأطراف مسألة الثقة التي كانوا يفتقرون اليها بطبيعة الحال ، وكانت الاتفاقية لا تعدو أن تكون أكثر من كونها بيانات تتسم بالنيات والنوايا الطيبة من أجل مستقبل أفضل ، فقد تركت لكل قطر حرية اتخاذ القرارات والاجراءات المناسبة بشكل مباشر ، وبالتالي يجب على كل قطر أن يشكل جبهته الخاصة به ، فيما يتعلق بالهيئة التشريعية ، أو الميثاق الخاص به ، أو بمبادئه السياسية ، وكذلك من يمثلونه في اللجان المشتركة ، وكذلك اختبار أعضاء المجلس الرئاسي الانتقالي ، وبالتالي يجب على كل قطر أن ينظم الاستفتاء الخاص في كل من سوريا والعراق ، فان من المحتمل أن كل هذه الخطوات تتم بطريقة مرضية .

وبينما كان عبد الناصر يركز هجومه ضد أعضاء حزب البعث السوري - وكان هذا أسلوبا تكتيكيا من قبل عبد الناصر - حتى يوحى الى أعضاء حزب البعث العراقي ، حيث كانوا في وضع أسوأ من أعضاء الوفد السوري (فنى إحدى الجلسات حاول هانى الهندي أن يثير مسألة موقف الحركة القومية في العراق ، وهنا تلقى رمضا قاطعا من على صالح السعدي ، وطالب شبيب ، بينما كان عبد الناصر يؤيد موقف هانى الهندي ورأيه) ، وقد كان من المحتمل أن تكتيك عبد الناصر قد أملت عليه حسابات دقيقة ، إذ كان يرى أن يؤيد سوريا ، ثم بعد أن يؤمن موقفه في سوريا ، يزاول ضغطه على العراقيين بكل قوته .

وبالنسبة لموقف البعث السوري ، فقد كان هدفه الأساسي أن يكسب نوعا من الاعتراف الضمني من عبد الناصر بشرعيتهم ،

وهذا ما جعلهم مكتوفى الأيدي ، عاجزين عن الرد على كل اهانات عبد الناصر لهم طوال مراحل المباحثات ، والأهم عندهم هو اضعاف الشرعية على موقفهم ، فضلا عن الاعلان لأنفسهم لدى شعبهم ، ويأبون بشكل قاطع أن ينهوا تلك المباحثات ، لقد كانت أفكارهم قاصرة ، وعاجزة حتى يمكنهم « استعمال المطرقة والسندان » ضده ، ولذلك اتسم موقفهم بموقف دفاعى غلط ، ولن يكون فى إمكانهم استخدام موقفهم بشكل هجومى ضد عبد الناصر ، وظلوا هكذا حتى يتمكنوا — كما كان ظنهم — من الحصول على موضع قدم فى السياسات العربية التى تستهدف الوحدة العربية الشاملة ليكون موقفهم قويا فى مواجهة كل من : الأردن واليمن والعربية السعودية .

لقد كان موقف ميشل عفلق — ذى الحظ السيء — يرى أن حزب البعث لن يتدخل فى الشؤون الداخلية لمصر ، وسيكون حزب البعث متحرجا لأن البعثيين السوريين ليس لديهم أية أهداف فى مصر ، مع أنهم يضعون فى الاعتبار مدى شعبية عبد الناصر فى سوريا ، وعند هذا الحد من الحديث وجه عبد الناصر الى حزب البعث السوري قوله : « انكم تسألون عن شىء ليس له وجود فى مصر ، وإذا كنتم تريدون توقيعى وموافقتى ، فان عليكم أن تسبوا أموركم فى داخل سوريا ، وتفسدوا المجال لأتباعى هناك » . وهل كان يترك لحزب البعث أن يهد طريقه بنفسه ؟ وفى هذه الحالة فان عبد الناصر سسبعلن عجزه فى الشؤون العربية خارج نطاق مصر ، وبالتالي سيفقد المبادرة معا ، لأن حزب البعث مهما كان موقفه معروفا لدى الجميع فان حزب البعث سيفقد نفوذه وسيطرته خارج حدود سوريا ، والدليل على ذلك وجود الناصريين فى كثير من البلاد العربية ، وليكن مثل السوريين

فى الأردن ، وهذا بدل على مدى ضعفه ، بينما الأمر فى مصر مختلف تماماً ، فأصبح من المؤكد أن سياسة عبد الناصر العربية بمثابة كتابة « شبك على بياض » لحركات الشعوب الأخرى التى تتسم بالثورة ، ولهذا فإن عبد الناصر يقف على أرض صلبة فى سياسته المعلنة ، مثلما نعل فى كثير من الأحداث التى جرت بين مصر وحزب البعث السورى .

ولقد ظهر أن كلا من السوريين وعبد الناصر كانا دائماً يدركان يقيناً مدى التطابق بين أحداث ١٩٥٨ و ١٩٦٣ ، وقد أشاروا الى ذلك بطريق خفى عندما وصل صلاح البيطار ، وميشيل عفلق يوم ١٩ مارس ١٩٦٣ ولقد ألح عبد الناصر فى عام ١٩٥٨ عندما قال : انه يعتقد أن الوحدة تحتاج الى خمس سنوات قبل اتمامها بشكل نهائى لكى تبنى على أساس سليم وقوى ، عندئذ تدخل سائح البيطار وقال : ان الخمس سنوات قد انقضت الآن .

لقد أبدى كل جانب ملاحظاته على تجربة الوحدة السابقة فى عام ١٩٥٨ حيث كانت شكوى عبد الناصر باستمرار أن وزراء حزب البعث ، قدموا استقالاتهم استقالة جماعية ، وأن ميشيل عفلق كان يبحث عن تشكيل لجنة سرية بعثية مصرية موجهة ، وانعكس على ضرورة البحث عن مركز متميز ، والفراغ المزعوم الذى نتج أيام منظمة الوحدة القومية بدا بعيداً عن القول : لابد أن تدركوا الآن أنكم فى احتياج البناء كى نملأ الفراغ وقد كانت مزاعمهم فى اعتماد المصريين على أعوان ، يمكن أن يؤخذ هذا القول كإشارة مقصود بها الناصريون فى سوريا ، فقد كان نهاد الجاسم على حق بمعارضته هذا التورط ، لقد كان نقاش الوحدة السابقة على انفراد بهدف تبادل مواقع المساومة الحالية ، وقد كان غياب أكرم الحوراني أمراً مؤسفاً ، فهو

بمثابة صمام الأمان فى هذه اللعبة السياسية ، وخاصة عندما بدأت الاتهامات الخطيرة جدا ينسبها البعثيون الى شخص عبد الناصر .

لقد أدار عبد الناصر المفاوضات بمهارة فائقة ، حيث سيطرت شخصيته على الجلسات الخاصة بالوحدة ، واستغلها عبد الناصر على أكمل وجه حيث شعر أنه أصبح حرا فى تكديس الاتهامات ، وتوجيه أقصى الانتقادات لميشيل عفلق ، وصالح البيطار ، بل كان يرهيبهم فى كثير من المواقف ، وأكثر من هذا كان يخلق « النكات » على حسابهم ، وكان عفلق والبيطار يسمعان هذا ، ولا يمكنها الرد على هذا الهجوم ، فى وقت كان عبد الناصر يؤكد فيه أن المعبد النفسى فى المفاوضات كان ملقى عليه ، ومن ثم غاى نقد أو تلميح يمس نفوذه وكبريائه بثبره غضبا !

وقد بدا على ميشيل عفلق الشعور بالاحباط النفسى، ويحاول جاهدا أن يمحو العشرين عاما من الفكر ، كأنه معلم وأستاذ بالجامعة يرفض قبول بحث لطالب بليد ، فنجد فى التسجيل الكامل للمحادثات وخاصة تلك المناقشات الأيديولوجية نجد عفلق ينبرى كأنه أستاذ جامعى يلقي محاضرة على سامعيه .

لقد استخدم عبد الناصر هذه المحادثات الأيديولوجية لى يحرر حزب البعث ، ويدمر ثقتهم فى أنفسهم ، وفى عام ١٩٥٨ اعتقدوا — حسب ادراكهم الشخصى — أنه ليس فى حاجة اليهم ، وفى حقيقة الأمر كان لديه الكثير من نقده اللاذع المر ، فقد حملت بعض احاديثه الأيديولوجية عن الأحزاب والطبقات الاجتماعية هدفا لى يظهر حزب البعث أن منظماتهم من الصعب الدخول فيها لأنها تفتقر الى كثير من المصادقية لى يحكموا بكفاءة .

لم تكن المفاوضات تلتى نجاحها دبلوماسيا باستمرار لعبد الناصر لأنه لم يكسب وعودا حيوية سوى وعود معنوية ، وما تم انجازه حقيقة أنه كان يستغل شهرته ، ويلعب الدور كبطل « للقومية العربية » بينما يحمى مكاسبه ضد المخاطرة والوعد المهم الذى ضمنه الفترة التميدية التى ستوضع فى دائرة الاختبار فى الحال ، كانت من أجل تكوين ائتلاف مقبول فى كل من سوريا والعراق ، ولو أن هذا يتم عن طريق حدوث معجزة ، ففى هذه الحالة سيكون عبد الناصر فى أمان ضد « المطرقة والسندان » الخاصة بحزب البعث . وسيكسب زعامة وحدة قوية ، ولو لم يحدث هذا فسبكون متسع من الوقت لى ينسحب دون مساس لنفوذه ، متهما البعث بنسب العقبدة ، وينشر تسجيل هذه المفاوضات ليبرر الاتهام أن نظامه يمكنه بسهولة أن يستغنى عن الوحدة ، وسيكون لحكومات حزب البعث الأمر أكثر صعوبة .

الفصل الرابع

الانهيار

- ١ — آثار الانهيار في سوريا والعراق
- ٢ — انهيار البعث وعبد الناصر
- ٣ — المفاوضات العراقية السورية
- ٤ — نظام عبد السلام عارف

((لا يوجد شخص في سوريا أكثر ناصرية من أفراد
حزب البعث))

سامي الجدي في ٢٧ يولية عام ١٩٦٣

لقد تضمنت النسخة التي نشرت في ١٧ ابريل ، والخاصة
بمحدثات الوحدة بين كل من مصر وسوريا والعراق ،
أقل القليل مما جرى في هذه المحدثات بين الاطراف
المعنية ، وفي الحقيقة ان أى شخص يقرأ هذه الانشابة ، ويفكر
في مضمونها بشكل جدى ، سوف يدرك أن أقل القليل هو الذى
تم اقراره في هذه المباحثات ، وأن كل ما تم مناقشته كان وعدا
بالوصول الى شروط يمكن ان تتم في المستقبل في العالم العربى
الذى تكبله الاجراءات الدستورية مع ملاحظة أن مثل هذه الخطوات
الثورية غالبا ما تتم بشكل فجائى لا يمكن التنبؤ به .

ولكن الملاحظ من خلال الاطلاع على النسخة المنشورة للرأى
العام ، أن كل الجهود تركزت في هذه المباحثات حول المنصب
الرئاسى ، والبرلمان والقوى الاقليمية ، وذلك دون أن يتخذ قرار
اعلان الوحدة وذلك برغم استمرار هذه المباحثات مدة طويلة وكان
من المفروض أن نتخذ عدة اجراءات ايجابية بينما الذى حدث أن
اجتماعات تعقد ، ولجانا تشكل ، ووفودا تذهب ، وأخرى تجيء ،
بين القاهرة ودمشق وبغداد ، وتصريحات تملأ كل الصحف العربية ،
وعلى أية حال اذا لم يتم الاطار العام عن قيام الوحدة ، ويخرج

الى حيز الوجود في جدول زمني محدد ، فليس من الضروري كل هذه الضجة والدعاية .

وقد تمكن المراقبون — ذوو النظرة — من رسم مثل هذه الاستنتاجات حينما اطلعوا على النسخة المنشورة عن مباحثات الوحدة ، ومن الممكن لاي مواطن عربي من خلال الاطلاع على النسخة المنشورة ان يدرك ان جو المباحثات قد غلب عليه طابع فقدان الثقة المتبادلة بين الاطراف الثلاثة ، منذ اليوم الاول ، وان الاتفاقية لم تكن — بحسب — غير قادرة ان تؤكد التصور التام للمستقبل ، ولكنها في نفس الوقت تخفي حاضرا غير مبشر بالخير ، وكان من المفروض — على العقل العربي — ان يرتفع عالما لمواجهة توقعات كبرى قد تحدث له في المستقبل ، حتى نص الاتفاقية الذي نشر على الرأي العام العربي لم يقابل بالحماسة ، واحتوى النص ، على كثير من الثغرات كان في امكان أي مواطن عربي ان يوجه اليه النقد البناء ، وعلى هذا حدثت المعارك السياسية العنيفة ، في الشهور التالية في كل من دمشق وبغداد ، وفي نفس الوقت وصلت الدعاية الى ذروتها في مصر ، خلال شهرى يونيو ويوليو الاخيرين في وقت أصيبت فيه الجماهير بالاخطاط النفسى ، وهكذا أدرك الرأي العام ان الوحدة تحولت الى شعارات ايديولوجية ليس لها اي اساس من الواقع .

١ — آثار الانهيار في سوريا والعراق :

لقد حدث رد فعل عنيف في سوريا ، حيث ان حزب البعث ومنافسيه كانوا من قبل في حالة من القلق والتوتر ، واختلال التوازن ، عكس ما حدث في حزب البعث العراقي ، ولو ان حزب

البعث — فى العراق — بمسك بزمام الأمور داخل البلاد ، فضلا عن أنه يشغل أكبر عدد من المراكز الهامة فى مجلس قيادة الثورة الوطنى ، ومجلس الوزراء . وكان أعضاء حزب البعث العراقى تحت ضغط معنوى بالنسبة للقوى الأخرى ، خاصة بعد أن تحدى حزب البعث إجراء المباحثات فى القاهرة على مسئوليته ، وعلى هذا ظهرت الخلافات بين العراق وسوريا وطفيت على سطح الحياة السياسية فى وقت لم يكن هذا الخلاف فيه بين السياسيين يختلف الأحزاب شيئا هبنا ، وامتد هذا الخلاف بين صفوف حزب البعث نفسه .

وكما حدث فى سنوات سابقة ، طلب كل حزب سورى دعما من أصدقائه فى بغداد والقاهرة ، وعلى هذا فمن الملاحظ أنه لم تتم صياغة الشروط ، ونصوص البنود الخاصة بالتحالف بين البعث ومنافسيه . ومن ثم فقد كانت فجوة واسعة بين الطرفين فيما يتعلق باتفاق القاهرة ، وتبلورت نقاط الخلاف حول نسب التمثيل بين الجانبين ، فمثلا هل يجب أن تطبق المساواة فى التمثيل فى اللجنة الموجهة للجنة السياسية المقترحة فقط أو تنطبق على مجلس الوزراء أو مجلس قيادة الثورة الوطنى ؟ وهل المساواة تعنى أن نسبة ٥٠٪ من أعضاء البعث ، و ٥٠٪ من المنظمات الثلاث المندمجة ، أو ٢٥٪ من أعضاء حزب البعث ، و ٢٥٪ من الآخرين ؟ أو هل يجب أن يشكل المستقلون خمس العناصر ؟ وحتى لو تمت الموافقة على صياغة ما ، فسيبقى — بعد ذلك — من يقرر أن يشغل أى منصب ؟ وبعد ذلك ماذا سيكون الدور العلى للجنة الجبهة ؟ ومن الذى يضمن تأثره على قرارات مجلس قيادة الثورة الوطنى ومجلس الوزراء ؟ وما هى هذه الأجهزة الوحيدة المخول بها السلطة الدستورية ؟ وكيف تتوصل اللجنة الى قرارات ؟

ولكن من المؤكد أن عدم التوصل الى اتفاقات على المستويات المختلفة سيثور في وقت ما فوق أية قرارات سياسية تتلو ذلك ، وخاصة في معمة الاعداد الخاص للانتخابات ، ومن ثم لا يمكن التنبؤ — وقتيا — الى اى مدى تصر كل مجموعة على وجهة نظرها وسط هذه الظروف التى تهدد بتفتيت هذا التحالف ؟

وفي المباحثات برزت الى الأفق مسألة الجيش ، وماهو تشكيل قبادته العليا ؟ ومن ستكون له الكلمة الاولى والأخيرة في شئون العزل والترقيات والتنقلات ؟ وربما يوافق المرء من الناحية الاسمية ، على أن الجيش يجب أن يستبعد عن الشئون السياسية ، ففي واقع الأمر ، وبعد قيام الجيش بالانقلابات العسكرية الكثيرة ، فربما بكل اخلاص بصر كثير من السياسيين المدنسن على ذلك ، ولكن ماذا يعنى ذلك ؟ غلو كان يعنى أن القيادة العامة يجب أن تدير شئون الجيش بدون تدخل من جانب السياسيين ، فعندئذ ما هو التأكيد بأن الضباط ذوى العقلية الحزبية أو السياسية لن ينفذوا مؤامراتهم ولو على انفسهم ويدفعوا بمفائسسيهم خارج مواقع النفوذ ، وعندئذ يتذرعون بمبدأ الحكم الذاتى للجيش ؟

وفي الحقيقة ان الجيش لم يكن في حاجة لانقاذه من السياسيين ولكن العكس تماما ، فقد تطبع الضباط السوريون بشكل ملحوظ بهدف تصحيح النظم المدنية التى لا يوافقون عليها ، لأن أبة مجموعة سياسية مدنية مهما كانت نواياها على جانب من الأهمية ، كانت ملتزمة ، لتراقب عن كثب تلك التشكيلات والتطورات في الجيش ، ولا تشعر بالأمان الا اذا كان حزبها والموافقون عليه من الضباط كانوا في موقف أمين أو حتى موقف مسيطر ، ولكن سيأتى بعدها المدنيون يسيطرون عليها مؤبدين من العسكريين ، فقد حدث هذا على مر الأيام لحزب البعث .

كل هذه السياسات المتشككة كان لزاما أن تعتمد على المدى الذى سيثبج فيه عبد الناصر حلفاءه السوريين لكى يدفع بمساومة صعبة مع حزب البعث أو يمنهم من عمل ذلك ، وأيضاً يعتمد على تقدير حزب البعث لما يمكنهم أن يعملوه ليتأزلا دون تعريض أمنهم للخطر ، وحيث أن هناك القليل للغاية من المعلومات حول المفاوضات فى دمشق فإن من الخطورة الحكم على حقيقة الشروط فى هذا النزاع .

وبعد انقلاب الثامن من مارس ، تشكل مجلس الوزراء برئاسة صلاح البيطار ، وشغل حزب البعث نصف المقاعد ، بينما أغلبية أعضاء مجلس قيادة الثورة الوطنى كانوا أعضاء حزب البعث المتعاطفين معه ، وقد تم قبول نهاد القاسم ، وهانى الهندى ، وسامى صوفان وزملائهم فى درجة تمثيل أدنى ، وقد وافقوا على هذا الترتيب لمدة من الزمن تحبب فيما بعد ، ولكن قبل انتهاء مباحثات القاهرة مباشرة كانوا يضغطون من أجل تصفية هذه المشكلة ولكن نشروا فيما بعد مذكرة يعلنون فيها أنه قبل مغادرة الوفد للقاهرة ، منذ وافقوا بطريقة واضحة لا عوج فيها مع حزب البعث أن النشاط فى الجبهة الوطنية المقترحة يجب أن يكون على أساس المساواة بين المجموعات الأربع ، وقد اشتكوا أن البعث تكث وعده فى هذه الاتفاقية ، وهكذا فإن كل ما قاله السيد سامى الجندى وزير الاستعلامات حول الاختلافات على عدد المقاعد فى مجلس الوزراء والمجلس الثورى الوطنى كان غير حقيقى ، وتم الاتفاق على هذه النقاط قبل توجه الوفد الى القاهرة ، وكان ذكر « الأنصاف » والأربع كان يدور فى عقل الجندى نفسه (١) .

(١) محاضر جلسات الوحدة ص ٢٦٨ .

ولكن في الحقيقة كان من الواضح أن هناك منازعات واختلافاً في وجهات النظر حول توزيع المقاعد ، مع أن الصياغة الدقيقة للقرار كانت في حالة من الاضطراب ، واستمرت المساومة حول هذا الموضوع منذ شهر مارس ، ووضعت في هذا الشأن مختلف الصيغ في أوثان متعددة ، ولقد انعكس هذا الوضع في تحريف تفسير الأحداث التي حملها إلى المؤلف بعض المشاركين والمقربين ، وكذلك المؤشر العام الضمني لهذه الترجمات . أن هناك تفهماً تم التوصل إليه خلال أو بعد محادثات القاهرة ، فإن حزب البعث ومنافسيهم جميعاً سيشغلون عدداً مساوياً لمقاعد مجلس الوزراء ، ويتوازن مع المستقلين ، بينما في مجلس قيادة الثورة الوطني ، فإن حزب البعث سيستمر مستاثراً بنصف عضويته ، بينما أعضاء حزب البعث في العراق ، فمن المتوقع أنه سيوفر مكاناً للآخرين ، ولكن من المسلم به أن هذه الحاجة مجرد اسمية .

وهكذا كان البيان الحاسم في دمشق باختيار المستقلين . كثير منهم كان يمكنهم أن يعتمدوا على الاستفادة على اتجاه واحد أو اتجاه آخر .

وقد اعترض الناصريون على قائمة البعث الخاصة بالمستقلين الموالين ، وكان واضحاً أن السبب كان وجيهاً ، وكان من المحتمل أن ما يتراءى لهؤلاء المستقلين أن صلاح البيطار قد أعلن المؤلف بمفاجأة (ولو أنها غير كاملة) حيث قال : « بصراحة أنه منذ مارس فصاعداً فإن حزب البعث يصر بدون ميل على إبقاء غالبية السيطرة لنفسه » .

لقد كانت تلك النزاعات مرهونة بأخرى ، بخصوص الجبهة السياسية التي كان عملها توجيه مجلس قيادة الثورة الوطني ،

ومجلس الوزراء ، ولقد حدد اتفاق القاهرة أنه يجب أن تكون القرارات بالاعلبية (حيث أن من المحتمل أن يتفوق بغالبية الأصوات بكل سهولة) وبطريقة مختلفة طلب أعضاء حزب البعث أن تكون قرارات الجبهة بالاجماع ، وأى شئ آخر بطريقة استشارية (وهكذا فى أية حالة يتركون الفترة الحاسمة الى مجلس قيادة الثورة الوطنى) وقد نادى أحد البعثيين المتواجدين فى محادثات القاهرة أن الفقرة الشرطية فى الاتفاق بأن تكون « لغالبية الأصوات » لم يتم حسمها وتسويتها فى المفاوضات ، ولكنها أدخلت خلصة الى سياق النص ، فى آخر دقيقة ، عن طريق المصريين ، مع الجملة التى تضمنت أن الحزب الواحد المتحد يمكن تشكيله ، ولم يبد أن من الممكن سابقا أن تقوم الحقيقة بوضوح بخصوص المنازعات على الجبهة ، وهذه الأسئلة تعقدت عن طريق الاختلافات بين الأحزاب اللابعثية . وبعد اتفاقية القاهرة مباشرة كانت هناك مفاوضات عقيم بين حزب البعث والحركة الوجودية الاشتراكية لسمامى صوفان ، وتهدف الى عودة الحركة الوجودية الاشتراكية الى وحدة مع حزب البعث ، وهى التى ابتعدت عن عام ١٩٦١ ، ولو قدر لهذه الجهود بالنجاح ، فإن حزب البعث كان من المحتمل أن يتقدم بطلب ملح الى موقع متزايد ، يواجه الحركتين الباقيتين ، ولكن بمجرد أن بدأت المفاوضات التى تيسر بنجاحها ، وقع حادث هز هذا المخطط ، وألقى بظلال مخيفة على كل التطورات اللاحقة .

حدثت الحركة الفجائية لمجلس قيادة الثورة الوطنى فى نهاية شهر إبريل ، لكى يتم تطهير الجيش من عدد كبير من الضباط الناصريين ، حيث تم تسريح بعضهم من الخدمة ، وآخرون نقلوا الى مناصب أقل حساسية . وكان من بين هؤلاء المطرودين وزير الدفاع الجنرال محمود صدقى ونائب رئيس الأركان « ميجور جنرال رشيد القوتلى » ونتج عن هذه الاجراءات حدوث اضطرابات محلية

فى الجيش بين حزب البعث ، ومثييعى عبد الناصر ، وقد زعمت السلطات السورية أنه حدث سغب فى مدينة حلب ، وبالقرب من مدينة دمشق بهدف التطهير وبحجة أن هذه المظاهرات الشعبية كانت تعد وتخطط لانقلاب ضد السلطات ، وذلك الاتهام أنكره بشدة الزعماء الناصريون ، وعلى هذا فقد قدم هانى الهندي ، والجاسم ، والصوفاني وآخرون استقالاتهم احتجاجا على تصرفات مجلس الوزراء ، كما أجبرت هذه الشخصيات البيطار على أن يقدم استقالته أيضا فى ١١ مارس .

ويبدو أنه حدثت مناورة غريبة ، وصنفها أحد المراقبين الموجودين عن قرب بما بلى : لقد عهد مجلس قيادة الثورة الوطنى الى الدكتور سامى الجندى ، وهو من المقربين السابقين لصوفانى فى الحركة الوحشية الاثـتراكية ، ولكن الآن له علاقة ودية مع حزب البعث بتأليف مجلس الوزراء ، وبعد يومين تولى عن هذا العمل مبدىا شكواه ، بأن مجموعات من غير حزب البعث رفضت أن تتفاوض — فى هذا الشأن — رغم استعداده لتحقيق رغباتهم ، وقد كان مبررهم لهذا السلوك أنه لم يستشرهم ولكن الملاحظ أنه فى هذه الأثناء — ومن خلف ظهر الجندى — احبط مجلس قيادة الثورة الوطنى آمالهم الحقيقية التى كانوا يعلقونها على الدكتور سامى الدروبي البعنى المعتدل ووزير التعليم فى تلك الوزارة التى أقيمت فى وقت كان فيه الدكتور سامى الدروبي بالقاهرة يحضر مؤتمر التعليم العربى . وفى هذه الأثناء استشار الدروبي عبد الناصر فى الأمر ، وعندئذ سارع بالعودة الى دمشق وتوصل الى تسوية مع الزعماء الذين لا ينتمون لحزب البعث ، وتحت رئاسته فى الوزارة المذكورة لأنهم لو بقوا فى مناصبهم فأنهم بهذا سيحصلون على غالبية مقاعد كل من حزب البعث ومجلس قيادة الثورة الوطنى .

وفى هذه الأثناء استعرض — بدون تحيز — موضوع الضباط المطرودين وكذلك المنقولين ، وكل هذه الإجراءات كانت لصالح الدروبي ، كما وضعت خطة بديلة لصالحه فى تلك الأيام على أن يكون زعيم حزب البعث ، وقد رفضها ، وهذا الموضوع لم تكن الجماهير تعلم به ، وإن كانوا قد أدلوا بمعلومات مفادها : أن الجندى حاول تأليف الحكومة ولكنه منى بالفشل ، وعلى هذا عاد صلاح البيطار فى ١٣ مايو ليؤلف مجلس وزراء يسيطر عليه حزب البعث وأصدقائهم (حيث كان ستة من الوزراء الجدد من البعثيين ، وستة آخرون من المستقلين المواليين للبعث ويعتمد عليهم) وتركت ستة مقاعد شاغرة للأحزاب الأخرى الذين رفضوا — بالطبع — شغل هذه المناصب (٢) .

إننا لسنا متأكدين من دقة هذه القصة الغريبة ، وهناك مصادر مختلفة أكدت جزءا منها ، وأفكرت باقى المعلومات الأخرى ، وقد أكد البيطار أن الدروبي زار عبد الناصر فى القاهرة ، والاتاسى ، ولو أن اسم الدروبي كان بين الآخرين الذين لهم الأولوية — فى ذلك الجاسم ، وكان من المتوقع أن الدروبي يجب أن يؤلف حكومة مسئولة من الشخصيات الأساسية لحكم سوريا حتى استفتاء سبتمبر ، وما كان مؤكدا أنه لا أعضاء حزب البعث ولا منافسوه — أخذوا بكل صراحة — مسألة ترشيح الجندى بنوع من التهرب وعدم الاكتراث ، ولكن هذه الفكرة خدمت بصفة أساسية كغطاء لمناورة أخرى غامضة ، فربما ظن حزب البعث أن من المفيد أن يعرض لفر الجندى للجمهور ، حتى يقال بكل الصدق — ولو أنه

(٢) لقد اضاف المؤلف أخيرا بعد الرجوع الى « نزيه الحكيم » رئيس التحرير السابق لصحيفة « الوحدة العربية » بأن المسئولية تقع فى هذا الصدد على عبد الناصر ، وسامى الدروبي الذى أوحى اليه بذلك .

خال من أى معنى — أنه حتى اللابعدون حاولوا وفشلوا باقتناع
الناصريين ليتفاوضوا بطريقة معقولة .

ومن الواضح أن زعماء حزب البعث وصلوا الى نتيجة بعد
محادثات القاهرة هى أن أية انفعالات خطيرة تفذوها لأنفسهم كان
من المحتمل أن تستخدم كلافات معلقة لمطالب أكثر ضد هؤلاء ،
وربما يندف الاطاحة بهم من الساحة السياسية ، ولو أنه كان هناك
تقسيم متساو حقيقى لهذه المناصب مع الشخصيات الأخرى ،
ولكى يستعبروا اصطلاحا بوضعهم بين « المطرقة والسندان » أما
بالنسبة لتطهير الجيش ، على الرغم من عدم وجود انقلااب
تامرى ضدهم ، فانه وضع كاحتمال دائم وخاصة أن الأزمة بين
السياسيين المتشددين : وضعت اسنراتيجيتهم فى ورطة ، حيث
اتهم مالوا الى وحدة كوسيلة شرعية لهم مع الشعب السورى
وكضمان لأنفسهم ضد الوسائل المصرية للمضايقة والتخريب .

وبالنسبة للرئيس عبد الناصر فانه اذا نظر اليهم بعين الرضا
سيكون مكسبا كبيرا ، ومن ناحية أخرى فان الثمن الذى طلبه لنفسه
وتبائة عن مؤيديه السوريين كان خطيرا جدا ، متذكرا تجاربهم
معه أيام الوحدة فى عام ١٩٥٨ . من أمثال هؤلاء الرجال : ميشيل
عفلق وصلاح البيطار ، مما جعله حذرا لتجربة ثانية . ومن
الواضح أن الحزب قد انقسم بين هؤلاء الذين يأملون بكل اخلاص
قيام وحدة جديدة كنوع من الاقتناع الأيدبولوجى ، وهؤلاء الذين هم
فى غالب الأمر يقبلون وحدة بشروط تكون فى صالحهم الى حد
كبير ، والذين فشلوا فى الحصول عليه ، ولكنهم أيضا يمكنهم أن
يتدبروا تجارب عبد الناصر الخاصة مع سوريا منذ عام ١٩٥٨ حتى
عام ١٩٦١ ، وهذه المرة لم يكن عندهم أية رغبة لعرقلة قيام الوحدة ،
وعلى هذا كان عبد الناصر باستمرار فى محادثات القاهرة يرى

ضرورة مشاركة كل القوى السياسية في سوريا ، أو على أقل تقدير أن يترك تمهيدا لقيام وحدة مشروطة ، وتقوم على أسس دستورية ، ويترك سيطرة سوريا بصفة أساسية لحزب البعث شرط أن يحتفظوا بمكانة اسمية في الحكومة لهؤلاء السياسيين السوريين الذين وثقوا بهم ، ألم يتحدث عبد الناصر تكرارا أثناء محادثات القاهرة ؟ وبرغم ما يساوره من الظنون ، فإنه يقبل أى شكل أو أى مستوى من الوحدة وليس مجرد وحدة لها أهداف عليا . عندئذ لماذا لا يمثل حزب البعث سياسة الأمر الواقع وذلك باحكام السيطرة الكاملة في سوريا ، وأيضا في العراق ، وعلى وجه الخصوص منذ أصبح من الواضح أن السياسيين السوريين الناصريين ان لم يكن عبد الناصر نفسه ، كانوا مصممين على حرمان البعث من أن تكون كفته أرجح من غيره من القوى السياسية .

وهكذا أعلن متحدث باسم الجيش السوري في ٦ مايو ، أن عملية تطهير الضباط في القوات المسلحة ليست من عمل أحد ، ولكنها من فعل الجيش السوري نفسه ، وقد أضاف قائلاً : أننا لن ندخل الوحدة على أساس ظروفنا في سوريا . . . ولبس على أساس أنها رغبتنا مع الآخرين . وفي ٢٠ مايو صرح مصدر حكومي للصحافة « أن سوريا تعتبر النزاع الحالي بين المجوعات الوحدوية ، نزاعا داخليا محضاً ، وهي قادرة على إيجاد الحل لهذه المشاكل في داخل سوريا ولن تسمح لهذا النزاع أن ينعكس ، ويعرض قضية الوحدة للخطر ، ولهذا فمن الأفضل أن يترك هذا الأمر باعتباره مشكلة داخلية » .

وفي ذلك الوقت كان هناك بعضيون آخرون يشعرون باكتئاب شديد لأن حزب البعث — الذي كانت رسالته لمدة عشرين عاما التبشير بالوحدة العربية — يجد نفسه الآن في هذا الموضع المزرى .

صحيح أنه غاب عن الساحة السياسية رجال بارزون — وهم ثلاثة — عن مجلس الوزراء الثاني برئاسة صلاح الببطار : الدروبي وجمال الاتاسى ، وعبد الكريم زهور ، وقد استمر الدروبي والاتاسى فى خدمة النظام ولكن بقدر أقل مما سبق (٣) فقد انفصل عن الحزب هاربا الى المنفى فى بيروت ، وعلى الملأ ندم على مواقفه السابقة ، لقد أعلن أن وحدة عام ١٩٥٨ سيعاد تنظيمها قبل أى شىء آخر يمكن تنفيذه . بعد ذلك وبالقاء الضوء على محادثات القاهرة ، فإن رحيل عبد الكريم زهور كان حدثا دراميا فقد كان الشخص الوحيد المناسب من بين كل المشاركين فى المحادثات ، وكان لديه الصلابه ويبدو شجاعا واثقا من نفسه ويتميز بالذكاء واليقظة التامة فى حضور عبد الناصر ، ولكن الانتهازيين لعبوا دورا مهما فى هذه الفترة ، ومن تم يتبادر الى الذهن سؤال حائر لا يمكننا الاجابة عنه ، هو : من المسئول عن هذا الموقف الشاذ ؟

لقد زعمت بعض الجهات المسئولة أنه كان غاضبا لأن يكون تحت إجماعه مشيل عنلق وصلاح الببطار ، المكلف لحد ما ، وكان يشك أنه قليل الامكانيات فى مجال العمل السياسى (ومعروف عنه أنه دخل البرلمان عام ١٩٥٤ كمحام لأكرم الحورانى فى حماة) . ولو أن مراميه فى القاهرة كان متماسكا . كان من الواضح أنه ليس بالصريح . المرضية التى قرررها زعماء الحزب والتى كانت تكتيكية ضرورية لمواجهة الموقف ، وكان يأمل أن يكتسب حظوة فى الحزب ،

(٣) عين الدروبي بعد فترة سفيرا فى المغرب ولكن بعد فترة قصيرة جدا قطعت العلاقات السودية المغربية حيث أمضى أربعة أشهر فى الرباط ، بدون تقديم أوراق اعتماده ، وفى خريف ١٩٦٢ سئحت له فرصة أن يصبح رئيس الوزراء ورغض الموقف السياسى فى سوريا لأنه كرمه كما ذكر ذلك لمصحفى اجنبى . وبدلا من ذلك قبل وظيفة سفير فى بوغلاتيا ، وأخيرا أصبح سفيراً فى باريس .

وبعد انهيار العلاقات مع عبد الناصر لانتهاجه سياسة صعبة على الدوام ، كما كان غاضبا آنذاك عندما فشل في تطوير دوره نتيجة موقف بعض الأعضاء البارزين في الحزب ، ولكن ليس منهم ميشيل عفلق ولا صلاح البيطار اللذين تكفيا معه .

وخلال هذه الأحداث استمرت كل من الحكومة السورية والعراقية تتحدثان ونعملان كما لو كانتا تتوحدان انجرا للاقية القاهرة ، وقد اضطررتا في الواقع الى ذلك ، ولو أنهم حملوا انطبعا بأنهم عاشوا منجاوزين التزاماتهم المالية وأن مسؤولية فشل الوحدة تكمن في إجراءات الوحدة وأسلوب مناصرتها . وقد حوصر الضباط المواليون لعبد الناصر واتخذت عدة إجراءات لمساندة صورة النظام الوحدوي الاشتراكي ، وقد تم القبض على مدد من السياسيين والضباط المحافظين ، وأنهموا بجريمة انصال عام ١٩٦١ ، الجريمة التي وقع عليها صلاح البيطار نفسه في وقت ما ، بينما حرم الآخرون من حقوقهم المدنية ، فالبنوك السورية أممها عبد الناصر في عام ١٩٦١ ، وقد أعلن سببا لذلك في الاعلان التفسيري الرسمي ، بأن البنوك كانت كبيرة ، ومن ثم كانت تميل الى السيطرة على الحكومات المتعاقبة ، وهناك سبب آخر ، أنها كانت صفرة جدا ، ومن ثم عاقت الاقتصاد القومي ، وخطوة ثالثة هي تبني سوريا والعراق لعلم جديد بثلاثة نجوم يمثل الوحدة التي لم يقدر لها أن تخرج الى حيز الوجود(٤) .

ان مصر لاتزال ترفع علما بنجمتين ممثلا للوحدة التي انهارت تماما في عام ١٩٦١ ، وفي وسط كل هذه الأحداث يكمن عنصر عيب وبطلان ، وهذا ما يلائم الموقف لأنها كانت نتاج موقف سخيظ ظهرت

(٤) تصريح بتاريخ ١٩٦٣/٥/٥ (محاضر جلسات المفاوضات)

فيه الربوز لكى تحصي كل شىء ، وفى الحقيقة لا تحصي أى شىء ،
والغريب فى الأمر أن المتحدثين بلسان حزب البعث ينسبون
الناصرين السوريين بأنظع الأسماء ، وفى نفس الوقت يمكنهم
الاستمرار فى المضى فى محادثات الوحدة مع عيد الناصر نفسه ،
ويصفوا هذه الوحدة بقولهم : أنها حتمية تاريخية .

وبعد اتحاد تهرد الناصريين فى حلب ، فان أمين الحافظ وزير
الداخلية ذهب الى الاذاعة ليدين المحاولة القذرة ، ويصفها بأنها
مؤامرة ضد الشعب ، وضد مستقبل الوحدة بنفذهها مجموعة رخيصة
تمسكت على هذا السلوك ، وسرقت شعارات الشعب التى كان
غرضها أن تغرق مدينة حلب فى بحر من الدماء (٥) .

وهكذا ، وبعد أسبوعين من توقيع اتفاقية القاهرة بدأت
الدعاية تتجر لتتلخ ذروتها ، وقد أطلقت الصحف اللابعثية فى
سوريا والقى باثنين من المحررين المؤيدين لعبد الناصر فى سجن
المزة مع السياسيين الانفصاليين ، وهذا السجن مسجن مظلم شهير
يسجن فيه كل السوريين البارزين ، الذين يمثلون كل ألوان الطيف
السياسي والذين أخذوا أدوارهم فى العيش تحت الأنظمة المختلفة ،
ومنهم أطلق سراح الجسرنال لؤى الأتاسي ، الذى قال
مبتجها لعبد الناصر « أننا سنحيله الى متحف » . وفى ١٤ يونية
عام ١٩٦٣ اختصت صحيفة البعث محمد حسنين هيكل محرر جريدة
الاهرام فى القاهرة ، والمعروف بصداقته عن قرب بعبد الناصر
بأنه مختص بالبلديات ، وببيروقراطية ، وبرجوازي ، والذى تناقض
عقليته واهتمامه تفكير الثوريين الحقيقيين ، وقد قالت الصحيفة
يوم ٢٦ يونية عام ١٩٦٣ (ان حزب البعث قد قرر أن يتحمل
المسئولية كاملة للدفاع عن التوجه الوحوى ، واعلاء صوت

(٥) اذاعة دمشق - حديث سياسي فى ٨/٥/١٩٦٣ .

الوحدة مع من يؤمن بها دون أن يكون هناك مكان لامثال هؤلاء أدوات اللعبة ، الانتهازين ورجال المباحث عملاء الخدمة السرية المصرية) .

وفى ١٣ مايو حدث فى العراق انقلاب حيث أعاد النظام العراقى البعثى تنظيم نفسه ، ونوالى الهجوم على العناصر الموالية لعبد الناصر فى وضع مشابه فى الشكل والموضوع مع نظيره السوري . أعلن مجلس قيادة الثورة الوطنى العراقى مدعيا أن جهوده للتسوية قد تم رخصها بالرغم من المحاولات الكثيرة للثورة لكى تقيم جبهة قومية فى أوقات قويات بمحاولات متعددة « للاغالة » لكى تضع العراقيل فى طريق إقامتها ، وفى أوقات أخرى بتعطيل التخطيطات الرامية الى نسخيه هذا الهدف النبيل ، ومرة تلك اللحظة التأميرية ، والمحسوسات الدنيئة التى نفذتها هذه المجموعات والتى كانت اسنهلالات لتنفيذ مؤامراتها الخسيسة ، وكان الهدف هو ضسرب التنظيمات ، التى تحمى آنذاك الثورة وتدمر الحرس الوطنى ، وتذبح الجيش ، وتهاجم كل التنظيمات الشعبية .

لقد أرادوا فى البداية أن ينشروا الفوضى ، ويفرقوا العراق فى بحر من الدماء بعدها تسقط كل الاتجاهات التقدمية الوجودية التى انبعثت من ثورة ١٤ رمضان . وإقامة نظام دكتاتورى رجعى معارض لشعب العراق « ان العناصر التى تأمرت ضدنا مجسرد مجموعات ليس لها أهمية ، وقد انفصلت عن الشعب وحم أصحاب حركة القومية العربية الرجعدون ، ومن المحتمل أنهم أنصار عبد الناصر والانتهازيون ، والعناصر الفوضوية الأخرى التى خضعت لنظام عبد الكريم قاسم » (٦) .

(٦) محاضر جلسات الوحدة ص ٢٧٥ عام ١٩٦٢ .

ولم يحسب لتلك الاتهامات أن تسهل عمل بناء وتحالف مع الناصريين ، ولم يقم راديو بغداد بالرد في ٢٥ مايو ١٩٦٣ فقد قال " العرب والانتهازيون والجبنة في الكراهية والدناءة ، مثل خنايش مذعورة ، تخساف من الضموء ، وتخشى مواجهة الشعب ، استمر نشر الكراهية السوداء السامة ، والاتهامات المظلمة ، انها تعكس روحهم الضعيفة الانتهازية ، ان الثورة مستحقة في تقدمها كل الاقزام الذين يتقنون في طريق العداوة الذين ارشدوا الشعب نحو مستقبلهم العظيم في صبيحة ١٤ رمضان .

كانت الحكومة المصرية ابان شهرى مايو ويونيه ملتزمة الصمت التام . منها الصحافة والاذاعة في القاهرة تنتقد بحدة اصرار حزب "بعث السورى في احنكاره السلطة ، وخاصة تطهير الجيش السورى من غير البعثيين ، انها فعلت ذلك بكرامة نسبية اقترحتها وهى يحدوها الاسف والغضب ، وقد حذرت الاهرام في طبعة يوم ١٤ مايو ، بعنوان « سوريا في طريقها الى كارثة مروعة » وبعد ذلك بنومين اشارت أن البعث قد خطط لاستفزاز مصر لتسحب من اتفاقية الوحدة ، تاركة الطريق مفتوحا لوحدة ثنائية مع البعث العراقى ، أما عن العراق ، فان المصريين لم يذكروا الا القليل جدا ، لقد تركت لذلك اذاعة سرية تبث من الاقليم المصرى « صوت الأمة العربية » لترد على البعثيين العراقيين يوم ٢٦ مايو ١٩٦٣ .

« ان دم ميشيل علق والبيطار ثمن تصحيح انحراف حزب البعث ، اقتلوا هذين الخائنين ، فانكم ستتقطعون ذيلا طويلا للاستعمار البريطانى ، وان اى انسان يقتلها فانه سيقدم طوقا للأمة العربية التى لن ينساها التاريخ العربى » .

وهكذا كانت اصوات الوحدة العربية تمثل تلك القوى ، التى انقضت لى تحتل بوحدة الاهداف « بتأليف تحالفات » وقد أخذ

أعضاء حزب البعث السوري خطوة أبعد لكي يعززوا موقفهم بطرد
ونفى رئيس هيئة الأركان الميجور جتزال زياد الحريري في لبنان
من يوليو أي بعد أسبوعين من المناورات الخفية التي بدأت باحثة
ثلاثين شخصا من مؤيديه بسلاح الفرسان بينما كان مسافرا على
زيارة إلى الجزائر ، وربما الجيش السوري يمكنه السيطرة على
شثونه ، وذلك بالانسحاب إلى المؤامرات الخفية التي استخدمت ضد
الحريري ، وكان معلوما أن رئيس أركان حرب الجيش منوع من
زيارة الجبهة السورية المسلحة ، لذلك فقد تم إرساله في
هذا الصدد أن النساطين سالم حاتم ، وإبراهيم العلي من حزب
البعث شجعاه لكي منظم انقلابا ، وارتقا بعد ذلك الإجراءات الخفية
إلى الجبهة في صيدا ، أدوية ، سبارتيا ، ولكن الحريري أمضى
بطريقة سليمة ، أبعاد هذه المؤامرة ، وهذه كانت مصيدة تعرضه
للاتهامات بالتمرد والخراب والانتحاف بحذر ، وبعد تدخل عدة
أيام تم انعقاد مجلس قيادة الثورة الوطني وتقرر طرده ، ومع ذلك
فان الطموحات المزعومة للحريري قد أثارت عدم ثقة أعضاء حزب
البعث والناصرين بطريقة مشابهة ، ويظهر صديقه الرئيسي في
بلاط الحكم ، لكي يكون البيطار في وداعه بالمطار تترقق الدموع
في عينيه ، وعندئذ أصبح الحافظ الذي كان من قبل نائب رئيس
الوزراء ، ووزيرا للداخلية ، ونائب الحاكم العسكري ، أصبح الآن
رئيسا للهيئة ، ويعمل وزيرا للدفاع أيضا ، وقد رقى إلى قائد أعلى ،
وبسرعة ظهر في الأفق كأقوى شخصية في سوريا ، وبقي له أن
يحل محل لؤي الاتاسي كرئيس لمجلس قيادة الثورة الوطنية والقائد
العام للقوات المسلحة يوم ٢٧ يوليو ، وفي شهر نوفمبر التالي كان
يلي البيطار ، وأضاف إلى مناصبه السابقة منصب رئيس الوزراء ،
وأصبح هذا الوضع أمرا لا يصدقه أحد .

وفي ١٨ يوليو وعندما وصل القائد لؤي الاتاسي إلى الاسكندرية

بناقش مع عبد الناصر العلاقات السورية المصرية المدهورة حدثت في دمشق أكبر حركة ناصرية على نطاق واسع ضد نظام البعث ، لقد كان شيئا مختلفا عن الانقلابات السابقة لسبب واحد حيث كان النمط التقليدي للانقلابات هو دخولها دمشق الساعة الثانية أو الثالثة صباحا ويتم بكل هدوء القبض على الشخصيات البارزة ، وتحتل المباني الهامة ، وهكذا .

أما في مثل تلك المناسبة فقد ظهرت المحاولة على المسرح عند الظهر ، وعندما كان الناس في الشوارع كان هناك خلط من التمرد المدني والعسكري في أنحاء المدينة وقتها ، بينما في مناسبات عديدة تواجه الأنظمة بتمردات سلمية لا تشكل ضررا بالغا وسرعان ما تنهار .

كان البعثيون متحسين مهما كانت التكاليف أن يبقوا اليد الضاغطة ، وقد أحكموا قبضتهم على الجيش ، واستغلوا الحرس الوطني ليتجمد التمرد بأية وسيلة بما فيها الدبابات والمدفعية والطيران ، وبدون أي تمييز صوبوا مدافعهم الطائشة . . وتم احصاء القتلى بما فيهم نسبة كبيرة من المواطنين الأبرياء بلغت عدة مئات .

كما لجأت السلطات الى نمط غريب في السياسة السورية ، حيث تم القبض على عشرين شخصا ، ووضعت وجوههم أمام الحائط وأطلق عليهم الرصاص ، وقد تمكن أعضاء أول وزارة برئاسة البيطار والجنرال لؤي الاتاسي وغيرهما من المشتبه فيهم من الهروب الى لبنان ، وخرض حظر في دمشق ، أما لؤي الاتاسي الذي لا يزال وقتها يمثل درجة من القيد على طموح حزب البعث فقد شوهد في أحداث ١٨ يوليو ، وهو منهار القوى للاطاحة بكل جهوديه وبهدوء ننحى من مكانه الى أمين الحافظ .

٢ — انهيار البعث وعبد الناصر :

مع فشل هذه المحاولة التي جرت في ١٨ يوليو ، فان الحوار الذي كان بين حزب البعث وعبد الناصر قد انهار تماما والذي كان قد بدأ بمحادثات القاهرة ، ولم يعلم به عبد الناصر كما التزم حزب البعث الصمت التام ازاء اعداد اتفاقية ١٧ أبريل ، والتزم عبدالناصر — وقتها — الصمت التام ، كما ألقى في ٢٢ يوليو خطابا هاجم فيه بشدة حزب البعث وبطريقة لاذعة معلنا « اننا لا نعتبر ان جمهورية مصر العربية مرتبطة بالنظام الفاشي السائد حاليا في سوريا بأي هدف عام ، هذا مستحيل . عندما بنى نظام على الخداع والخيانة ، انه نظام ليس وحدويا ولا اشتراكيا ، ولكنه الانفصال اللا انساني واللا اخلاقي ، اننا لا نعتبر ان حكومة دمشق تمثل سوريا ، التي معها وقع اتفاق الوحدة الثلاثية ، ولكنه مرتبط بالقوى العربية القومية الثورية » .

واضاف قائلا : « ان سوريا وشعب سوريا منعزلون عن النظام الفاشي الحالي ، ولهذا قررنا ان هذا الاتفاق سارى المفعول كما ان سوريا الحقيقية جزء منه ، ولكن هذا النظام لا يربطنا بالنظام الفاشي البعثي ، ان موافقتنا على هذا النظام الفاشي كشريك في الوحدة سيكون عودة الى نفس الشيء ، عودة الى خيانة قضية وحدة العرب ، وخيانة للشعب السوري الذي ملك وحده حق اصدار وتسوية القرار ، اننا لا يمكننا ولا يمكن للشعب السوري ان نأمل ان نتوحد تحت ظلال من هياكل حماسات الدم والذبح بطريقة جماعية (٧) » .

(٧) مرجع سبق ذكره ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ — خطاب جمال عبد الناصر عام ١٩٦٢ ص ١١٨ .

والفائسة كانت الكتبية التي أطلقت النار بدون سبب على الشعب السوري البريء ، وهذه الكتبية هي التي تنتمي الى الحزب الاشتراكي القومي السوري في ادانته لصلفه المتأصل وتنظيمه التأمري المضاد وطموحه الدكتاتوري ومدى تعطشها للعنف ، وكذلك علاقاتها المزعومة بالاستعمار الانجليزي الأمريكي .

لقد تبكنت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ان تؤثر على بل هذه النظم الراديكالية في العالم بمثل هذه الشعارات التي لا تمت الى واقع الشعوب بأية صلة ، ولو ان المرء يمكنه ان ينخدع في بادئ الامر بمثل هذه الشعارات الزائفة والتي لا يمكنها ان تحقق رفاهية الشعوب اجتماعيا او اقتصاديا .

وحزب البعث السوري ليس وحده الذي وقع في هذا الشرك كما ان حزب البعث السوري عجز عن تنفيذ القوانين الاشتراكية على مدى عامين ، كما أنهم عجزوا كذلك ان يصـسـدروا تشريعا اجتماعيا ذا أهمية فما هم الا جماعة ذات ميول فائسة ليس الا .

ولقد رد مجلس قيادة الثورة الوطني السوري على هجوم عبد الناصر وذلك بالحدوث عن موضوع آخر كله اغتراءات واكاذيب بأن هاجموا التقارير الخاصة بمحادثات الوحدة الثلاثة والتي نشرت في صحيفة الأهرام ، وأذيعت من اذاعة القاهرة ، قالوا ان ما تم نشره به الكثير من المغالطات كما تم حذف الكثير منه خاصة فيما يتعلق بأقوال الوفد السوري .

وقال المجلس السوري الوطني في سوريا ان نقطة خلافنا مع عبد الناصر كانت حول وجود نظام تمهيدى يسبق الوحدة الحقيقية ، كما حدث خلاف حول نسبة تمثيل الشعب في كل اقليم بالاضافة الى مسألة التمثيل السياسي لكل القوى الوحدوية ، كما اعترض

عبد الناصر على عدم ادخال العناصر غير الوجودية والتي لبس لها تمثيل أو منظمة ، كما كان الجانب المصرى يصر بدوره على عدم المساس بالسلطات التى يتمتع بها الرئيس وكذلك المناصب الموكولة اليه .

وقال مجلس قياده الثورة الوطنى النورى : وبرغم هذا فقد وافقنا على الاستمرار فى المحادثات من أجل الوحدة العربية لتجنب الفرقة ، وحتى لا تخيب آمال العرب .

ولكن حزب البعث رد على كل ما جاء فى هذا الحديث قائلا : « لقد نشر المصريون محاضر الجلسات بكل دقة دون أن تحذف منها أو تضاف اليها أية جملة أخرى » .

وعقب عبد الناصر باستهزاء شديد فى خطاب له بقوله :

((لقد نشرنا نص المحادثات التى جرت فى القاهرة حتى لا يذهب ميشيل عفلق ويجلس فى مقهى ويقول : أنا جلست هنا لثلاث ساعات وعرضت افلاسهم الفكرى وأنا عبرت بأفكار عظيمة)) (٨) .

ولكن مجلس قيادة الثورة الوطنى كافح لكى يلقى على عبد الناصر فشل الوحدة ، وذهبوا فيها وراء الحقائق فى بيانهم واشتكوا :

((لقد ادعى يوما الانفصاليون أنهم لم يريدوا وحدة مع عبد الناصر لذلك انه ليحزننا أن نسمع به الآن يمان من عدم وجود وحدة مع حزب البعث ، ترتفع الوحدة فوق الحزب ، وفوق الشخصيات . انه قدر تاريخى وتفتيته يشكل جريمة

(٨) احاديث عبد الناصر ١٩٦٣ ص ١٥٢ .

تاريخية ويصر المجلس الثوري الوطني على الاعداد للميثاق ويعتبر الغاءه سواء كان نابعا من وحى الضمير أو كان غير ذلك فهو عودة الى نفس الشيء ، عودة الى الانفصال نظرا للتركيبية العقلية الايديولوجية كان الدرس الذى رسمه عبو الناصر (٩) .

((ان وحدة شرعية وطبيعية هى شىء أكيد وحتمى ، ولكن هذا يتطلب ان تحلل أسسها ، اعتقدنا سابقا أن الثورات العربية التقدمية ، تقدم وحدة محتلة ، ولكن فى أيامنا هذه مفهوم الوحدة نفسه أزمة فى حد ذاته ، انتهى بدأت أشعر أن الثورات السياسية لا تسبب وحدة أوتومانيكيا أو مشاهدة قضائية ((عبد الكريم قاسم)) التى تلاها البحث فيما بعد أن نتيجة هذه الثورات انحراف وانانية وضعفينة ، وجدد ما فى الماضى أننا يمكننا أن نتعاون مع كل المجموعات الوطنية أو المنظمات . لقد ثبت الآن أننا لسنا مخطئين ، ويبدو أن مثل هذا النوع من التعددية للأنشطة الوطنية تؤدي بنا الى صدامات ، ولهذا فإننا يجب أن نبدأ بأن ننظر الى الأمام ، الى المستقبل ونستخلص الدرس المناسب من هذه الأحداث ويجب أن ننظر الى المستقبل فى ضوء جديد)) .

وبينما كل قطر يتفاخر بحزب ، تبدو الوحدة مستحيلة تماما ، ان المعارضة السياسية الحقيقية ستهبط الى الإقليمية ، فسيوريا فى نزاع مع مصر ، والعراق فى نزاع مع سوريا وهكذا ، ولكي تبزغ الوحدة يجب أن نتغلب على كل العقبات الانتهازية اللاأخلاقية، يجب أن تنطلق حركة قومية عربية موحدة تضم كل الحركات التعصبية فى العالم العربى (١٠) .

(٩) أحاديث عبد الناصر ١٩٦٢ ص ٢٥٦ .

(١٠) المرجع السابق ذكره ص ٣٣٣ .

وهكذا فإن مفهوم : أساس الوحدة العربية قد اضمحل الى خطوة أبعد » وجدنا أن الوحدة شعار يحض على تعاون كل الدول العربية بصرف النظر عن نظمها الداخلية وقد أصبح بعد سبتمبر ١٩٦١ وحدة أهداف مكتنفا كل الحركات القومية الراديكالية ، والآن أصبح ظاهرا أن الاشتراكيين والنوريين قادرون على التناصر مع بعضهم البعض لأنهم كانوا رجعين ، وربما أكثر من ذلك لأن المنظمات الحزبية الراديكالية كان لديها مل لأن تصبح سبجينة أيديولوجيات احتكارية ولكي ترى نفسها كمنفذ قومي لا يمكن الاستغناء عنه .

ومع وقوع تمرد دمشق في ١٨ يوليو ، فقد أخذ البعثيون الناصريون في سوريا حذرهم ، بقوة منظمة ، لقد تم تنقية هؤلاء الحدوديين بالجيش أو قبض عليهم ، وإن كانت معظم الزعامات المدنية قد تمكنت من الهرب لمنفى في بيروت ، حيث شنتوا حملة صحافة وإذاعة ضد نظام البعث ، ولكن بدون أية خطورة ، أملا في استمالة متمردين أكثر ، وفي سوريا حطمت الأحداث منذ انفصال عام ١٩٦١ الطموح المعنوي لكل السياسيين في وقت أصبح فيه السياسيون التقليديون هم الضحية مع أنانيتهم وخجلهم ، في حين أصبح الناصريون مع هيمنتهم عاجزين عن أن يقدموا شيئا أفضل من العودة الى النظام المصري الذي سيطر على وحدة عام ١٩٥٨ - ١٩٦١ وأصبح الآن البعثيون مع قسوتهم وتمردهم ، والصائتان الأخيرتان أن لم تكونا نعززا الجمهورية بطريقة أم بأخرى فانهما قد ساعدتا الحزب على أن يكون في قوة ليحكم قبضته .

وفي ١٨ يوليو حدث التشاحن البعني الناصري الذي لايزال لم يصل الى موقف واضح ، مع تعدد العناصر غير البعنية في سوريا ولايزال باب التعاون مع مصر مواربا ، فإن عبد الناصر لم يستنكر علنا اتفاق الوحدة ، ولايزال بفطرته وفطنته يقابل

يمثيين من دمشق ، ولا يزال محافظا يحذر شديد على العسلاقة
الودية مع حزب البعث العراقي ، وهكذا فان هناك صلة غير
مباشرة مع السوريين ، فالبعث يؤدي خدمة مهمة شفهية الى
الوحدة والى عبد الناصر شخصيا ، بينما كان أعوانه
— المهرجون — يستنكرون تأجيل بيان عام كبديل لخطة وحدة
تلافية .

وبطول ١٨ يوليو زالت كل هذه الملايسات ، واختفى
الناصريون من الساحة السياسية ، لدرجة أن عبد الناصر نفسه
أعلنها حربا شعواء على حزب البعث حتى أن عبد السلام عارف
— الذى لا ينتمى الى أى حزب سياسى أو بعثى ويحتفظ بصداقة
وطيدة مع عبد الناصر — مازال يساهم بكل ما يملك فى تهدئة
الأوضاع فى الوطن العربى حتى نهاية شهر أغسطس .

وقد بدأت الآن رئاسة حزب البعث الوطنى تنشر بيانا على
الملأ ندين فيه النظام الحاكم فى مصر ننسها على أمل أن تصلح
من أوضاعها ، وكانت هذه محاولة جديدة ، ويتبادر الى الذهن
أن هذا كان نتيجة لما ورد فى كتابا المحدثات السابقة الخاصة
بالوحدة (١١) :

— عبد الناصر : ماذا تأمل لتحقيق هذه الوحدة ، تصحيح
نظام عبد الناصر ؟

— البيطار : لا ...

— عبد الناصر : هل تنوى تصحيحه أو لا تنوى ؟

— البيطار : ليس كله ، ما نريده هو تبادل التجربتين فى
سوريا ومصر .

— عبد الناصر : ما هى التجربة السورية ؟

(١١) انظر محضر المحادثات يوم ١٧ سبتمبر ١٩٦٢ — مرجع سبق ذكره ص ٢٧٧

٣ - المفاوضات العراقية السورية :

حقيقة كان تقريراً عظيماً قسماً ، بعد ١٨ يوليو بفترة قصيرة ، فإن زعماء حزب البعث بدأوا الحديث عن إمكانية قيام وحسدة ثنائية : سورية عراقية ، وبدأت المفاوضات التمهيدية لهذه الفكرة تحرز تقدماً قبل نهاية شهر أغسطس ، وهكذا أيضاً سمح البعث العراقي أن تنتهي روابطهم مع عبد الناصر . وفي ١١ أكتوبر اعتذر عبد الناصر بنفسه في خطاب له إلى عبد السلام عارف عن عدم القيام بزيارة مزمعة إلى بغداد .

وأصدر حزب البعث بياناً في ١٧ سبتمبر باسم رئاسة الحزب الوطني التي شملت أعضاء بارزين في الحكومة العراقية بالمضي في محادثات الوحدة مع سوريا ، وأثناء زيارة عارف لسوريا ثم الانتهاء من اتفاقية الوحدة الاقتصادية ، وفي ١٨ أكتوبر وقعت معاهدة للوحدة العسكرية وأصبح وزير الدفاع العراقي الجنرال المهدي عماش القائد العام للجيش المتحدة للقطرين بالإضافة إلى منصب رئاسة الأركان في دمشق ، وبعدها بفترة قصيرة أرسل لواء من القوات المسلحة السورية إلى العراق ليشارك في عمليات ضد تمرد الأكراد في الشمال من العراق ، واتخذ المجلس الوطني للقيادة القومية لحزب البعث ، والمجتمع - في ذلك الوقت - في دمشق قراراً يطلب فيه الاعلان فوراً عن قيام وحدة فيدرالية كاملة بين البلدين (١٢) .

ان قيام وحدة فيدرالية بين القطرين : السوري والعراقي كان ينظر إليها بقلق شديد في القاهرة ، ولم يكن هذا الأمر هيناً

(١٢) في ٢٧/١٠/١٩٦٣ (النص الكامل لمحادثات الوحدة) ، مرجع

سبق ذكره ص ٢٣٨ ، ٤٤٤ .

على القاهرة نتيجة للأحداث الملاحقة في المنطقة ، وبلايظن لسباق الأحداث في الأشهر الحالية من حركة تضال بين البعث ومنافسيه القوميين العرب في دمشق وبغداد .

وقد اثار عبد-الناصر أثناء محادثات القاهرة الى مطمح البعث في « المطرقة والسندان » الذي كان من المغروض أن تقع مصر بينه في أحداث الوحدة الثلاثية ، ولو أن ذلك — بدون شك — سيكون له أثر سيء بالنسبة للرأي العام حيث ان حادث الوحدة النفاسيه بين دمشق وبغداد يمثل انتهاكاً — لدى الرأي العام — لسياسة الحكومات المصرية التي تعاقبت على الحكم في مصر منذ عام ١٩٤٤ والتي كانت تعارض أية وحدة في منطقة الهلال الخصيب تستبعد منها مصر .

ان مصر كانت تحرص دائما أن تكون الرائدة في الوحدة العربية ، وحرصت على ذلك على وجه الخصوص بعد قيام ثورتها ، ولهذا فقد كانت مصر تنظر بحذر شديد للرئيس شكري القوتلي حتى عام ١٩٤٩ وبعدما حسنى الزعيم ، وهناك في العراق نوري السعيد والأمير عبد الله ولغيف من قيادات حزب البعث ، ومن ثم بعد كل هذه المراحل قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وما كان من عداوة بغيضة مع عبد الكريم قاسم بالاضافة الى العداوة التقليدية للثيوعيين العرب والابقاء — على كرهه وضض — على العلاقات مع البعث العراقي المميز الى حد ما عن البعث السوري . كل هذه السياسات والاعتبارات كانت في مخيلة الرأي العام المصري ، وتطفو فوق الحدث الحالي الذي شغل الرأي العام العربي وهو قيام وحدة بين العراق وسوريا ، أو بمعنى آخر خلق محور جديد في السياسة العربية بين دمشق وبغداد ، والآن في شهر نوفمبر عام ١٩٦٣ كان يبدو ليصر بأنه أصبح لا حول ولا قوة لها للتصدي لمثل هذه الوحدة .

ان فشل الوحدة السورية العراقية لا يرجع ذلك بسبب معارضة مصر لها بقدر ما يرجع ذلك الى عدم موافقة البعث العراقي على سياسة البعث السوري ، فان الجناح الأول قام بسفك الدماء والتآمر والابادة التامة للشيوعية والشيوعيين ، واستمر الوضع هكذا خلال العامين الاولين لحكم عبد الكريم قاسم ، فقد أسس البعث العراقي على قوتهم العسكرية والحرس الوطني الذي كان ولاؤه الذي زرعه بعناية في معظم القيادات البعثية المدنية الطموح « على صالح السعدي » نائب رئيس الوزراء ، وبناء قوتهم وامتيازاتهم لدرجة أنهم تملكوا وحسداتهم من القوات الجوية الخاصة بهم . هذا بجانب قوات الحرس الوطني بما في ذلك ضباطه المعارضون ، وضمو اليهم كذلك القوات العسكرية النظامية .

وقد كان لهذا التنظيم معارضة قوية من زعماء الحزب البعثي المدني ونخص منهم طالب شبيب ، وحازم جواد ، وتنامت الشكوك في نية السعدي لان طموحه كان يوظفه من أجل أهداف سياسية خاصة به . وكانت شخصيته وسط هذه المجموعة عاملا معوقا نظرا لما امتاز به من صلف وكبرياء وميله الى عدم الاكتراث بسياسات واجراءات الحزب التي تم تأسيسها .

وفي يوم ١٣ مايو كان السعدي مايزال مصرا على المراوغة في اجتماع لمجلس الوزراء ولهذا تمكن الأعضاء من اقضاء السعدي من وزارة الداخلية ، تلك الوزارة التي ساعدت الحرس الوطني في نجاح الانقلاب العسكري ، وحتى لا يسعى — مرة ثانية — لاستغلال نفوذه وسلطانه ، وأسند اليه منصب وزير الاستعلامات والارشاد القومي ، ولكن خاب ظنهم اذ تمكن السعدي من أن يستغل امكانيات هذه الوزارة بما يتناسب مع تطلعاته وطموحاته .

وفي ١١ نوفمبر اجتمع المؤتمر الاقليمي للحزب العراقي ، وقرر اسقاط عضوية الحزب عن السعدي ، وحمدي عبد المجيد أحد مؤيديه (مكرتير الحزب الاقليمي) وتم شحنهما على أول طائرة متجهة الى مدريد . وعلى هذا فقد تمجر الموقف في الحرس الوطني المؤيد للسعدي ، وحدثت أعمال عنف دموية ضد العناصر المعارضة في الحرس الوطني ، بل امتدت أعمال العنف والقتل الى العناصر المعارضة في القوات المسلحة ، واطلقت طائرتان زعمائتان نيرانهما على قاعدة الرشيد العسكرية خارج بغداد ، وكذلك بهاجمة القصر الجمهوري حيث يتواجد خصوم السعدي ومعارضوه ، وشهدت شوارع بغداد معارك دموية بين الطرفين .

وتمكنت القوى المؤيدة للسعدي استمالة كل من سببب وجواد ، ونفيهما الى خارج الحدود ببيروت ، وتم حل رئاسة الحزب الاقليمية وحل محلها مؤقتا سلطة مياصرة من الرئاسة وتم التمثيل فيها بالتساوي بين الحزبين البعثيين العراقي والسوري ، وأصبح كل من : ميشيل عفلق وأمين الحافظ وصالح جديد يمثلون سوريا ، أما ممثلو العراق فهم : حسن البكر وعماش وعبد الستار عبد اللطيف ، ولكن لوحظ بعد ذلك أن حزب البعث العراقي بدأ يقلل من أهمية زعماء الحزب المدتيين ، كما أن الحزب بدأ حملة تطهير واسعة النطاق داخل صفوفه .

* * *

٤ - نظام عبد السلام عارف :

ولكى يواجه عبد السلام عارف ما حدث داخل الحزب ، وتمرد الجيش وكذلك الشعب الذي قام به الحرس الوطني اتخذ عدة اجراءات في ١٨ نوفمبر ، فقد أصدر أوامره باسم مجلس قيادة

الثورة الوطنى ، ومنح نفسه - عبد السلام عارف - سلطات واسعة النطاق فى ظل قانون الطوارئ ، وعلى هذا فقد أصدر قراره بحل الحرس الوطنى ، وشكل وزارة جديدة ، وأصبح الجنرال طاهر يحيى رئيس أركان حرب الجيش رئيسا للوزارة ، كما أصبح العميد حردان التكريتى قائد القوات الجوية وزيرا للدفاع ، كما أسند الى الجنرال أحمد حسن البكر منصب نائب رئيس الوزراء .

لقد كان أعضاء الوزارة هم أبرز الشخصيات فى حزب البعث العراقى ، وهم أبرز الشخصيات التى ظهرت بالعراق من خلال الأحداث طوال التسعة الأشهر الماضية ، ولكن قبل ذلك أصبح من الواضح أن كل السلطات فى يد عبد السلام عارف الذى كان له تحفظات دينية وغير متحمس للنظام الاشتراكى وله علاقة وطيدة بعبد الناصر مما جعل بقية أفراد حزب البعث غير مرتاحين لهذا الاتجاه ، ولكن من الملاحظ أن ركائز حزب البعث اختفت وتقلصت فى النظام الجديد بفضل تزايد الشعور القومى للقومية العربية .

وفى صباح ٢١ نوفمبر ألحج عبد السلام عارف عن قصد فى مؤتمر صحفى بقوله : « ان الأحزاب غير السياسية منحت الاذن لكى تعمل منذ ثورة ٨ فبراير عام ١٩٦٣ (١٤ رمضان) حيث كان يتناول الطعام مع كل من : طالب شبيب ، وحازم جواد - بوجود رئيس الوزراء - اللذين أخطأ بعودتهما الى بغداد قادمين من بيروت فى أوائل عام ١٩٦٤ وبدون الحصول على اذن السلطات وموافقتها ، وعندئذ أجبروا على ركوب طائرة خاصة الى القاهرة لكى يعيشا فى هدوء هناك تحت اشراف السلطات المصرية ، ومن قبل كان صالح العمائش قد أرسل الى القاهرة فى نوفمبر ، وأخيرا فان التكريتى قد تم نفيه الى استكهولم للعمل كسفير ، واتهم أحمد حسن البكر

بالتواطؤ والائتراك في مؤامرة وتم وضعه في سجن بغداد ، وعاد نظام عبد السلام عارف الجديد نحو الصداقة مع القاهرة وفي خلال الأسابيع القليلة بعد ١٨ نوفمبر ، فإن المعركة الاعلامية في منطقة الشرق الأوسط لم تعد بين القاهرة ودمشق ، ولكن أصبحت بين دمشق وبغداد حيث يابح العراقيون والسوريون بأعلامهم المعروفة ذات الثلاثة النجوم في وجه بعضهم البعض ، وهكذا بدأ فصل جديد في أفق السياسة العربية .

الفصل الخامس

الردة - قمة القاهرة

يناير عام ١٩٦٤

- ١ — عقد أول قمة عربية بين الملوك والرؤساء
- ٢ — أسباب أخرى لانعقاد مؤتمر القمة العربى بالقاهرة
- ٣ — الدكتاتورية العسكرية

لم يعد مفهوم الوحدة العربية يتطلب لقاءات لحكام الأمة العربية لتصوير الصمود بين حكوماتها ، لقد تجاوز مظهر الثورة الاجتماعية ، مثل هذا المفهوم السطحي للوحدة العربية ، والميثاق الوطنى لدولة الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٢ . وبينما عام ١٩٦٣ دخلت دول عربية كبرى فى مشاحنات مع بعضها البعض فى آن واحد ، أكثر من ذى قبل ، فقد كانت سوريا فى نزاع مع مصر ، ومن بداية شهر نوفمبر بدأت المشاحنات بين سوريا والعراق ، وفى نفس الوقت كانت مصر والسعودية فى مواجهة عسكرية من أجل تحديد مستقبل اليمن ، حيث كان ما يزيد على ٤٠ ألف جندي من القوات المصرية على أرض اليمن تساعد ثورتها منذ اندلاعها فى سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وغشلت القوات المصرية فى احراز نصر نهائى من أجل نزاع فيما بينهما على الحدود ، كما كانت الجزائر فى نفس الوقت فى نزاع مع جارتها الأخرى تونس ، ولهذا فترت العلاقات بين تونس والمغرب منذ اعتراف تونس باستقلال موريتانيا .

ولا ننسى أن مصر كانت تعادى الأردن ، وكذلك العربية السعودية . ونظرا لمبدأ أيديولوجى انحازت مصر الى جانب الجزائر ضد جاراتها ، وراى سوريا أنه من أجل الأيديولوجية المظهرية تعادى كلا من الأردن والمغرب ، ولهذا كانت تتبادل الشكاوى مع لبنان حول حوادث الحدود ، ومن بين الثلاث مشرة دولة من الدول العربية ، كانت هناك ثلاث دول على وفاق مع الجميع وهى : الكويت

(التى خضع لها نظام عبد الكريم قاسم فى العراق) والسودان وليبيا .

ولكن من الملاحظ أن الغالبية من هؤلاء تتناهر ، مهما كانت أحوالها الخاصة : النظام السورى ضد النظم المائتلة أو المعتدلة ، مصر والجزائر والعراق وجمهورية اليمن وسوريا ، وكل هؤلاء بطريقة مخابرة ضد بقية الدول ، ولكن من بين هذه النزاعات كانت أكثرها حرارة وأظلمة قابلية للحل ما كان بين الحسركات الثورية المتنافسة فى دمشق والقاهرة .

ومن الملاحظ أن العراق شاطعت جلسات الجامعة العربية فى عام ١٩٦٢ ، ثم تلنها مصر حيث كان الاستياء يسود الكويت وسوريا . كما اشتكى الوجدويون العرب الأكثر راديكالية ، اذ كانوا يعتبرون جامعة الدول العربية عقبة فى سبيل وحدة العرب ، بدلا من أن تكون عامل تجمع للعرب جميعا ، وأصبح لكل دولة مظهر للسيادة الداخلية ، والجامعة العربية كانت عقبة أمام المد الثورى فى الوطن العربى .

ان نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ترك انرا عميقا فى اذهان الوطنيين العرب بأن الجامعة العربية لم يعد لها أى دور مؤثر فى الترابط العربى الداخلى أو أن تكون أساسا للتضامن العربى ، وأصبح العالم العربى تتنازعه قوتان : قوة ثورية وأخرى محافظة .

وان الصراع المصرى السورى فى غضون عام ١٩٦٣ ولد كراهية وبغضاء بين الحركات الثورية فى الوطن العربى ، وكانت الحركات النورية طموحا ، فان ثورة مصر كانت طموحاتها فى بعض الأحيان أكثر من قدراتها ، وعندما تشدد النزاعات المصرية العربية تتحطم ، فقد حدث هذا فى عام ١٩٥٨ حينما تأججت العداوة بين

مصر والأردن والعربية السعودية إذ كان الخلاف مركزاً بين نظام ثوري وآخر ملكي .

كما أن هذه الصراعات مع مصر يرجع تاريخها إلى عام ١٩٥٥ حينما اشتد الصراع حول مقاومة مصر لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، ثم تجمدت هذه الصراعات بين الدولتين إبان العدوان الثلاثي على مصر في نهاية عام ١٩٥٦ وأوائل عام ١٩٥٧ ولكنها بلغت أشدها عند نزول القوات البحرية الأمريكية على أرض لبنان عام ١٩٥٨ .

وبلغت السياسة المصرية أقصى نجاح لها عقب انسحاب القوات المعتدية (إنجلترا وفرنسا وإسرائيل) من أرض مصر ، وتآلفت هذه السياسة عقب الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ ، كما تباعدت الخطوات بين مصر وبعض الدول العربية عقب مساعدة مصر لدورة اليمن في عام ١٩٦٢ .



١ — عقد أول قمة عربية بين الملوك والرؤساء :

في نهاية عام ١٩٦٣ ، ومى ذروة التشاحن والبغضاء الذي ساد العلاقات العربية ، حدث تقارب سريع ومفاجيء وبأسلوب درامي لا يصدق عقل ، ولا يتفق مع المنطق ، فمُنذ قليل كانت صحافة القاهرة تتبادل الاتهامات المعتادة مع دمشق وعمان والرياض ، وبعد ثلاثة أسابيع شهد مطار القاهرة مواقف غاية في الغرابة لحدوثها بدون مقدمات ، إذ أقبل عبد الناصر ليحتضن مسعود وحسين في مطار القاهرة ، وبطريقة مؤدبة مهذبة ، كما أقبل عبد الناصر يسلم على أمين الحافظ بحرارة شديدة . .

لقد اجتمع ملوك ورؤساء الدول العربية في القاهرة في اجتماع قمة للوحدة العربية ، وساد الساحة العربية روح الأخوة والصداقة ، وكانت المصالحة في فترة قصيرة لنسوية كل الخلافات العربية ، وعادت التهنيتات القلبية ، والتسامح المتبادل ، تسودهم روح العصبية العربية كأن شيئا لم يحدث من قبل ، وكانت اسرائيل على وشك الانتهاء من مشروعها الخاص بتحويل مياه نهر الأردن ، وهكذا يتبادر الى الذهن أن اسرائيل وساستها كانت السبب المباشر في ازالة كل العقبات والعراقيل التي تعترض طريق الوحدة العربية (عملا بالمثل العربي : وقت الشدائد يعرف الاخوان) .

وانتالنا ن تدخل في تفاصيل النزاع الدائم بين اسرائيل والدول العربية حول استخدام مياه نهر الأردن . وهنا ملحوظة بسيطة « لا توجد خطط اسرائيلية لتحويل مياه نهر الأردن ، وبرغم هذا فقد نال هذا الموضوع اهتمام العرب جميعا منذ فترة طويلة » وقبل أن تستكمل اسرائيل الخطة !علن جميع الزعماء العرب ، أن مثل هذا التصرف بشكل عملا عدوانيا اسرائيليا ضد حقوق العرب ، وهددوا بمواجهة ذلك العمل بالقوة ، كانت تلك الكلمات رخيصة في السنوات الماضية قبل استكمال اسرائيل للمشروع ، وارتفعت حدة المعارضة الوطنية في سوريا ، والنلويح بالقومية العربية في مواجهة السياسة الاسرائيلية ، وان كانت غير مستعدة للقيام بأي عمل عسكري لمواجهة السياسة الاسرائيلية .

ان التلويح بشن حرب من قبل مصر والأردن ضد اسرائيل يبدو أمرا خطيرا ، فالدولتان لا تتحملان تبعات اعلان الحرب ضد اسرائيل التي تتحرض دوما بسوريا ، فالأمر ليس هينا ، إذ من المحتمل أن يفقد الملك حسين الضفة الغربية لنهر الأردن ، وربما يفقد عرشه أيضا ، وبالنسبة لعبد الناصر ربما يفقد نفوذه وهيئته ،

وهو الآن في موقف لا يساعده على اعلان حرب ضد اسرائيل ،
فنصف جيشه مرابط على ارض اليمن ، والاسوأ من ذلك أن أية
هزيمة عسكرية تشكل عارا مهينا للامة العربية كلها ، ووقعت
الدولتان عاجزتين عن تقديم أى عون عسكري لسوريا .

ان عبد الناصر كان في موقف لا يحسد عليه ، فأى عمل يقوم
به ، تنعكس آثاره ليس عليه فقط انما على العرب جميعا ، ونفى
نفس الوقت لن يسعد حزب البعث السوري رؤية عبد الناصر
منكمثرا ، ولما كانت مصر غير مستعدة لاعلان الحرب أو المشاركة
فيها ، اذن كان من الضروري جعل الحكومات العربية الأخرى
تشارك علنا في تحمل المسؤولية ولو معنويا لأى قرار يتخذ في هذا
الشأن ، ولذا فمطلوب من الدول العربية أن تتكاتف لتشارك في
الضغط على السوريين ليوقفوا حملاتهم الاعلامية ضد العرب ، ففي
تلك الاثناء كان يجب اتخاذ خطوات ايجابية ، اذ يمكن للعرب أن
يعلنوا حربا سريعة قصيرة ، محدودة ازاء اقدام اسرائيل على
تحويل روافد نهر الأردن في سوريا ولبنان والأردن ، ويرغم أن
مصر لن تضار من هذا الاجراء ، فان قدرها التاريخي يحتم عليها
أن تساند العرب ونشد من أزهرهم ولا تتخلى عنهم في مثل هذا
الموقف .

وفي ١٧ ديسمبر نشرت مجلة روزاليوسف الأسبوعية مقالا ،
تضمن موضوعين أساسيين : أولهما : أن الجمهورية العربية المتحدة
لن تزج بنفسها في معركة مع اسرائيل قبل أن تتوصل الى وحدة
شاملة مع العرب ، وثانيهما بدا كأنه يناقض النقطة الأولى وجاء
به أن الجمهورية العربية المتحدة تعرف كيف ومتى ستخرج اسرائيل
من فلسطين ؟ وهي تدرك قدر نفسها بأنها قادرة على حمل هذا
العبء وحدها .

وقد استنكر الشعب السوري ، وأعداء عبد الناصر المقال الذى نشر بجلة روزاليوسف ، ونددوا بها ، مؤكدين بأنها ارتكبت جريمة قومية كبرى لم يرتكبها عملاء الاستعمار والرجعية (١) ، وجرى مقارنة بين شخصية عبد الناصر والمارشال بيتان Pétain الذى سلم فرنسا الى الغزاة الألمان فى عام ١٩٤٠ ، وعاقبه الشعب الفرنسى فيها بعد - بغض النظر عن مجده التليد - فى معركة الفردين Verdun ، وكذلك هاجم السوريون عبد الناصر - برغم سابق مجده - فى حرب السويس ١٩٥٦ (٢) .

وبينما كان حزب البعث لانزال يشن هجومه على مجلة روزاليوسف . كان عبدالناصر يخطب فى جماهير بورسعيد ، مهاجما حزب البعث السورى ثم تحول الى موضوع فلسطين قائلا : « لا بد أن نواجه إسرائيل التى تتحدى العرب جميعا ، والتى وقف مسئولوها الكبار معلنين : أنها ستحول الماء من نهر الأردن وتعمل ضد ارادة العرب جميعا ، وعلى العرب أن يفعلوا ما فى امكانهم أن يفعلوه » .

ولهذا فقد أعلن عبد الناصر قائلا : « لا بد أن يجتمع العرب جميعا بغض النظر عن المنازعات و المشاحنات السائدة بينهم ، فمن أجل فلسطين يجب علينا أن نرتفع عما بيننا من خلافات ومشاحنات ويجب علينا أن نجلس جميعا معا ونبتدئ بكل جدية فى الاجتماع ولن يكون هناك أى عيب لو خرجنا ونحن نقول اننا لا نستطيع اليوم استخدام القوة ، اننا سنقول لكم الحقيقة ، سنقول لكم كل كلمة قيلت . . اننا لن نستخدم القوة اليوم لأن ظروفنا لا تسمح لنا فليس امامنا الا الصبر ، وبرغم هذا فان معركة فلسطين مستتمة ومعركة

(١) البعث السورى فى ١٩ اكتوبر ١٩٦٢ .

(٢) نفس المصدر ٢٣ اكتوبر ١٩٦٣ .

الأردن جزء من معركة فلسطين ، أو ربما نقول اننا سنستطيع لو حولوا مياه نهر الأردن ، أن نوقف التحويل بالقوة ولكننا لا نقول شيئاً خلف الأبواب المغلقة ، ونقول شيئاً آخر خارجها ، ولبس من المعقول أن أقودكم الى كارثة لو أنني سأحارب في وقت أكون غير قادر فيه على عمل ذلك . اننى لن أقود بلدى الى كارثة . ولن أقامر بمستقبلها ، فلنحاول أن ننسى كل الحماقات والانفعالات التى سببت لنا كل المضايقات فى السنوات الماضية وايضا المنازعات التى حدثت ، والكلمات التى قيلت ، والخبائث التى حدثت وما شابه ذلك « (٣) .

وفى اليوم التالى أصدر مجلس القيادة السوري رده متضمنا شكواه من خطاب عبد الناصر ، الملىء بكل اساليب الهجوم على سوريا ويذكره ببعض الأخطاء الأخيرة ، ويرغم هذا فان المجلس قرر : أن التعاون واجب قووى في وجه الخطط الاسرائيلية التى تهدف الى تحويل مياه نهر الأردن ، والامل بأن تنتهى الحملة الاعلامية بين القاهرة ودمشق (٤) .

وقد تم وقف هذه الحملة بين البلدين (القاهرة ودمشق) فوراً ، وقبلت دمشق دعوة عبد الناصر بحضور هذا المؤتمر ، وفى خلال أيام قليلة — وهذا أمر نادر الحدوث — التزمت صحافة واذاعة القاهرة بوقف حملتها الاعلامية ضد دمشق وانقلب الوضع تماماً وامتلأت أعمدة صحف البلدين بمقالات المدبح والثناء وذكر الفضائل وكريم التسمائل ، وعظم الانجازات فى البلدين .

وانعقد أول مؤتمر قمة عربى . . وحقق نجاحاً منقطع النظير ، ويكفى أن أعداء الامس أصبحوا أصدقاء اليوم ، والآن يتقابلون

٠ (٣) خطب وتصريحات عبد الناصر عام ١٩٦٣ ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٤) نص الجلسة - البحث في ٢٣ ديسمبر عام ١٩٦٣ .

بالأحضان ويدعون بعضهم البعض بالابتسامات وبارق المشاعرة الأخوية ، ولكن من الملاحظ أنه لم يشر أى وفد من الوفود المجتمعة الى الرغبة فى اعلان الحرب ماعدا أمين الحافظ الذى اتخذ مكانا ليتابع المتحدثين الآخرين حول موضوع تحويل روافد نهر الأردن فى سوريا ولبنان والأردن . ووضعت خطة قابلة للتنفيذ ، ومن ثم فقد تشكلت قيادة مشتركة للدفاع العسكرى تحت القيادة المصرية .

ولم يكن يهم كم من السنوات يستغرق تنفيذ المشروع العربى ، ردا على خطط اسرائيل ؟ ولكن الشيء الأهم الذى أدركه الوفد السورى للوهلة الأولى : ان الحكومة المصرية لم يكن لديها أية خطط عسكرية لاعلان الحرب على اسرائيل ، وبذلك خابت آمال الحكومة السورية فى تحقيق رغبتها الجامحة لثوريث عبد الناصر فى حرب ضد اسرائيل ، ووضعه فى مأزق يصعب التخلص منه .



٢ - أسباب أخرى لانعقاد مؤتمر القمة العربى بالقاهرة :

ذكرنا مسألة تحويل مياه نهر الأردن كحافز فى عملية مصالحة العرب . لقد كانت بدون شك السبب العاجل والرئيسى لاستقدام ملوك ورؤساء العرب الى القاهرة على عجل لعقد قمّتهم الأولى ، ولكن هناك - بدون شك - أسبابا أخرى غابت فى الأهمية .

وحكومة مصر ارتفعت بنفسها كثيرا دون التوقف عند بعض الملاحظات التى كانت منذ أيام قليلة مضت بيننا وبين كثير من حكومات الدول العربية ، ومن ثم أصبح لزاما على مصر أن تجابه خصوما لها يتصنون بالرجعية ، وتتآخى مع منافسين ثوريين لها فى سوريا ، وأذابت كثيرا من ركام الجليد المتراكمة فى طريق العلاقات المصرية العربية بمجئ شهر ديسمبر عام ١٩٦٣ .

ومن اللافت للنظر أن موقف كل من الملك سعود والملك حسين وكذلك حزب البعث السوري ، كان يتسم بالإيجابية بخلاف ما كان متوقعا منهم ، وكان من نتائج هذه القمة التوصل الى تسوية مسألة اليمين مع السعودية بطريقة ترضى كل الاطراف ، وانتهى بذلك الموضوع الذى كان يشكل عبئا ثقيلا مدمرا للاقتصاد المصرى منذ سنوات مضت .

وبالنسبة للعلاقات بين مصر وسوريا فقد تم تسوية كل المهاترات التى هى الموضوع الاساسى لحملة الصحافة والاذاعة فى البلدين ، ومن ثم فقد صدرت القرارات فى كلا البلدين نورا لأجيرة الاعلام بالكف عن هذا الاتجاه الهدام للشاعر الشعوب العربية ، وعلى هذا فقد استقبل أمين الحافظ الرئيس السورى فى رحاب القاهرة بطريقة رسمية وان اسمت بالفتور فى الشاعر .

ولكن الشخصية الوحيدة التى حظيت بالاهتمام البالغ فى القاهرة كانت شخصية الرئيس عبد السلام عارف ، وان كانت العلاقات بين العراق وسوريا ظلت كما هى تشوبها علاقات التوتر ، وقد تحاشى عبد الناصر مقابلة أمين الحافظ الرئيس السورى ، خاصة أن العلاقات الدبلوماسية بين البلدين لم يكذب لها العودة منذ انفصال سوريا عام ١٩٦١ عن الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك على الرغم من انتهاء الحرب الباردة بين أجهززة اعلام البلدين ، وسادت عبارات الود والتقدير تلك التى ترد غالبا فى تغطيات التهانى . ومع الأعياد القومية (حدث نحسن لموسى فى الاسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٤ عقب نهاية مؤتمر القمة الثانى ، عندما دعا الرئيس عبد الناصر أمين الحافظ الرئيس السورى على مأدبة العشاء ، وكان هذا أقصى ما يمكن أن يقدم للرئيس أمين الحافظ للابقاء على العلاقات بين البلدين دون حدوث أى توتر) .

فيثساءل المرء في حيرة ، لماذا كان من السهل بالنسبة للرئيس عبد الناصر أن يستأنف الصداقة مع الملوك المحافظين في الأردن والسعودية ، أكثر من هؤلاء الذين يشساركونه الاتجاه الاشتراكي في دمشق ؟ ربما يتخيل المرء أن هناك أبعادا في السياسة العربية كانت مصر تطمح في تحقيقها منذ يناير عام ١٩٦٤ .

وعودة مرة أخرى الى العلاقات المصرية السورية ، فقد كان الطريق الى الصفح والغفران عما مضى أكثر صعوبة مما لو كانت توجد مشاكل مادية بين البلدين ، فقد أثر أمين الحافظ أن يظل يوما آخر في القاهرة على أمل رؤية عبد الناصر ، في وقت انبرت فيه الصحف البعثية في التكهن بحدوث هذا الأمل ، ولكن في المقابل كان التقارب المصري العراقي قويا ، وأصبح على السوريين أن يفكروا في « المطرقة والسندان » وان كان البعث حقق لهم أدنى هدف لتثبيت سيطرتهم في سوريا . وان كانت دلالة للاستقبال الصامت الذي قوبل به أمين الحافظ في القاهرة ، ففي مصر يقدرّون موقف البعث ، ولكن سياسته غير مقبولة لدى الشعب المصري .

ويرجع السبب في مذور العلاقات بين البلدين ، لأن الفتور في القاهرة أعرق مما في دمشق حيث أن مفهوم أعضاء حزب البعث واهتماماتهم السياسية يرجع في المقام الأول الى الأثر الذي تركه محادثات الوحدة التي جرت بالقاهرة من قبل .

كذلك كان في إمكان عبد الناصر أن يحسن من علاقاته مع كل من حسين وسعود ، إذ أن الخلافات بينهما ليست جذرية إنما كانت بشكل طارئ ، وكان في إمكان الملكين أن يفعلوا ذلك أيضا ، ومن ثم ففي الامكان استئناف العلاقات معهما في أية لحظة يختارها الرئيس عبدالناصر وهما في نفس الوقت سعيدان بصداقتهما له .

ويختلف الأمر حول علاقة عبد الناصر نحو البعث ، فالأمر يختلف ، فهم مجموعة من الراديكاليين ، ومن ثم كان لابد من مساومتهم لتعود العلاقات معهم الى سابق عهدها . وهم البعثيون — كانوا يبحثون عن نقطة البداية مع عبد الناصر للعودة لهذه العلاقات ، التي كانت — في واقع الأمر — تشكل تهديدا لزعامة عبد الناصر في العالم العربي ، ورغم هذا فمزال موقف عبد الناصر منهم يتخذ طابع الرغص من الناحية الرسمية على أقل تقدير في وقت كان في امكانهم فيه قبول كل ما يشترطه عليهم ، لانهم يدركون أن زعامتهم المحلية كانت رهينة بتقريبهم من عبد الناصر ، وكيف له هذا ، وقلبه يمتلىء مرارة من حادث الانفصال الأخير الذي مضى عليه تسعة أشهر ؟ وكيف له ذلك وهو يرى الفساد والرجعية هي التي تحكم سوريا في الوقت الراهن ؟ وبينما البعث يحكم سوريا فهو مزال يحكم مصر ، ومن ثم فليس في امكانه أن يتحكم في تصرفاتهم الشخصية في سوريا ، وفي نفس الوقت لم يكن لديه أي سبب ليهنئهم على سياستهم هذه في سوريا .



٣ — الدكتاتورية العسكرية :

واضح حتى الآن من مجريات الأحداث أن سياسة عبدالناصر فشلت تماما في سوريا ، ولكن دون أن يترك أي أثر سلبي على شخصية عبد الناصر ، إذ لم يراهن على سمعته على المكسب ، ولكن لمنع هؤلاء من استغلال هذا الموقف لصالحهم للحفاظ على الاستقلال المعنوي من مخالف حزب البعث ، إذ كان مؤتمر القمة فرصة سانحة لهؤلاء القوم .

وبالنسبة لخصومة السوريين في حزب البعث فقد تقبل نتيجة هذه المعركة دون رد فعل سيء ، فمهد الناصر له دولته التي يحكمها ويدير شئونها ، أما الناصريون في الاوطان العربية فقد كان مؤتمر القمة في القاهرة نايبدا ونصرا لهم بطريق غير مباشر ، ومن ثم فقد توقف نشاطهم المعادي - في الساحة العربية - لكثير من الأمور وان كان مؤيدو عبد الناصر السوريون في بيروت والقاهرة قد اجتمعوا في تشكيل جديد تقليدا للتنظيم الجماهيري المصري ، يسمى « الاتحاد الاشتراكي العربي » وتصب نجاد القاسم نفسه سكرتيرا عاما لهذا التنظيم ، ورغم النشاط الانشغالي الذي يحدث من حين لآخر ، فقد كرر نهاد القاسم زيارته للرئيس عبد الناصر في القاهرة والاتفاق الذي حدث بعد اجتماعات مفصلة طويلة في مايو عام ١٩٦٥ .

ومن الملاحظ ان من الصعب ان نشاهد أي عمل ايجابي لهذا التنظيم الجديد ، سوى انه كان بمثابة ناد للمتفعين ، مدامت مصر لم تساعدهم بطريقة ايجابية في الاطاحة بالحكومة السورية . لقد كان هناك شيء مخز حول تورط أعضائها البارزين (رجال في الثلاثينات والأربعينات من العمر أمثال هاني الهندي ، ولؤي الأناسي ، وعبد الحميد السراج ، الذين تقلدوا مناصب كبرى . انهم الآن قد أدينوا في فترة غير محددة بالكل والخمود .)

ربما استشار نهاد القاسم عبد الناصر ، وما الذي نوقش في اجتماعات المنظمة ؟ لم نجد اجابة شافية حول هذه التساؤلات ، ولكن المرء بتوقع ان رغبة سوريا في التقارب مع مصر كانت أكثر حرارة في العلاقات بين البلدين في ذلك الوقت .

والحقيقة المؤكدة في هذا الموقف أن سسوريا كانت تروم عودة العلاقات مع مصر بشكل أكثر حرارة ، ولهذا تولي هذه المهمة

جاسم علوان وهو ذلك الشاب الذي حاول احباط التمرد الذي حدث في سوريا في ١٨ يوليو خاصة في مدينة دمشق ، وفي تلك الاثناء وقف بعض الزملاء القدامى بعيدا ، وفي ذلك الوقت عاد سامي الصوفاني ليعيش دون فضولية لديه في مدينة دمشق ، اما عبد الكريم زهور فهو شخصية متفردة تتصف بالشراسة ، وقد ترك حزب البعث في مايو ١٩٤٨ .

وسط هذه الظروف غير المباشرة ، كان هناك وقت كاف لدى الناصريين السوريين لتحدثوا فيما بينهم حتى يدركوا ابعاد الدرس الذي ادى الى فشلهم . والسؤال الاساسي هل كانوا مخطئين في قبول موقف ثانوي في حزب البعث الذي تولى رئاسة الحكومة بعد ٨ مارس عام ١٩٦٣ ، وان يقبلوا الصيغة الخاصة بحزب البعث أثناء المفاوضات الثلاثية للوحدة بدلا من الاصرار على اعادة تشكيل الوحدة الاولى مع مصر ؟ وذلك من خلال اندماجهم في حزب البعث وبشروطه ، وكان حزب البعث يدعو الى استقلالهم ، لكي يثبت قضيته على سوريا .

وهناك اجوبة كثيرة عن هذا السؤال ، فقد اكد هاني الهندي بصيغة أكيدة انها وجهة نظره من البداية ، لقد انضم الى الحكومة واثبتت الأحداث انه كان على صواب ، ورغم ذلك أعتمد نهاد القاسم انه لم يكن هناك بديل عن اختيار مشرف ، ومن ناحية ثانية يعد تعاوننا هزيلا مع البعث طلبا لوحدة عربية ، وقد نبه الجنرال لؤي الاتاسي الى ذلك .

كما المح لؤي الاتاسي الى المؤلف « انهما كانا على حق » ورغم رغبة الاتاسي الواضحة في ابعاد الشك لتعاطف البعث الذي يمكن أن يثار من تسجيله في المكتب : لقد أخبرت أمين الحافظ والآخرين مرارا انهم ينفذون سوريا الى « دهاليز مظلمة » تحديا للتواجب ومنطق التاريخ .

لقد عبر عن وجهة نظره بأن الفرصة السانحة قد ضاعت ،
فلو أن أنصار الرئيس عبد الناصر كان لديهم صبر كاف لقبول
تسلط حزب البعث حتى حلول ميعاد الاستفتاء العام في سبتمبر ،
لأصبح في إمكان الوحدة الظهور الى حيز الوجود الرسمي ، ولو
حدث ذلك فربما يثبت للبعث صعوبة البقاء في مواقعهم ، وإن كانوا
غير مستعدين للانفصال وأن يتحملوا مسؤوليتهم ، ولكن مثل هذا
المسلك يترتب عليه الآتي :

❶ **أولا :** بالنسبة لحزب البعث فقد نجح في تعبئة موقف
عبد الناصر والمناصرين له في دمشق ، حيث وقف حزب البعث
بطريقته التقليدية ، بنشد الوحدة العربية ، حيث يشعر الآن بالانعزال
التام في سوريا ، إذ نادرا ما يحدث تقارب بينه وبين العناصر
العربية الوحدوية الأخرى ، أنه غير قادر في المستقبل بالمساهمة
في شيء ايجابي يتعلق بقضية الوحدة العربية وهكذا وجدت
سوريا نفسها تقف وحيدة في الساحة العربية حتى عن جيرانها .

❷ **ثانيا :** دافع الحزب عن الديمقراطية ، والحريات المدنية ،
وكذلك الحكم المدني ، واكتسب الثقة في هذا المقام في مقاومته
لدكتاتورية أديب الشيشكلي وفي نقده لحكم عبد الناصر في سوريا
بعد عام ١٩٥٨ ، بينما لم يكن غير مهتم تماما بأية سياسات عربية
أخرى .

وفي أوائل عام ١٩٦٤ كان من الصعب أن ترى مفارقات مهمة
بين حكم الجتزال أمين الحافظ ، وحكم أديب الشيشكلي ، وتوقف
نشاط الجانب المدني في الحزب نظرا لطموحات ميشسبل علق ،
وصلاح البيطار حيث عاد صلاح البيطار وزيرا أول ، ثم خرج ثانية
من الحزب بناء على دعوة أمين الحافظ وكذلك حزب البعث ، كما

حل «منيف الرزاز» محل مبشيل علق ، مع ملاحظة أن منيف الرزاز ، طبيب من أصل سوري أمضى معظم سنوات حياته العملية في الأردن ، ولم يكن له نفوذ في السياسة السورية ، وفي ذلك الوقت انضم إلى مجلس الوزراء هيئة مدنية كبيرة العدد بتأييد بعض أعضاء حزب البعث المدنيين البارزين .

ورغم أن مجموعة الضباط الذين يحملون رتبة عسكرية مثل أمين الحافظ ، كانوا أعضاء في حزب البعث ، أو متطافين معه ، ومع مضي الوقت أصبحت هذه الصلة بشكل مؤقت إلى حد ما ، ولأن أعضاء حزب البعث كانوا يأملون في يوم ما ، أن يستخدموا اسم عبد الناصر في تدعيم موقفهم ، ولكنهم الآن يستخدمون الجيش السوري ، ومن ثم فقد انتهى النضال بين عبد الناصر وحزب البعث ، وذلك بتسليم سوريا مرة أخرى إلى أيدي مجموعة من العسكريين الدكتاتوريين .

* * *

الفصل السادس

تخطيط القمة

- ١ — مصر والسعودية والمشكلة اليمنية
- ٢ — مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية
- ٣ — التحالف السوري المصري
- ٤ — العراق
- ٥ — حرب الأيام الستة

ان عهد المصالحة الذى بدأ بقمة القاهرة ، والذى استمر حتى عام ١٩٦٦ سرعان ما انهار بسقوط مدو ، وان كان خلال فترة الهدوء ، ظهرت بعض التطورات الايجابية مثل اجتماعات القمة فى مدينة الاسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٤ ، وبعدها بعام اجتماع آخر فى « كازابلانكا Casablanca بالملكة المغربية ، اذ شهدت هذه السنوات جهودا متواصلة من اجل تكريس الامكانات العربية تجاه سياسة اسرائيل العدوانية ، كما اجريت مفاوضات بين مصر والسعودية وأمكن التوصل الى اتفاق بخصوص حرب اليمن ، هذا بالإضافة الى وقف الحرب الاعلامية بين عواصم الدول العربية .

كان من بين الاسباب التى ادت الى تحطيم القمة العربية قسام مجموعة من السياسيين اليمينيين والمجهولى الهوية فى جمهورية اليمن بالاستيلاء على السلطة ، وشجعت مثل هذا العمل المملكة العربية السعودية وكان من نتيجة هذا العمل ردود أفعال سيئة فى الأوساط السياسية العربية ، خاصة مصر حيث كانت سوريا تشجع أمثال هؤلاء الأشخاص الطموحين نكاية فى مصر .

وساهمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، وكذلك الاتحاد السوفيتى فى حدوث انهيار سريع فى اليمن وذلك بتشجيع قوى النفوذ المتنافسين ، واستمر الوضع هكذا حتى نهاية العام ، وفى نفس الوقت كان العالم العربى قد انقسم على نفسه بشكل حاد ، وفى شكل محاور أيديولوجية .

ففى هذه المرة تواجه مصر محورا مكونا من السعودية والأردن وبذلك تم إلغاء اجتماع القمة العربية المزمع عقده فى شهر سبتمبر بالجزائر ، ثم ظهور بوادر أزمة دولية كبرى تتدخل فيها القوى العظمى ومن ثم بات العالم مهددا بالخطر بشكل لم يسبق له مثيل منذ عام ١٩٥٨ .

وعلى هذا فان عودة الكفاح كان شيئا عارضا او غير طبيعى بالنسبة للدول العربية ، وان أحداث اثنتين وعشرين عاما من تاريخ جامعة الدول العربية يوحى بأن الحزبية هى من الأمور العادية لأعضائها ، وكان فى امكان الدول العربية التوقف قليلا لالتقاط الأنفاس واعادة تنظيم صفوفهم بشكل أكثر جدية .

ولكن من الملاحظ أنه بحلول ثناء عام ١٩٦٧ توقف النضال بين الدول العربية ، وبحماسة شديدة ، وأن كانت هذه الحماسة قائمة على أساس من التناقض العميق فى الاتجاهات الأيديولوجية ، ومن ثم فمن الصعب إمكانية حدوث مصالح عربية ، مادامت النظم الحالية فى السلطة .

١ - مصر والسعودية والمشكلة اليمنية :

فى سبتمبر عام ١٩٦٢ أيد عبد الناصر الثورة اليمنية كفرصة سانحة له لتخرجه من عزلته العربية التى فرضت عليه عقب انفصال سوريا عن جمهورية مصر العربية ، وليس مستعبد بذلك مكانته فى الشئون العربية من أجل رفعة مصر ، باعتبارها تحتل الريادة الثورية .

أن مساندة السعودية للقوات الملكية اليمنية أصبح طريقا مسدودا وأمر لا طائل منه بعد أن ذهب الجيش المصرى الى أرض اليمن يساند القوات الثورية الشعبية ، وخلال هذه السنوات بذلت جهود مضيئة من أجل إنهاء الحرب على أرض اليمن ، أولا عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم عن طريق الأمم المتحدة كمرحلة تالية .

وفي أعقاب مؤتمر قمة الاسكندرية فى سبتمبر عام ١٩٦٠ وافق الرئيس عبد الناصر والأمير فيصل - ولى العهد - على اجتماع الأحزاب اليمنية المعارضة معا ، على أرض محايدة فى السودان ، ولكن حتى هذا المؤتمر لم يتوصل الى أية نتيجة حيث كانت هناك كثير من الأمور والمشاكل والمصالح غير قابلة للحل أو التسوية بين مصر والسعودية من جانب ، وبين الجمهوريين والملكيين من جانب آخر . ومن الناحية النظرية كان من الممكن الاتفاق على رأى عام ، بحيث تتاح الفرصة لليمن لى يقرر مصيره بنفسه من خلال المصالحة العامة دون تدخل من أية أطراف خارجية ، ولكن السؤال المطروح هو أى طرف بمنى يمكن أن يقرر مصير اليمن ؟ وأية قوة خارجية تلك التى تحقق المبادرة بالانسحاب ؟ وبأية ضمانات ؟ أنها حقا مسائل معقدة .

لقد نشأ لدى الجمهوريين اليمنيين موقف سلبى ضد تواجد القوات المصرية على أرض اليمن ، نظرا لسيطرة هذه القوات على شئونهم . ولهذا فقد انشق بعض زعماء اليمن ليكونوا قوة ثالثة ، وحاولوا التفاوض - منفصلين - مع الطرف الآخر ، الملكي والسعوديين وآخرين كان لهم نفوذ شخصى أكبر من أية قوة ، وخاصة شخصية مثل « أحمد النعمان » الذى كان رئيسا للوزراء وذلك فى ربيع عام ١٩٦٥ ، وكذلك شخصية مثل « عبد الرحمن الاريانى » الذى كان محتما بالوجود المصرى وكان على استعداد لتبادل وجهات النظر مع الحكومة السعودية ، وبقي صامدا متمسكا

برأيه المؤيد للنظام الجمهورى ، ومعاديا ومبغضا للنظام الملكى السابق .

وكانت مصر تؤيد ثورة اليمن لاعتبارات استراتيجية حيث ان حدود المحمية البريطانية فى عدن متاخمة لحدود الاتحاد الفيدرالى فى الجنوب اليمنى وكذلك العربية السعودية ، ومن ثم فقد كانت مصر تنظر الى ثورة اليمن باعتبارها مركزا ثوريا فى مواجهة الاستعمار البريطانى فى الجنوب العربى .

توصلت مصر أخيرا الى توقيع اتفاقية جدة مع العربية السعودية فى ٢٤ أغسطس عام ١٩٦٥ لانهاء حالة الحرب على ارض اليمن ، حيث توقفت فجأة التهديدات المصرية بفزو الاراضى السعودية ، التى كانت ترسل المساعدات منها الى الملكيين اليمنيين ، وسافر عبد الناصر فجأة الى جدة لتبادل الاحضان الحارة مع الملك فيصل (وكان قد تولى الحكم بدلا من أخيه سعود فى نوفمبر ١٩٦٢) وتوصل كل من عبد الناصر و فيصل الى اتفاق يقضى باجتماع الجانبين اليمنيين الملكى والجمهورى فى « حرص » . وهى قرية قريبة من الحدود السعودية ، وذلك بهدف ترتيب الأوضاع بإنشاء نظام انتقالى بعدها ينظم الطرفان استفتاء عام على مستقبل البلاد ، ويتم ذلك خلال عام من تاريخه وستشرف لجنة (سعودية مصرية) مشتركة فى تلك الاثناء وهى فترة الهدنة التى تتوقف خلالها كل المساعدات العسكرية الخارجية الى الجانبين فى اليمن ، وعلى القوات المصرية أن تستعد من الآن للانسحاب من كل ارض اليمن على أن تستكمل جلاءها الكامل قبل التاريخ المحدد للاستفتاء .

ولكن من الملاحظ على اتفاق جدة (بين عبد الناصر و فيصل) فى ٢٤ أغسطس عام ١٩٦٥ أنه تم دون استشارة اليمنيين فى جدة ،

ولا حتى بتدبر ما كان اليمثيون يفكرون فيه ، على افتراض أن ما اتفق عليه عبد الناصر وفيصل سيكون مقبولا للجمهوريين والملكيين في اليمن ، ورغم ذلك فإن اليمينيين كانوا أول من قتل من أهمية اتفاق جدة ، فقد تم حشد كل القوى المتنافرة في مؤتمر حرص ، وبذلك أصبح الطريق محدودا بالنسبة لرغبة الجمهوريين والملكيين ، فقد أراد الملكيون نظاما مؤقتا يعلن بعسده عن قبسام « الدولة الإسلامية اليمنية » كوسيلة لتأجيل اعلان النظام الملكي ، أو النظام الجمهوري ، ولكن أصر الجمهوريون على « لقب الجمهورية » ، وأكثر من ذلك غير مستعدين لأن يشغل أفراد عائلة الامام المخلوع اية مناصب سياسية بأي شكل من الأشكال .

ولم يكن معروفا على وجه التحديد ان موقف كل من المصريين والسعوديين كان سببا في عناد ورفض كل الأطراف اليمنية قرارات اتفاق جدة ، وفي نفس الوقت كان كل من عبد الناصر وفيصل يحاولان فقط كسب الوقت أثناء مؤتمر جدة ، حيث كان هدف عبد الناصر منع أي جدل حول موضوع اليمن حينما يتم اجتماع القمة العربية في « كازابلانكا » بالمغرب وحتى يكون أمام القوات المصرية متسع من الوقت لانسحابها من أرض اليمن .

أما فيما يتعلق بموقف فيصل ، فقد كان يهدف تجنب هجمات القوات المصرية ، وفي نفس الوقت تم إبرام اتفاق بين السعودية وأمريكا بشراء أسلحة دفاع جوى (انجليزية أمريكية) بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار ، وذلك على أثر فشل مؤتمر حرص .

ومما لا شك فيه أن مضمون اتفاقية جدة يمثل فشلا للسياسة المصرية ، التي تنص على انسحاب القوات المصرية من أرض اليمن ، على الرغم من تظاهر القوات المصرية بأنها كانت تمني

فشل مؤتمر حرض بين الأطراف اليمنية المتصارعة ، ولكن مع مرور الوقت كان الفشل أمرا محتوما كما سنرى بعد قليل . اذ برزت اعتبارات جديدة تمنع القاهرة من سياسة المواجهة ، ولكن ذلك لم يبد في الألق خلال المدة من أغسطس الى نوفمبر ، حيث جو المصالحة بين الدولتين العربيتين (مصر والسعودية) كان هو المظهر الوحيد في الألق العربى .

لقد اعتقد كثير من الملاحظين فى مؤتمر حرض ، أن معاندة اليمنيين (الطرف الجمهورى والملكى) كان عملية نفسية ، والملاحظ أن المصريين أبقوا على عبد الله السلال — وهو يثير الفتن والفتاقل للجمهوريين — بالقاهرة ، بينما رجل الساعة القوى فى اليمن هو « حسن العمرى » رئيس الوزراء ، وكان معروفا أنه سيبقى فى العاصمة صنعاء ، تاركاً الوفد الجمهورى فى حرض تحت رئاسة كل من الارياضى والنعمانى ، وكان من المفترض فيها أنهما من الشخصيات المعتدلة ، ولكن الأحداث أثبتت أن كلا من الارياضى والنعمانى أظهرتا عنادا شديدا ، ليس حبا للمصريين ، وليس ابقاء للنظام الملكى المخلوع ، ومن جانب آخر ظهر أن العربية السعودية كانت ترحب بتسوية عادلة لصالح النظام الملكى المخلوع فى مواجهة النظام الجمهورى الذى كان يمثل موقفا شديدا الصلابة ، وربما يكون سبب توتر الموقف بين جانبيى المفاوضين ، أن كلا الجانبين الجمهورى والملكى قد تعودا على تلقى المساعدات المالية الخارجية بسخاء ومن ثم يودان استمرار هذا الوضع بدلا من التوصل الى تسوية نهائية فى مؤتمر حرض ، وفض أسباب الخلاف والنزاع بينهما .

وعلى هذا أرجئت محادثات حرض حتى ٢٠ فبراير ، ولكنها لم تستأنف ثانية منذ هذا التاريخ ، وبحلول شهر مارس كان عبد الناصر يعلن أن جيشه قد تم اعداده لبقى لفترة غير محددة ،

فم جدد تهديداته بمواجهة القواعد السعودية مرة أخرى ، وبمثل هذه التصريحات حكم على اتفاقية جدة بالموت قبل تنفيذها .

ومما لاشك فيه أن سبب تهديد المصريين بالبقاء في اليمن يرجع بالدرجة الأولى الى تصريح وزير الدفاع البريطاني في ٢٠ فبراير بقوله : « ان القوات الانجليزية سيتم جلاؤها عن قاعدتها في عدن بجنوب اليمن بحلول عام ١٩٦٨ » مما جعل القيادة العسكرية المصرية تقابل هذا التحدى باستمرار بقائها باليمن .

ومن المحتمل أن القيادة المصرية تلقت وعودا بمساعدة السوفيت وامدادها بما تحتاج اليه من أسلحة ، وان كان هذا احتمالا بعيد الحدوث .

أو ربما يكون موقف الملك فيصل هو السبب في توتر القيادة المصرية ، وتهديداتها بالاستمرار العسكري على أرض اليمن ، وذلك حينما أعلن عن عقد « المؤتمر الاسلامي » من الدول الاسلامية لكي يعقد هذا المؤتمر في مكة ، ومن الأمور اللافتة للنظر أن الملك فيصل قام بعدة زيارات رسمية للأقطار الاسلامية ، وتصريحاته العديدة التي تدعو الى التضامن الاسلامي ، الأمر الذي أوحى الى القاهرة أن مثل هذه السياسة تعد تحديا لسياستها ، وذن المعلوم أن القاهرة كانت قد أنشأت « المؤتمر الاسلامي » عقب قيام ثورتها في عام ١٩٥٢ .

ولقد لاحظ المراقبون السياسيون أن زيارات الملك فيصل اقتصرت على الدول الاسلامية المعتدلة — غير الثورية — فلم يتم زيارة سوريا والجزائر ومصر ، وكانت أهم سمة لهذه الدول الاسلامية التي قام بزيارتها أن علاقاتها مع مصر تتسم بالفتور ، وعلى سبيل المثال قام الملك فيصل بزيارة شاه ايران ، وكانت

العلاقات بين مصر وأيران يشوبها التوتر والكراهية خاصة بين شخصى عبد الناصر ومحمد رضا بهلوى .

وفى شهر ديسمبر عام ١٩٦٥ حينما وصل مؤتمر حرض الى طريق مسدود ، كان الملك فيصل مازال يواصل زيارته الرسمية نكاية فى مصر ، فذهب فى نهاية يناير لزيارة عمان كضيف على الملك حسين ، كما قام بزيارة تركيا والسودان وباكستان والمغرب وتونس (وكان رئيسها الحبيب بورقيبة الذى كان معاديا للرئيس عبد الناصر) كما قام الملك فيصل بزيارة الأصدقاء التوريين لعبد الناصر غريبى الأطوار وهما الرئيسان المسلمان لغانا ومالى .

ولقد لاحظ المراقبون للأحداث أن جمعية الملك فيصل احتوت على الكثير من المتناقضات ، فكيف يتم التواءم بين الاستقامة الدينية المتمثلة فى الملك فيصل والملكية الفكاهة المتمثلة فى الملك حسين ، كذلك بين الملك فيصل وكل من : شاه ايران والحبيب بورقيبة ذوى الاتجاه العلمانى فضلا عن اتجاهات القادة الأتراك .

وعلى الجانب الآخر كانت الحكومات التى اقترب منها الملك فيصل ليس لها رغبة فى الشجار مع مصر ماعدا ايران وتونس ، وكان الملك فيصل لا يهتم بمثل هذه الجوانب ، ومستعدا نفسيا لتحمل هجوم مصر عليه ، وذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كانتا تستخدمان فيصل ليعيد تنشيط النظم الدكتاتورية ، أو تنظيم المنطقة فى تحالف بسائد الغرب ، وان كان هذا الرأى مشكوكا فيه ، فليس من المنطق أن يكون هذا هو الهدف الأساسى لكل من الرياض ، ولندن ، وواشنطن . ان اصرار فيصل المتكرر ، بعد مهاجمة المصريين له ، أنه لن يكون تحالفا أو ينظم حملة ضد مصر ، بل أنه يرغب فى تشجيع عبد الناصر الزعيم البارز لأكبر دولة عربية اسلامية . ولاشك أن زيارات فيصل المنكرة أنتت بنتيجة عكسية متناقضة مع ما كان يهدف اليه الملك فيصل .

لم يرحب أحد من العالم العربى بحدث القمة العربية مثلما رحب فيصل وحسين لأن عبد الناصر قدم إطار عمل للتعايش السلمى بين الدول العربية ، وكان عبد الناصر هو الزعيم الوحيد بين الزعماء العرب الذى بإمكانه الدعوة الى عقد قمة عربية ، وهو الذى بإمكانه أن يفعل ذلك ، حتى السوريون قبلوا حضور القمة العربية كوسيلة ضرورية لتخفيف ضغط القاهرة الساخن عليهم .

وكان القرار ، أى قرار بنهى حدث القمة ، كان حتما أن يكون قرارا مصرية ، ولقد كان خطأ أوليا بالنسبة لدور فيصل أن يتخيل أن بالإمكان تولى شئون المبادرة بدلا من عبد الناصر ، وأن يوسع دائرة نشاطه وقاعدته ، وهو دون أن يدري كان يسعى الى هدم اتفاق جدة . ولهذا يحق للمرء أن يتساءل : ما المعنى الحقيقى لمؤتمر جدة ؟ من أى منطلق قوة أو ضعف كان فيصل وعبد الناصر يتفاوضان ؟ لقد كان طبيعيا أن تبدى صحافة القاهرة المها لكى تؤكد أن عبد الناصر قد أجهد نفسه بتهديداته لمهاجمة الأراضى السعودية قبل لقاء جدة . وقد أبدى فيصل مخاوفه من أن مؤسسته العسكرية والسياسية ستنهار لو واجهتها مثل هذه الأزمة .

ومن استقراء صحافة القاهرة ، فإن عبد الناصر ذهب الى جدة باعتبار أنه القائد المظفر .. صانع السلام .. ورحل عن جدة — باعترااف السعوديين — وهو يعتقد أن الثورة تمخض عنها النظام الجمهورى فى اليمن ، كان لزاما على مؤتمر حرض وما يليه من اجراء استفتاء أن يصادق على مثل هذه النتيجة التى فى ذهن عبد الناصر ، وعلى هذا فإن القوات المصرية ستسحب من أرض اليمن بعد أن تكون قد أدت مهمتها على أكمل وجه ، لتبدأ بعد ذلك فى مواجهة إسرائيل ، وهكذا أكدت مصر دورها التاريخى والريادى فى الوطن العربى .

أما عن وجهة النظر المعاكسة لاتفاق جدة ، كما هو في مخيلة كثير من الزعماء العرب ، فهي تصور أن عبد الناصر وهن عزمه ، وضعف على أرض اليمن بعد جهد متواصل على مدى ثلاث سنوات ، ومن ثم فإن سياسة عبد الناصر تعد سياسة فاشلة ، وأنه هزم على أرض اليمن ، ولهذا فقد كان عبد الناصر يبحث عن مخرج يحفظ له ماء وجهه حينما ينسحب بجيشه من اليمن .

ولكن لو حدث هذا فإن كثيرا من تداعيات الأحداث سوف تترتب عليه ، إذ سينهار صمود الجمهوريين في مؤتمر حرض لأنهم يعتمدون في موقفهم الصلب ، على تأييد مصر لهم ، وقواتها التي ما تزال مرابطة على أرضه . كما سسترتب على ذلك اعتراف الجمهوريين بالملكين على قدم المساواة ، وثالثة هذه النتائج أنه سوف يحدث رد فعل سيء للزعامة المصرية خارج الحدود تحت صدمة هذه الهزيمة ، وستظهر مرة أخرى كما حدثت في انفصال سوريا عام ١٩٦١ من الجمهورية العربية المتحدة ، ويقول كثير من الزعماء الشامتين بقولهم : « أن الثورة المصرية كانت غير قادرة على ضبط الأحداث في أراض عربية أخرى ، وهي التي ورطت نفسها فيها عن كعب » .

وحقبة أن مثل هذا النورط أثار ردود فعل غامرة مضادة ، إذ كانت اليمن أرض اختبصار للنضال من أجل انتصار المد الثوري المصري خارج حدود الوطن ، ولو قدر للملكيين الانتصار كان هذا سيشكل ضربة قاضية للنموذج المصري ، والمد الثوري في كثير من أرجاء الوطن العربي وربما ينعكس هذا على الأوضاع الداخلية في مصر ، التي كانت تعاني أزمة اقتصادية حادة بسبب حرب اليمن هذه ، والشعب يتحمل فوق طاقته .

وفي الحقيقة أن وجهتي النظر المتناقضتين في اتفاق جدة ، لا نجد ما يبررها ، ورغم ذلك نأنها تعكس تباين المصالح التي

سادت بطريقة واضحة بين القاهرة والرياض ، بينما تهرب الزعماء الجمهوريون اليمنيون في حرض (وكانت القاهرة تشجعهم قليلا) حيث باشر الملك فيصل حملته من أجل التضامن الاسلامي ، كأنه قد افترض انه صاحب اليد العليا ، وان ذلك عارض به عبد الناصر في مؤتمر جدة ، وأنه آجلا أم عاجلا فان الجمهوريين اليمنيين سيتم ارغامهم على أن يجتمعوا حيث ان مصر لم تعد تتحمل أن تساند عنادهم ، ولقد كان على حق ، فان المصريين اعتبروا اليمنيين مصدر غيظ كبير ، ولم يبدووا احتراماً لهم بصفة خاصة ، ولكنه اخطأ في افتراض أنهم سلموا بالهزيمة .

لقد كان عبد الله السلال رئيساً سوريا ، ولم يتخذ من الاجراءات منذ حدوث انقلابه العسكري عام ١٩٦٢ الا اقل القليل ، وكان الرئيس الرسمي لجمهورية اليمن ، وكان يذيع اعلانات طنانة بين حين وآخر ، كما أعلن نفسه مثيراً ، وشارك عبد الناصر وعبد السلام عارف ونيكيتا خروشوف Nikita Khrushchev في جولة نيلية على يخت عبد الناصر عام ١٩٦٤ .

وقيل ان عبد الناصر شرح لخروشوف الذي انتابه الغيظ (١) (مجرد اني أردت أن أريك ما اضطررتي الى ان اتحملة) وبعد ما يقرب من عام بعد اجتماع جدة كان عبد الله السلال في منفاه بالقاهرة بينما كان العمري رئيس مجلس الوزراء وآخرون يديرون نظام الحكم في صنعاء .

وفي يوم ١٢ أغسطس ١٩٦٦ عاد عبد الله السلال فجأة الى اليمن - صنعاء - ثم طرد مجلس الوزراء من مقارهم وأصبح

(١) يشير المؤلف بأنه رجع الى الملحق الصحفي السوفيتي بالقاهرة .

النعمان بدلا من العمري رئيسا للوزارة ، وهو الذي نصب نفسه بنفسه ، أما الارباني ومنه اربعون من اتباعه فقد هربوا الى القاهرة وتخلّف عدد آخر تم اعدامهم كما حاول اللاجئون مقابلة الرئيس عبد الناصر ولكن دون جدوى ، كما رفض طلبهم بمفادرة مصر ، ولهذا غتد اشتكوا بمرارة لرجال الصحافة . وقد أبقي المصريون على سرية المفاوضات التي أجريت في أغسطس مع ممثلي السعودية في الكويت ، واتهمت جمهورية مصر العربية العمري بأنه كان مهتما كثيرا بالجري وراء طموحاته في جنوب شبه الجزيرة العربية ، أكثر من اهتمامه بحل المشاكل اليمنية .

وقد زعم العمري أيضا أنه عندما زار الكسي كوسيجين Alexei Kosygin القاهرة في شهر مايو السابق ، فإن السلطات المصرية منعتة من مقابلة رئيس الوزراء السوفيتي (ربما خشي المصريون تكرار انهيار لقاء السلال وخروشوف) وعندما نجح العمري أخيرا في رؤية كوسجين قبل رحيله بساعة ، وطلب المزيد من إرسال السلاح السوفيتي ، رد كوسجين أنه قد أرسل من قبل ما يكفي لتسليح جيش قوامه ٥ ملايين جندي ، وعندما طلب السلال تسليم اللاجئين اليه رفضت القاهرة بطريقة مهذبة ، ولكن عودة عبد الله السلال الى السلطة لن تحدث دون اقتناع المصريين ، وكان رمزا مناسبيا لتصميمهم لاجاد أفضل وضع لهم باليمن ، والآن لم يعد هناك أثر للاتفاق الودي ، وتفضل عليهم عبد الله السلال بخدمة ، وذلك باعطائهم تأييدا بمقبا لحملة حروب العصابات المصرية المعززة لأول مرة ضد الانجليز في جنوب شبه الجزيرة العربية .

أما عن النعماني والارباني اللذين ارتابا كثيرا في ان الجمهورية العربية المتحدة على استعداد للتضحية بسعادة اليمن أكثر من

طموحاتها العريضة ، فقد ندما ندما تشديدا على عنادهما في مؤثر
حرض ، وفي تلك الأثناء تحدث الملكيون عن مثل هذه المخاوف في
أن طموح الملك فيصل لبروج لتنظيمه الاسلامي الجديد ، ربما يجعله
يساوم في غير صالحهم في تعامله مع عبد الناصر (٢) .

كان الموقف داخل اليمن متأزما الى اقصى حد ، بين الجمهوريين
والملكيين ولكن بانتهاء عام ١٩٦٦ تم حسم الامر لصالح الجمهوريين
اليمنيين . فقد اختفت مطامح المؤتمر الاسلامي الذي كان يدعو
وبروح له الملك فيصل سواء بالنسبة للنظام الثورية او غير الثورية ،
اذ هاجم عبد الناصر الاقتراح منذ الشتاء السابق ، وفي يوليو
اعلان عبد الناصر رفضه حضور اجتماع القمة العربية في وقت
لم تصل فيه المحادثات المصرية السعودية في الكويت الى أية
نتائج . ومما يؤكد هذا الفشل عودة عبد الله السلال الى صنعاء
كرئيس للجمهورية .

ان الملك فيصل لم يساوم من خلف ظهر الملكيين ، كما أنه ام
يتمكن من تجميع الأبديات الكافية من الدول التسع التي قام
بزيارتها خلال العام الماضي ، كما أنه لم يتمكن من تشكل تحالف
ذي أهمية من نظم محافظة أخرى تقف ضد المصريين ، فربما
تستتر زعماء كل من : باكستان وتركيا والسودان وليبيا والكويت
وكذلك المملكة المغربية على أن يقفوا في جبهة واحدة ضد مصر ،
ويسببوا لها مضايقات وكيلا لها الاتهامات ، ولم ترغب أية دولة

(٢) انظر التحليل الممتاز للتطورات اليمنية في صحيفة الايكونوميست
الصادرة في ٨/١٠/١٩٦٦ وتم اقتباس الفقرات بعاليه من هذا التحليل .

فى مجابهة سياسة مصر ، حتى الملك حسن لم يجد فى نفسه الشجاعة الكافية لمجابهة مصر (*) .

وهكذا وجد الملك فيصل نفسه فى وضع دفاعى على الرغم من الجهود المبذولة ، والاموال التى انفقها سدى فى شراء صفقة المقاتلات النفاثة ، والصواريخ من ماركة « هوك » بالإضافة الى أجهزة الرادار التى تم شراؤها خلال هذا العام من بريطانيا وأمريكا والتى تستخدم كرادع ضد غارات قاذفات القنابل المصرية لأن الاطمح الجوية الأرضية لم تتمكن من استخدام مثل هذه الاسلحة .

وفى ١٨ ديسمبر كسب المصريون جولة دبلوماسية لتضاف الى خسائر الملك فيصل ، وذلك حينما سمحت السلطات المصرية بحق اللجوء السياسى للملك سعود شقيق الملك فيصل ، الذى اخذ ينتقد بشدة سياسة أخيه من خلال اذاعة وصحافة القاهرة ، وهكذا فضل الملك المخلوع الإقامة فى القاهرة كمعاصمة ثورية اشتراكية عربية أفضل من قبوله الدعوة للعودة الى وطنه الرياض .

٢ - مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية :

منذ انعقاد قمة يناير عام ١٩٦٤ ، استفاد الملك حسين أول فرصة أتاحت له ليكسب احترامه فى الدوائر الثورية وقام بعدة زيارات متكررة للقاهرة ، ووقف فيها مع عبد الناصر فى مكتب رسمى فى سيارة مكشوفة ، يشق بها شوارع القاهرة ، وتحيط بها

(*) خطب وتصريحات عبد الناصر ، ج ٥ ، ص ٣٥٣ وما بعدها - تحليل للسياسات العربية - خطاب بمناسبة عيد الثورة ١٣ لسنة ١٩٦٥ - (المترجم)

الجماهير الغفيرة ، واعترف كذلك بجمهورية اليمن ، كما تقبل راضيا
الزعامة المصرية على الوطن العربي ، كما لم يعترض على قرارات
قمة القاهرة التي تدعو الى تأسيس منظمة « التحرير الفلسطينية »
وتكوين جيش لها (برغم المشاكل التي قد تحدث للملك حسين من
جاء ذلك) .

كما لم يعترض الملك حسين على انشاء القيادة العربية الموحدة
تحت قيادة « قائد مصري » بهدف الدفاع عن اعمال تحويل روائد
نهر الاردن في كل من سوريا ولبنان والاردن ، وأدرك الملك حسين
كذلك انه من أجل عبد الناصر قبل كل هذه القرارات ، ولكن لم
يتبادر الى ذهنه أن الاحداث ستتطور سريعا مع اسرائيل لنحدث
التلاحم الدامي ، وعلى هذا انساق الملك حسين وراء عبد الناصر
دون أن تكون حساباته دقيقة بالنسبة للمستقبل القريب .

وهناك أسطورة عربية مفادها : أن قضية فلسطين توحد
الدول العربية عندما يكونون منقسمين على أنفسهم ، كما يمكن القول
بأسلوب أكثر دقة ، أنه عندما تكون الدول العربية في حالة مزاجية
معتدلة لابد أن يتعاونوا معسسا ، وذلك يحدثم ايجاد تعبير في
الاتفاقية العربية « كل هذا لتجنب العمل على أرض فلسطين » .

ولكن العرب عندما يختارون أن يتشاجروا ، فان القضية
الفلسطينية — عن طيب خاطر — تصبح موضوع النزاع ، أما اذا
حدث أن احدى الدول العربية اثاربت العداوات مع اسرائيل فان
ذلك يثير مخاوف الآخرين من الدول العربية حفاظا على سميتهم
السياسية .

لم يكن نزاع الملك حسين مع منظمة التحرير الفلسطينية الا
انها السبب الحقيقي لنهاية شهر العسل مع عبد الناصر . كما كان
هناك سببان آخران للشقاق مع عبد الناصر :

● السبب الأول في جمع شمل النضال العربي من أجل إنهاء الصراع الحقي بين عبد الناصر وفيصل ، فقد سمح للملك حسين أن ينحاز الى جانب فيصل ، ولهذا وافق ووقع على « التنظيم الاسلامي » المقترح من قبل الملك فيصل منذ قام فيصل بزيارته في يناير ١٩٦٦ وكان الملك فيصل بصرح بين الحب والآخر ، أن مثل هذا التجمع الاسلامي ليس موجهاً ضد سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، مما يكون سبباً مباشراً بارتقاء الجمهوريين اليمنيين في أحضان عبد الناصر .

● السبب الثاني : فيما يختص بالشقاق الذي يمثل ضغطاً على القاهرة من قبل اليساريين في سوريا ، وكان التكتيك السوري هو انتهاز أية فرصة لينتقدوا النظم الرجعية ، وبصفة خاصة مع الأردن حيث الحكومات المحافظة وسلطتها المفروضة على منظمة التحرير الفلسطينية .

لقد كان هدف سياسة البعث السوري هو الضغط على الأردن لتحدث ثرخاً في القمة العربية وقراراتها التي ينظرون اليها بحقد شديد ، ولكي يجبروا الجمهورية العربية المتحدة على حتمية التحالف مع النظم الثورية في الوطن العربي ضد تلك الدول المحافظة .

حقيقة أن الأردن لم تكن تخشى من اقدام اسرائيل لتحويل روافد نهر الأردن ، بل كانت تخشى من المشروع الذي وضع موضع التنفيذ وهو اقامة « سد المخيبة » بالأردن على نهر اليرموك وأن هذا المشروع له جوانب اقتصادية مهمة بالنسبة للأردن ، ولا يشكل أي ضرر للمصالح الاسرائيلية ، ومن ثم فالأردن لا تكاد تشكو أبداً لأن الدول العربية الأخرى كانت ملتزمة بدفع جزء كبير من التكاليف بنسب متفق عليها .

وأُسندت العملية الى « شركة مقاولات خاصة » ببناء السد العالي ، وان كان هذا بوحى بمدى التقارب بين عمان والقاهرة في مواجهة أى عمل من جانب اسرائيل ، وان كان هذا على حساب العلاقات السورية المصرية ، كما كانت هناك مشروعات أخرى لم توضع موضع التنفيذ نظرا لعدم توازن الحماية العسكرية ضد هجمات اسرائيل المتوقعة .

كما ترتب على هذا ان منظمة التحرير الفلسطينية أصبحت تواجه مشكلة جديدة سببها وجود الفلسطينيين بالأردن ويشكلون ثلثى عدد سكانها ، كما ان الأردن معرضة لخطر المواجهة مع اسرائيل بشكل مباشر ، نظرا لطول الحدود الأردنية مع اسرائيل وهذا يتطلب جهدا عسكريا من الدفاعات على طول الحدود المشتركة .

كما كانت منظمة التحرير الفلسطينية لها تقدير كبير في نظر كثير من الدول العربية ، وبهذا يمكن ان تكون المسئولية الكاملة واقعة على كاهل منظمة التحرير الفلسطينية بشكل مباشر . ولهذا كان اختيار « أحمد الشقيري » زعيم المنظمة التحرير الفلسطينية يبدو كأنه يؤكد ان « المنظمة ستبقى بدون فعالية » لان أحمد الشقيري بصغته محاميا فلسطينيا ومتقدما في السن ، كما كان سفيرا للسعودية بالأمم المتحدة ، ومعروفا عنه أنه يتصف بالانتهازية والدجل ، وعلى هذا كان رد الفعل لدى الفلسطينيين سينا الداية وبمثابة صدمة لهم ، وخيبة أمل لدى اللاجئين الفلسطينيين . وان كان أول عمل طالب به الشقيري هو تكوين « جيش التحرير » من المجندين الفلسطينيين في الأردن ، وبالتالي يمكن وضعهم على الحدود للدفاع عن الأردن وحدودها الطويلة مع اسرائيل .

وكان الأمر مختلفا بالنسبة للأردن ، اذ كانت تخشى خوض حرب مع اسرائيل في وقت غير مناسب وغير مستعدة لها . كما

كانت العلاقات بين الملك حسين وأحمد الشقيرى على خير مايرام ،
وان كانت هناك بعض المشاكل قد حدثت خلال الفترة من يناير الى
مارس ١٩٦٦ مما عكسها صفو العلاقات بين الشخصيتين ، وفى ٢٠
أبريل أعلنت الحكومة الاردنية انها بصدد الحصول على طائرات
نفاثة أمريكية الصنع ، وان الحكومة الاردنية رفضت عرضا سوفيتيا
بشراء طائرات الميج ، بواسطة القيادة العربية الموحدة ، وبسعر
أقل من الطائرات الأمريكية (٣) .

ولكن الملاحظ أنه بعد اعلان تسليم الجيش الاردنى بأبام
قليلة ، ألقت السلطات الاردنية القبض على ٢٠٠ شخص من
المخربين من بينهم عدد من البعثيين ، والشوعيين ، وأعضاء من
الحركة القومية العربية ، وفيهم أعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية
فى عمان ، الأمر الذى جعل العلاقات بين الملك حسين والزعيم أحمد
الشقيرى نصاب بالذوتر الشديد ، لدرجة أن أحمد الشقيرى اشتكى
كثيرا من أن الملك حسين كان مشغولا ولم يتسع وقته لمقابلته فى
حين أتاحت له مشاغله بأن يقابل وفدا رياضيا ايرانيا .

وفى هذه الاثناء اتهم الملك حسين الزعيم أحمد الشقيرى بأنه
كان يقوم بتسهيل نشر الشيوعية (ودليله على ذلك أن قام أحمد
الشقيرى بزيارة بكين ، وأعلن تأييده للسياسة الصينية وتحدث
عن ارسال بعض المجندين فى جيشه الى فيتنام بهدف التدريب على

(٣) بعد عدة أشهر ادعى مصدر أمريكى أن الطائرات المطلوبة تم
تسليمها للأردن ، ولكن الجمهورية العربية المتحدة اتهمت الأردن فى مارس ١٩٦٧
بالاستيلاء على الأموال العربية الخاصة بإنشاء سد المخيبة على نهر اليرموك ،
واشترت بها طائرات أمريكية ولهذا أعلن ممثل الأردن أن مدفوعات مجلس
الدفاع العربى كانت ٣٦ مليون دولار ، وأن مساعدة مصر فى هذا المبلغ كانت
مدفوعة بالعملة المصرية التى لا قيمة لها .

حرب العصابات) وفيما بعد أعلن الملك فيصل توقف مساهمة
العربية السعودية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وأوضح أحمد الشقيري أن الهدف من تدريب الفلسطينيين في
الجيش الفيتنامي هو اكتساب الخبرة ، فضلا عن مساهمة الجيش
الفيتنامي في تحرير فلسطين بعد تحرير فيتنام ، ولكن في ١٤ يونيو
أعلن الملك حسين على الملأ انتهاء كل تعاون مع منظمة التحرير
الفلسطينية ، وأعلن الشقيري والزعماء السوريون أن تحرير الأردن
أولا من الملك حسين يأتي أمرا ضروريا وخطوة أولى لتحرير
فلسطين .

وكانت الجمهورية العربية المتحدة ترقب الأحداث التي شهدتها
المنطقة العربية ، وبرغم تقارب العلاقات المصرية الأردنية ،
فإن التزامات عبد الناصر القومية كانت تحتم عليه الوقوف بجانب
منظمة التحرير الفلسطينية بنشاط ملحوظ ، وكان لها دور إيجابي
في مواجهة التحرشات الإسرائيلية عبر الحدود المشتركة ، وأصبحت
منظمة التحرير الفلسطينية قوة سياسية بجانب أنها قوة عسكرية
وذلك بفضل المساعدات المالية التي كانت تقدمها دمشق للشقيري
رئيس المنظمة .

وبرغم ما ساد المنطقة العربية من توتر فإن مصر استمرت
على موقفها دون حدوث أي تغيير ، وإن كان موقف الملك حسين
ضايقها كثيرا نظرا لتذبذبه من جانب إلى آخر ، حيث كان يظهر ميله
إلى محور الملك فيصل بعد أن وقع على قرارات مؤتمر القمة
الإسلامي ، ولقد سمحت مصر لإذاعة صوت فلسطين أن تبث
برامجها وتصريحات أحمد الشقيري من خلال الإذاعة المصرية .

صبرت السلطات المصرية طويلا على موقف الملك حسين
واستمر الوضع هكذا حتى أول سبتمبر ، وأعلن عبد الناصر في

٢٣ ديسمبر بعد طول انتظار أن موقف الملك حسين مثل موقف الملك فيصل وكذلك الحبيب بورقيبة ، وأنه على استعداد لبيع القضية العربية بنفس الطريقة التي باع بها الملك عبد الله عام ١٩٤٨ فلسطين (والملك عبد الله هو جد الملك حسين والذي عقد مفاوضات سرية مع الاسرائيليين قبل دخول الجيوش العربية أرض فلسطين عام ١٩٤٨) .

وفي خطاب لعبد الناصر يوم ٢٣ ديسمبر عام ١٩٦٦ أعلن :
(ان الملك فيصل أعلن عن قيام التحالف الاسلامي بالهام من أمريكا في مواجهة القومية العربية ، وأن الملك حسين هز ذيله عرفانا بفضل أمريكا عليه) كما أعلن عيد الناصر بعد ذلك بشهرين بقوله :
(ان ملك الأردن الفاجر ... الفاسق ...) وقد احتجت الأردن على مثل هذا الهجوم الشديد ، وقطعت علاقاتها به صر فوراً وسحبت بالتالي سفيرها من القاهرة .

* * *

٣ - التحالف السوري المصري :

حدث تقارب قوى بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ، وهما النظامان الثوريان المتنافسان ، وهذا التقارب يعد تطوراً له أهمية عظمى ، لقد كان موقف القمة العربية يكره حزب البعث السوري بهدف عزله عن العالى العربى . وكانت مصر حقيقة تنزع هذا الاتجاه ، فقد كان الهدف من الصداقة بين عبد الناصر وفيصل والحسين هو محاصرة حزب البعث فى مجال السياسة العربية ، كما كان هدف حزب البعث كذلك هو التقارب مع الأنظمة الثورية ليس من الناحية الايديولوجية إنما أيضاً من الناحية السياسية ، الأمر الذى أدى الى التقارب بين النظم الملكية : الأردنية والسعودية .

ونتيجة لتباعد الأنظمة الملكية من النظام الثورى المصرى ،

حدث تقارب قوى وسريع بين حزب البعث السورى ، والقاهرة ، وذلك لاصباح الشرعية على نظامهم فى سوريا ، هذا التقارب المصرى السورى أدى الى لقاءات قمة بين مصر وسوريا ، وهذا أدى بالتالى الى المساواة بين الجانبين ، على عكس ما كان عليه الموقف بين الدولتين منذ سنوات قريبة . وفى هذه الأثناء ساد مبدأ بين الزعماء العرب الثوريين أن تكون المشاركة على أساس المبدأ الذى أقره المتحالون وهو « من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته » .

ومما هو جدير بالذكر أن زعماء حزب البعث السورى والعراقى اقترنا خطأ فادحا دمرا أثناء مفاوضات الوحدة ، انهما كانا يصران على اعلان وحدة اندماجية بدلا من قيام تحالف ثلاثى بسيط فى بداية الأمر الذى كان يشغل بال وفكر عبد الناصر ، ويسأل لماذا هذا الاصرار العنيد ؟ فى وقت لم يكن يستطيع فيه أن يتبين من الذى كان يحكم سوريا والعراق ؟ ظل هذا الخاطر يخامر فكر وبال عبد الناصر طوال محادثات الوحدة فى القاهرة .

وفى دمشق سلم ميشيل عفلق وصالح البيطار وآخرون وهم الذين تفاوضوا فى القاهرة ، مقاليد الزعامة الى عصيبة اصدقاء أمين الحافظ ، ولم يختفوا من الساحة ، واستبقى ميشيل عفلق لحالة معنوية باعتباره أكبر رجل فى دولة لحزب البعث ، لقد نصب البيطار كرئيس للوزراء ، وكان منيف الرزاز يدير شئون الحزب ، وبقي الثلاثة فى وفاق تعاونى مع أمين الحافظ ، ومادام عفلق والبيطار فى الساحة فقد استمر تقارب الحكومة السورية مع القاهرة كرمز للوحدة السورية المصرية ، وبسبب عقدة الذنب مهم يشعرون نحو عبد الناصر بالود والصداقة ، وأنهم لا ينبذون الفكرة كلية ، وهذا ما حاول تأكيد كل من أمين الحافظ ، ونهد الشاعر ، ومحمد عمران وضباط آخرون .

ونكن الملاحظ أن هؤلاء كان بتحداهم مجموعة أخرى من ضباط ومدنيين أقل كثيرا منهم في السن ، ولم يشاركوهم في الظروف التي مروا بها ، وهؤلاء تحركوا وهم ذوو ميول مختلفة أيديولوجيا ولهم طموحاتهم الشخصية ، بعضهم كانوا أعضاء في اقلية دينية من العلويين والدروز ، الذين يسكنون في المناطق الفقيرة . وفي أقاصى سوريا ، وكان أكثرهم ظهورا شخصيات مثل صلاح جديد ذلك الرجل الغامض المنافس لزميله « علوى عمران » الذى تمكن من إزاحته كرئيس للهيئة في ديسمبر ١٩٦٤ ، وكان أكبر المدنيين الجديرين بالذكر ثلاثة أطباء بشريين ، كلهم في منتصف الثلاثينات وهم : نور الدين الأناسى وإبراهيم ماخوس ويوسف زعين ، وهؤلاء الثلاثة تحلوا بالصبر إزاء تصرفات أمين الحافظ ، وحدث تقارب مع صلاح الدين البيطار فيما يتعلق بالشئون العربية وهؤلاء قد القوا باللوم على أمين الحافظ نظرا لاستعدادة لحضور مؤتمر القمة العربية الذى دعا اليه المصريون وذلك بدلا من سياسة الضغط السياسى من أجل الكفاح لخوض حرب ضد إسرائيل . وكان البعثيون في سوريا لا يقدررون تجربة عبد الناصر في مصر ، ولو ان أعضاء البعث السوري لم يطبقوا نظام التأميم الذى طبق في مصر ، لأن المسألة لم تكن واضحة أمامهم خاصة لكل من ميشيل عفلق والبيطار حيث كان شاغلهم الوحيد هو تطبيق أيديولوجية البعث على الوحدة العربية ، ولهذا فإن هذه الوحدة — في نظرهم — ماركسية ، اجتماعية ، راديكالية ، ومن هنا نشأ الصراع الطبقي (٤) .

(٤) لقد تضايق الجناح الماركسى لحزب البعث ، وخاصة عند نشر مقالات صلاح الدين البيطار في صحف البعث في دمشق ، وبيروت ، التى هاجم فيها بشدة مفهوم من الثورة الاشتراكية ، والوحدة العربية ، وأعلنوا ان الماركسية ليس لها مكان في العالم العربى « مقتبسة من صحيفة الاهرام في ١٦ أكتوبر عام ١٩٦٥ » .

ولأشهر مضت من عام ١٩٦٥ شاركت هذه المجموعة في السلطة بشيء من الصعوبة مع أصدقائهم في مرحلة الدراسة ، وأصبح زعين رئيسا للوزراء ، كما عين الماخوس وزيرا للخارجية ، والأتاسي عضوا بمجلس الرئاسة وترك منصبه كرئيس للهيئة ، ولقد اكتسب الحزب العسكري غالبية مناصب القيادة الاقليمية السورية لحزب البعث واصبحت القيادة الوطنية - بأعضائها السوريين وغير السوريين - تحت زعامة الرزاز ، وبقيت هذه المجموعة متعاطفة مع أمين الحافظ وهم الذين اداروا ظهورهم لمبادئ حزب البعث ، وكانوا يستقلون مناصبهم لقضاء مصالحهم الشخصية^(٥) وكان من الصعب عليه أن يتعرف على أحد من أصدقائه القدامى ، وقد أعلن الاتهامات الموجهة اليهم ، الأمر الذي أدى الى مواجهة مكثوفة بين الفريقين المتناحرين ، كما أعلنت القيادة القومية حل القيادة الاقليمية ، حتى صدور اشعار آخر ، وأخذت على عاتقها الاشراف على الحكومة السورية ، ولا شك أن هذا المسلك أدى الى استقالة حكومة زعين ، وحل بدلا منه أمين الحافظ كرئيس للوزارة ، ولكن سرعان ما أسندها الى صلاح البيطار ، وأعيد صلاح جديد (وهو خصم قديم لمحمد عمران) من منفاه بأسبانيا ليتولى وزارة الدفاع وأصدر البيطار بيانا يدين فيه - على وجه الخصوص - التدخل العسكري في السياسة ، وذهب محمد عمران سرا الى القاهرة لاجراء محادثات مع عبد الناصر حول تقارب البلدين^(٦) .

لقد ساهمت الاتهامات التي وجهت للضباط ، وكذلك عودة الضباط الفجائية الى عدم الرغبة في تولي المناصب العليا في

Al-Jaridan

(٥) نشر نص حديث ميشيل عفلق في صحيفة الجارديان

في ٩ يناير عام ١٩٦٦ .

(٦) نشر النص في صحيفة الأحرار بتاريخ ٥ يناير ١٩٦٦ .

الجيش ، لأن شعبية أمين الحافظ كانت في تدهور مستمر من جراء تلك المعارك مع مجموعة الضباط . التي لا طائل منها والتي استمرت لمدة عامين .

وعلى ضوء تاريخ سوريا فيما يتعلق بالانقلابات العسكرية التي حدثت منذ عام ١٩٤٩ ، ينادر الى الذهن ، مدى استطاعة أي زعيم أن يكون له تأثير واسع النطاق في صفوف القوات المسلحة من عدمه ، فمنذ عام ١٩٤٩ حتى ٢٣ فبراير عام ١٩٦٦ شهدت سوريا تسع حكومات متتالية ، وفي آخر انقلاب تم هدم بيت أمين الحافظ بالمدفعية ، كما لقي عدة مناصات حنفهم في شوارع سوريا ، كما تم القبض على أمين الحافظ ، وكذلك على صلاح البيطار ، وميشسيل علق ، وعمران ، والرزاز وآخرين ، كما عاد الأطباء الثلاثة الى مناصبهم .

كما أصبح نور الدين الأتاسي رئيسا للدولة بدلا من أمين الحافظ ، كما تولى منصب رئيس أركان الجيش الجنرال جديد ، كما نصب شخص غير معروف وزيرا للاتصالات ، كما سمح لخالد بكداش بالعودة الى سوريا من أوروبا الشرقية لأول مرة منذ غادرها في عام ١٩٥٨ .

أما فيما يتعلق بالجنرال جديد فقد نصب نفسه سكرتيرا لرئاسة حزب البعث الوطني الاقليمي ، ومعروف عنه أنه العقيل المدبر للانقلاب العسكري ومن الملاحظ أن القيادة الوطنية توقفت عن العمل مع مرور الوقت .

ومن الملاحظ أنه منذ أخرج حزب البعث منافسيهم الناصريين من الحكومة والجيش عام ١٩٦٣ ، اقترح بعض المعلقين أن سوريا اكتسبت نظاما ثابتا وحكما مستقرا ، وبعد كل هذه

الأحداث أصبح لا يوجد على الساحة سوى حزب البعث السوري، والعيب في هذا التحليل أن البعث لم يكن متماشيا ، فالمدنيون كانوا تحت رحمة العسكريين . فالشعور بعدم الثقة والاستقرار هو السمة السائدة بين كل الأطراف . فبعد ستة أشهر قاد ضابط يدعى سالم حاتم حملة عسكرية على بيت أمين الحافظ ، وقام بمحاولة انقلاب ضد الرجال الذين ساعدتهم ليتولوا السلطة، إلا أنه فشل وهرب إلى الأردن ، وهناك ندد بالنظام الجديد في دمشق ووصفه بأنه جبهة للشبوعيين (وفي حرب عام ١٩٦٧ عاد سالم حاتم إلى دمشق ، وتم القبض عليه بعد ادانته بالخيانة) .

لم يكن الانقلاب الذي حدث في فبراير هو الذي أبعاد مؤسسي حزب البعث عن السلطة في سوريا فقط ، إنما ساهم هذا الانقلاب في زعزعة مكانة الحزب في الأقطار العربية ، وجدير بالذكر أن جبران المجدلاني العضو الحاكم في لبنان كان موجودا في دمشق لكي يحضر اجتماع القيادة القومية ، ولكن حدث انقلاب فبراير ، وتم القبض عليه باعتباره مؤيدا للنظام القديم ، كما تم القبض على زعماء الحزب بتهمة القيام بنشاط غير قانوني (٧) .

كذلك استنكر حكام سوريا الجدد القضاء الحكومة اللبنانية القبض على الذين انتقدوهم ، على أساس أن النزاع كان نزاعا أخويا داخل الحزب ، ودون جدوى بحثت السلطات اللبنانية إطلاق سراح جبران المجدلاني ، ولكن تمكنت الحكومة السورية من القضاء القبض عليه بواسطة اللبنانيين الموالين لهم ، وظل معتقلا في دمشق لمدة عام دون تهمة محددة .

(٧) لم يكن لدى الحكومة اللبنانية أي تعاطف خاص بقيادة الانقلاب ، ولا ادانة صامدة للانقلاب اللاقانوني في حد ذاته . حزب البعث اللبناني كمنظمة غير مصرح بها ، ومناقض للقانون بالتدخل علنا تحت لافتة حزبهم .

وجدير بالذكر أن كلا من ميشيل عفلق وصالح الدين البيطار تمكنا من الهروب الى بيروت ، كما أن القائمين على الانقلاب احتقروهما نظرا لاستمرارهما في احتضان مبادئ الوحدة العربية والتمسك بشعاراتها وتقريبهم من ذلك الرجل القابع في القاهرة (يقصد الزعيم عبد الناصر) الذي أذلهم في محادثات عام ١٩٦٣ ومع هذا فإنهم الآن ينقدون لبناء روابط تكون أكثر تقاربا مع مصر منذ حدث الانفصال عام ١٩٦١ ، ان هذا يعد وهما في نظر قادة الانقلاب .

لم يكن الزعماء السوريون الجدد مهتمين بضم الوحدة العربية ، من أجل قيام الوحدة في حد ذاتها ، بل كانوا تواقين أكثر من أسلافهم لكي يروا نهاية مرحلة التعايش السلمي مع هؤلاء الرجعيين ، ولن يترددوا في محاولة لدفع مصر الى قيام تحالف ضد الرجعيين ، فان احدى خططهم كانت محاولة دفع قضيتة الشقيري ومنظمة التحرير الفلسطينية ضد الملك حسين ، كما كانوا يحاولون مساعدة النظام القائم بالعراق ، ولو أن هذا المسلك سيسبب المشاكل للقاهرة ، إذ لم تكن استراتيجية القائمين على السلطة هناك أن ينتهجوا سياسة تتفق مع سياسة عبد الناصر .

والجدير بالذكر أن عبد الناصر استجاب — بحذر شديد — واستقبل في خلال شهر يونية عام ١٩٦٦ وزير الخارجية ماخوس ، ووافق عبد الناصر — بعد هذه المقابلة — على تبادل التمثيل السياسي والدبلوماسي بين القاهرة وسوريا ، وبعدها سافر وزير الخارجية المصري محمود رياض ، الذي عمل سفيراً لمصر في سوريا قبل اعلان الوحدة عام ١٩٥٨ ، وتعد هذه أول زيارة رسمية لسوريا قام بها مسئول مصري منذ قيام الوحدة ، وفي هذه الاثناء كان السوريون يسعون الى إلغاء القمة العربية المزمع عقدها

بالجزائر في سبتمبر ، الأمر الذي دفع الرئيس عبد الناصر الى الاعلان في ٢٢ يوليه بأنه لن يكون لديه رغبة في عقد اجتماع مع الرجعيين ، حتى يغيروا أسلوب سياستهم .

ان السوريين مازالوا يضغطون أكثر ، وذلك بتشجيع الفارات التي يقوم بها الفلسطينيون ، بهدف توريط جيشهم في مفاوضات عسكرية مع الاسرائيليين على طول خط الهدنة ، ومن ثم فقد ساد المنطقة قلق وتوتر نتيجة هذا الطيش السوري غير المحسوب .

وبما ان عبد الناصر لم يمد قادرا على حنادة الرؤساء العرب عقد قمة عربية ، غاته دعا رئيس الوزراء السوري زعيم لزيارة القاهرة في ٧ نوفمبر ، ووقع معه معاهدة دفاع مشترك ، وذلك في ظل عودة العلاقات السياسية بين البلدين منذ حدوث الانفصال .

* * *

٤ - العراق :

كان من الضروري على العراق أن تحتوى الهجوم السياسي على سياستها ، كما كان عليها أن تساند السياسة المصرية لتتمتع بتأييد الجناح اليساري القوى في العراق .

والجدير بالذكر أن الجزائر كانت تلعب نفس الاتجاه سابقا ، ولكن في الوقت الحاضر فاتها تلعب دورا هامشيا بعيدا عن الأحداث ، فقد كانت الاطاحة بأحمد بن بيل في يونيو عام ١٩٦٥ ضربة للنفوذ المصري وكان من الطبيعي — على الجانب الآخر — ان يرشح العراق لهذا الدور ، فهي من الناحية

الاستراتيجية تقع على طول الجانب السوري ، هذا بالإضافة الى ثلاث دول أخرى ، وسكانها كثيرو العدد ، ولها جيش كبير الى حد ما وبعد اعدادا جبدا . هذا بالإضافة الى دخل بترولي معقول ، ولكن من الناحية غير المباشرة ، فان انهيار القمة كان راجعا في جزء منه الى غشل العراق في تنفيذ هذا الدور ، تاركة النظام المصري بين الراديكالية في دمشق والنظام المحافظ في كل من الرياض وعمان .

لقد كان العراق مجالا منبوحا لاطموحات والدسائس المتنافسة منذ سقوط النظام القديم عام ١٩٥٨ بإزاحة حزب البعث، ففي نوفمبر ١٩٦٣ تحرك الرئيس عبد السلام عارف ليقيم صداقة حميمة مع القاهرة ، ويضع سنون الدولة في بغداد في أيدي تحالف قوى من الضباط والمدنيين . ويعهد السهم بالحفاظ على هذا التشكيل الذي كان بمثابة حجر الزاوية في سياسة العراق العربية ، ومع ذلك فقد كان وراء هذا المبدأ مجال فسيح لانفتاح أيدولوجي ، ومحنة من أجل الاستحواذ على السلطة خاصة فيما يتعلق بالمسائل الداخلية التي استمرت في العراق ، وكان لابد من مواجهتها .

لقد استنفدت ثمرد الأكراد الذين يعيشون في المناطق الشمالية من العراق كل اهتمامات الجيش العراقي ، وقوض هيبة الحكومة منذ عام ١٩٦١ ، كما استنفدت ثمرد الأكراد الموارد الاقتصادية ، في وقت كانت فيه العلاقات العراقية مع تركيا وإيران الجارتين اللعربيتين — اللتين تمتد الأكراد عبر حدودهما — غير مستقرة .

وفي مايو عام ١٩٦٤ وافقت الحكومتان : المصرية والعراقية ، والجمهورية العربية المتحدة أن تكونا اتحادا لمدة عامين ، وبمرور الوقت ضاع هذا الهدف وأصبح في طي النسيان ، لم يكن لعدم الثقة أو التنافس ، مثلما حدث من قبل وجعل العلاقات المصرية

السورية تنقسم بالقلق والتوتر ، ولكن الملاحظ أنه بسبب عدم تحقيق الاستقرار السياسى داخل العراق ، وأيضا لأن الاحتياجات العسكرية كما كان يفهم عبد الناصر جيدا ، يعمل أن من الصعب للغاية تنسيق المؤسسات الكبرى ، وعلى الجانب السياسى قدمت ميثاقا لتشكيل اتحاد اشتراكى عربى عراقى ، وهو منظمة تحل محل الأحزاب الموجودة على نمط الاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ، ولكن لم يكسب لهذه الجهود أن تتقدم كثيرا ، إذ لم يستطع النظام الاقتصادى الجديد أن يدار بفعالية ، وذلك لنقص فى الخدمة المدنية الكافية ، وعلى هذا فشل الاتحاد الاشتراكى العربى لأنه لا يوجد توافق بين الأحزاب المختلفة سياسيا ، ولنا نحو البيانات الأساسية ، ولأنها صدرت عرقبا من سلطة عابثة خلال رجال عسكريين بفتورون إلى الحساب التنظيمى مع السياسيين المدنيين .

لقد أعلن وزير شئون الوحدة فى تعليق له عن العجز فى مواجهة جدل العاملين : أن العقبة الأساسية هى فشل الاتحاد الاشتراكى العراقى أن يكون له جذور ، وفى رأيه أن هذا الفشل يعزى إلى المفاهيم المختلفة للاشتراكية .

وأضاف إلى قوله : « بالنسبة لبعض المجموعات ، فالاشتراكية تعنى العدالة الاجتماعية ، بينما بالنسبة للآخرين تعنى الاشتراكية الماركسية متضمنة كل قوى الإنتاج والتجارة ، وتحت هذا المفهوم للاشتراكية فإن الدولة يجب أن تستولى على كل ثروة البلاد » .

كان الرئيس عبد السلام عارف رجلا محافظا ، وأكثر وضوحا من عبد الناصر فى مثل هذه الأمور حينما أعلن عبد السلام أن « القومية العربية يجب أن تقوم على السلام ، أن مبادئنا تنبثق من تقاليدنا ، أننا لن نأتى بالجديد منها » .

حاول عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء من سبتمبر عام ١٩٦٥ الى أغسطس ١٩٦٦ والمدنى الوحيد الذى رأى منذ عام ١٩٥٨ أن طبق حلولا معتدلة لمشاكل البلاد مع التأكيد بالأى إلى مزيد من شرارات التأميم مع اتخاذ موقف تصالحى نحو تمرد الأكراد وعلاقات متطورة مع جيران العراق ، ليس مع الدول المحافظة : ايران وتركيا والكويت والسعودية والأردن ولكن أيضا مع البعث السورى ، وأيضا مع الجمهورية العربية المتحدة وحدث تقارب بطيء نحو وحدة مصرية عراقية معروضة .

كان عبد السلام عارف يؤيد هذه السياسات ، وبعد وفاة الرئيس عارف فى حادث طائرة هيلابوكتر فى أبريل عام ١٩٦٦ تلاه فى منصبه أخوه الجنرال عبد الرحمن عارف ، وكان جل اهتمام البزاز الرئيسى أن يضع نهاية للحرب الكردية ، فالشروط التى قبلها الأكراد فى يونيو عام ١٩٦٦ لم تتضمن المطالب الاساسية من أجل حكم ذاتى ، حتى ان البزاز كانت لديه حاسسة طيبة ليقدم ضمانات لنواياه الطيبة (وفى ١١ نوفمبر وبعد ثلاثة اشهر سلم البزاز مكتبه الى جنرال آخر ، وقد احتج الزعيم الكردى بأن تأكيدات البزاز لم تكن كافية ولم تحقق الشرف والكرامة ، وأن التاريخ هو الذى سيحكى عما اذا كانت المشكلة الكردية فى طريقها الى الحل ، أو بعبارة أخرى كانت بمثابة نار بلا لهب . . نار من تحت الرماد) .

وبرغم السياسات التى مارسها اخوان عبد الرحمن عارف والبزاز ، والتى كانت تنفهمها القاهرة ، عاشت العراق مرحلة مأساوية ، اذ قام عارف عبد الرزاق فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٦٥ — أى بعد عشرة أيام من تنصيبه رئيسا للوزراء — بالسعى الى خلع عبد السلام عارف من الرئاسة تحت شعار الوحدة القومية

مع مصر ، بينما كان عارف في كازابلانكا يحضر مؤتمر القمة ، وعلم شقيق الرئيس عارف بهذه المؤامرة ، مما اضطر عبد الرزاق الى الهروب للقاهرة ، ولكن لم يسمح له بالبقاء فيها ، واضطر للعودة ثانية الى العراق حيث حاول القيام بانقلاب آخر ، وتم القبض عليه ، ووضع في السجن ، وقد كان من المشكوك فيه ان تكون للقاهرة يد في مثل هذه الحماقات والمؤامرات ، وشهدت العراق مرحلة من التوتر والقلق ، فلقد استنكر عبد الرحمن عارف تمرد عبد الرزاق وطيشه وعدم تقديره للأمور .

أما في دمشق — في هذه المرحلة — حيث تمكن مجموعة من الشباب الفوضويين من القفز الى السلطة في شهر فبراير ، مما شكل عقبة أمام النظام القائم في العراق ، حيث طلبت الحكومة السورية من شركة البترول العراقية المملوكة للغرب ان تدفع مبالغ كبيرة كضرائب لاستمرار الامتياز من أجل ضخ البترول في أنابيب عبر سوريا من شمال العراق الى البحر المتوسط ، ورفضت الشركة مثل هذه المطالب ، وفي ديسمبر عام ١٩٦٦ أغلقت الحكومة خط الأنابيب ، فسوريا تدرك يقينا أنه لا يمكنها ان تتحمل المخاطرة بمبلغ ٢٨ مليوناً من الدولارات في العام كضرائب امتيازات ، والشركة ستعوض مثل هذه الضرائب بزيادة الانتاج ، ومن المعروف ان حوالي نصف انتاج العراق يعتمد على خط الأنابيب ، وكانت قيمة الضرائب المقررة ٢٥٠ مليون دولار سنوياً .

ان مثل هذه المطالب السورية تشكل ضغطاً اقتصادياً وسياسياً على بغداد ، مما قد يدفع النظام القائم في العراق الى القيام بأعمال عنيفة ضد العناصر الراديكالية أو تأميم شركة البترول وكان على الحكومة العراقية ان تختار بين أمرين كلاهما صعب : التأميم أو الانهيار ، وتم توخى هذا ، ففي ٢ مارس عام ١٩٦٧

توصلت سوريا وشركة بترول العراق الى مساوية مرضسية ، اذ قدمت شركة بترول العراق تنازلات ضخمة الى سوريا لتنتهى الازمة القائمة فى بغداد ، وقدم السوريون كذلك تنازلات ، « ولكن ليس من أجل سواد عيون النظام العراقى » بل ربما كانوا يرغبون فيما هو أكثر من الأموال ، ولو ان هذه المسألة كانت محل أخذ ورد لأنها برغم أهميتها فقد كان السؤال الملح هو : هل النظام السورى استسلم للنظام المصرى المعتدل ، أو للنظام الاتحاد السسـوفيتى المتشدد ؟ ، ولو كان هذا قد حدث فكيف تم اقناعهم به ؟ .

هـ - حرب الأيام الستة :

بحلول الأشهر الأولى من عام ١٩٦٧ كانت الدول العربية تعيش حالة من الفوضى والقلق والنوتر ، وكان اجتماع مجلس جامعة الدول العربية فى منتصف شهر مارس دون أن يتوصل الى أى قرار ، الا قرارات حادة بالشجب والاستنكار وكذلك التهديد والتشهير بالتفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة ، وهكذا لم يعد أى تأثير لمؤتمرات القمة العربية ، فحتى الآن لم يتم استغلال روافد نهر الأردن وكذلك انشاء القيادة العسكرية الموحدة ، هذا بالإضافة الى عدم انشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، كل هذا بسبب نقص التمويل المالى والامتناع الى التعاون : حيث ان الأردن والسعودية تقاطعان اجتماعات مجلس دفاع جامعة الدول العربية ، وارتفعت الاصوات الكثيرة بضرورة طردهما من عضوية مجلس جامعة الدول العربية ، كما أبدى كثير من الأعضاء (ليبيا والسودان ولبنان والكويت وكذلك العراق) استياءهم الشديد من الانشقاق الأيديولوجى الحاد بين القاهرة ودمشق وصنعاء .

وعلى هذا تحالفت عمان والسعودية ، معتقدين ان الشقاق لن يسبب لهم ضررا ، كما فضلوا أن تظل العلاقات طيبة مع كل الأطراف ، وكرهوا الضغوط عليهما لنحازا الى الاغلبية ، وعلى هذا استمر الطعن والنشهر الابدولوجي الذي يمارسه السوريون وكذلك عمليات التخريب التي يمارسها المصريون ، كما اعتبرت العراق - في نظرهما - دولة محررة بواسطة الجمهورية العربية المتحدة ، وليس بواسطة سوريا ، في وقت كانت فيه لبنان بؤرة للمؤامرات والدسائس ، بينما كانت الحكومات في كل من ليبيا والسودان والكويت ذات أنظمة متهمزة .

لم يكن سببا أن نتدخل في أوائل مايو عام ١٩٦٧ أن درجة التوتر المتصاعده في منطقة العالم العربي يمكن أن تؤدي الى نوع من اندلاع العنف العسكري ، لقد كان النزاع بين كل من السوريين والمحافظين العرب قد وصل الى أقصى درجات التوتر ، في حين بدت المعركة التقليدية ضد إسرائيل على هامش الأحداث ، ونجاة ظهرت إسرائيل على مسرح الأحداث في الأسبوع الأول من شهر يونيو عام ١٩٦٧ ، وكان الأمر يبدو كأنه كرة قدم بالنسبة للعرب ، ركلات يقوم بها السوريون الساخطون ، وعندئذ ترد الكرة مرة أخرى عن طريق عبد الناصر ، وبالطبع اتخذ الإسرائيليون لأنفسهم وجهة نظر مختلفة الى حد ما ، لقد أصبح الموقف العربي بمثابة ركلات لاعبي كرة القدم ، وكان لعبد الناصر مواقف أكثر أهمية يقوم بها ، بدلا من شن حرب ضد إسرائيل ، فقد أعلن مرات عديدة : أن تحرير فلسطين لا بد أن ينتظر الى وقت آخر حتى ينتهي من تحرير الدول العربية ، ومن أجل نشر النورة الاشتراكية وأيضا من أجل اعداد الجيوش العربية ، لقد أثار كثيرا من القضايا لدرجة أن نارت الشكوك في أنه سيتوى في وقت ما على تحرير فلسطين ، وعلى أية حال لم يكن عام ١٩٦٧ من أجل هذه الحرب ، فكبير من جيشه قد

تمزق وتلطح في وحل اليمن ، وخزائنه خاوية الوفاض ، ويتكاثر عليه الانجليز والأمريكان بجانب الملوك العرب ، في وقت كان شاغله الأول فيه أن يؤمن قاعدته الأساسية : مصر والمشاركة السوفيتية بجانب زعامته لليسار العربي .

حتى علاقة عبد الناصر مع اليسار أصبحت مهددة ، إذ تقجرت مشاكل عديدة جعلت التحالف بين عبد الناصر والبعثيين متوترة للغاية ، فبدلاً من ردعهم من استفزاز إسرائيل ، نجده يشجعهم بالتصدي للتهديدات والاستفزازات الإسرائيلية ، ويحرضهم بالانتقام ، ففي هذه الحالة لو أن عبد الناصر حاول أن يعوق إسرائيل ويتصدى هو بنفسه ، فانه بذلك يخاطر بشم الحرب ، ولو ترك السوريين بدون حماية ، ففي هذه الحالة قد كثف نفسه أمام العرب بأنه غير جدير بالثقة ويكون بهذا غير ثابت في عزمه ، ولا يوجد أي رصيد عملي لكلامه ، ومن ثم يكون عاجزاً عن تقديم الحماية لسوريا .

لقد اختار عبد الناصر طريق المغامرة التي لم يحسب لها أي حساب ، فكان عليه أن يتخلص من قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة والمتمركزة في شبه جزيرة سيناء ، ويعد أن نفذ هذه الخطوة كان لابد أن يتخذ الخطوة التالية ، وهي فرض الحصار ضد الملاحية الإسرائيلية في شرم الشيخ ، التي كانت تمثل نقطة ضعف في موقف عبد الناصر من إسرائيل ، وهو التنازل الوحيد الذي أجبر عليه كنتيجة من نتائج حرب عام ١٩٥٦ وهذا ما كان يعيره به الأردنيون وكذلك السعوديون ، أنه لن يجرؤ على تنفيذ مثل هذا العمل .

ولكن الأحداث تطورت ووصل بها عبد الناصر الى مدى بعيد ، ومن الصعوبة بمكان أن تحدد ماذا كان هدفه الأول ؟ وبذلك ذهب

عبد الناصر في موقفه فيها وراء البصدي لاسرائيل ، فقد كان
أحراز نصر سياسي على اسرائيل أمرا ميسورا ، وبعدها يتلقى
التهنئات والتصفيق والتأييد من قبل العرب جميعا .

ولكن من الملاحظ أن عبد الناصر لم يبدأ بمواجهة اسرائيل
انما بدأ بمواجهة سوريا ، التي بدأت تعبىء الشعب من أجل معركة
التحرير ، ومما يلفت نظر المراقبين السياسيين أنه رغم مضي
أكثر من عشرين عاما في مناورات حسرية عربية سواء
كانت داخلية أو خارجية ، فإن توجهه السياسي كان يسعى
نحو التخلص من ملكي الأردن والسعودية أكثر من اشتغاله بحرب
اسرائيل أو النحرش بها ، وكانوا نواقين الى أن يتأكدوا أن
عبد الناصر سيصعد الحرب ضدّهما ، أو على أقل تقدير استمرار
الحرب الاعلامية ضدّهما ، وعندما أمد السوريون الفدائيين
الفلسطينيين بقاعدة عمليات عسكرية داخل أراضي سوريا ،
كانوا يعلمون أن الملك حسين كانت لديه مخاوف أكثر من
اسرائيل ، وخاصة عندما تقدمت حرب العصابات نحو اسرائيل
عن طريق حدود الأردن ، واضطرت اسرائيل في نوفمبر عام
١٩٦٦ الى القيام بعمل انتقامي بأرى ضد قرية أردنية تقع على
الحدود ، لقد اجتاحت الضفة الغربية موجه من الهياج والثورة ،
واحتج سكانها الفلسطينيون على مدى ضعف الجيش في مواجهة
اسرائيل .

وقد أعلن السوريون وبعض الفلسطينيين أن الطريق الى
تل أبيب يمر من خلال عمان . وفي أواخر مايو عام ١٩٦٧ تفجرت
عربة محملة بمتفجرات مهربة من سوريا عند محطة أردنية تقع
على الحدود ، وترتب على ذلك أن لقي عدد كبير حتفه . وما استفز
الحكومة الأردنية وكانت النتيجة قطع العلاقات الدبلوماسية مع

دبشقي ، هذا مجرد مثال ليدل على نوع المعارك التي كانت سوريا تريد أن نخوضها في ذلك الوقت .

لقد كانت اهتمامات الملك حسين دفاعية بطريقة ايجابية وعندما طار نجاة الى القاهرة في ٣٠ مايو لبوقع على التحالف مع عبد الناصر ، فقد صادق على منطلق عبد الناصر وسياسته ، وبهذا تم تسف الميثاق الاسلامي ، وأقنع الملك حسين عن مشاركة الملك فيصل ، فقد غبر موقعه وموقفه بسرعة هائلة . ولكن الملاحظ أن هذه سياسة مؤقتة ، ومربطة بالموقف المنازم ، ولم يكن هذا مطمحا مؤكدا له . برغم نجاح موقف عبد الناصر ضد اسرائيل ، فإنه لم يكن مدينا بشيء للملك حسين ، وفي بهجة الانتصار فإنه سيجد كفته أرجح .

ولكن الملك حسين لم يكن له مكان لكي يختبئ فيه ، فإنه لو لم بات لزراعة عبد الناصر ، فإن أي نجاح مصري على اسرائيل سينكره تحت رحمة أعدائه نهاما ، ولو أن لعبة عبد الناصر سارت الى الأسوأ ، ومن ناحية أخرى فإنه لا يزال أكثر أمانا لكي يظهر التضامن أكثر من أن يبدو راكبا على ذيل الحصان الاسرائيلي ، وبالطبع كانت حساباته خاطئة ، مكافأته على تحالفه هذا - غير المحسوب - حدثت بعد أسبوع باختفاء : بيت المقدس ، وبيت لحم وهاروت نابلس ، كل هذه المواقع اختفت من مملكته ، وأيضا دفع فبضان جديد من اللاجئين الفلسطينيين ، وترتب على ذلك حدوث مشكلة في الضفة الغربية ورغم ذلك فإن من النتائج أن تكون له سلوى أن لم تعد مصر اهتمام اسرائيل ، أو الجمهورية العربية المتحدة . لقد كبد نصر اسرائيل الملك حسين ضباع الضفة الغربية ولكن ربما يكون ذلك أفضل من ضباع عرشه ، أو بمعنى آخر فإن تقارب الملك حسين من عبد الناصر في هذا الوقت العصيب ، ربما يكون ذلك أنقذ عرشه من الضياع .

الفصل السابع

مخبر عبد الناصر وحسين والمقاومة الفلسطينية ١٩٦٧ - ١٩٧٠

- ١ - النقطة الفاصلة
- ٢ - حركة المقاومة الفلسطينية
- ٣ - مؤتمر الخرطوم
- ٤ - الأردن والفدائيون
- ٥ - حرب سبتمبر الأهلية
- ٦ - وفاة عبد الناصر وميراثه

من الملك حسين الى الرئيس عبد الناصر في

: ١٩٧٠/٩/٢٦

((اننا لم نفكر .. ولن نفكر في المستقبل في تصفية

المقاومة الفلسطينية التي نمت وترعرت تحت حمايتنا))

لقد كانت حرب يونية بمثابة صاعقة البرق التي حولت كل السياسات العربية الداخلية الى حطام .. لم يعد الزعماء العرب راكبي خيل في سباق من أجل السيادة والنفوذ في سلوكهم القديم الوافر ، لم يتبق لهم اليوم سوى ان يحملقوا في الحطام ، وبحاولوا أن يأخذوا شيئا عديم الفائدة من كارثتهم الشاملة ، لقد كانت في يثاعتها هزيمة عسكرية لمصر والأردن وسوريا ، امتد أثرها الى الأقطار العربية الأخرى بطريقة مؤثرة أيضا ، فعلى مر الأيام توقفت الزعامة المصرية فجأة عن أن تكون ذات طموح جامع ، وبالكاد فان لديهم منافسة على بقايا نفوذ حيث لم يتبق لهم أي نفوذ .

لقد فقدت النزاعات الأيديولوجية القديمة معناها ، وبعدها تمكن الاسرائيليون من هزيمة الناصرية المصرية ، وكذلك البعثية السورية ، والهاشمية الاردنية ، فهم قطاع عريض من العرب تم هزيمتهم بكل سهولة ، ففيما مضى كان طبيعيا أن يصبح عبد الناصر وحسين حليفين متقاربين .. الكل مشغول بنفس الاحتياجات : أن

يعيش وأن يسترد الأرض المفقودة . . ان العداوة التي بددتهم مؤخرًا ليست مناسبة تمامًا الآن .

ثم يكن عيد الناصر وحسين شريكين في الكارثة فحسب واتما شريكان بطريقة مذهلة في حظهما السعيد . . فرغم ما حدث فقد تمكنا ونظامهما أن يبقوا ويعيشوا . . وعانس النظام في دمشق كذلك ، رغم وجود ألف علامة استنفهام . . لماذا ؟ بل يجب أن يسقط في أية لحظة . . وأخيرًا حدث في نوفمبر عام ١٩٧٠ انقلاب آخر في دمشق ، حيث تمكن حافظ الأسد — وزير الدفاع — من الاستيلاء على السلطة وينتزعها من زملائه ، ولكن تلك قصة أخرى خارج نطاق البحث .

لقد حدثت تغييرات أخرى للنظم في أماكن أخرى الى حد كبير ، ولأسباب لها صلة بالحرب ، ففي يوليو عام ١٩٦٨ طارت كتيبة عسكرية الجنرال عارف ورفاقه في بغداد ، وأعاد أحمد حسن البكر ومجموعة أخرى من رفاقه البعثيين الى السلطة التي فقدوها عام ١٩٦٣ . (وهؤلاء يمثلون الجناح البعثي المعادي للحزب الحاكم في سوريا) واستمرت العلاقات السعودية العراقية متوترة . كما حدث في ليبيا في شهر سبتمبر انقلاب عسكري عام ١٩٦٩ ، وله أهميته الكبرى في تاريخ ليبيا ، حيث تم خلع ملك كبير السن ، الملك إدريس ، وأعلنت الجمهورية من خلال مجموعة من الثوريين العسكريين الشباب ، وكان النظام السابق هو بمنابة السياسة العربية الرزينة التي لا يكاد أن يكون لها وجود ، وحل محلها مجموعة مندفعة من الشباب العسكريين ، وفجأة أدرك كل انسان أن ليبيا تملك ثورة نفطية هائلة ، وبها عدد من السكان يتباعد ، ودولة لها حدود غير واضحة المعالم مع حدود الجمهورية العربية المتحدة ، كل هذا لكي تمهد الطريق لشسبه وحدة مع الجمهورية

العربية المتحدة والسودان وسوريا ، وان كان هذا الموضوع خارج نطاق خطة البحث أيضا .

وفي تلك الأثناء حدث في السودان انقلاب عسكري آخر في شهر مايو عام ١٩٦٩ قام به مجموعة من الضباط لهم سياسة راديكالية خاصة ، كما حدثت تغييرات أخرى في اتحاد الجنوب العربي السابق الذي منحته بريطانيا الاستقلال في شهر نوفمبر عام ١٩٦٧ ، وأطلق عليه اسم « الجمهورية الشعبية لليمن الجنوبي » وبمعددها بعمالين انشقت جبهة التحرر القومية الحاكمة الى شقين وأطيح بالحكومة التي كانت قائمة وقت ذاك .

وكان المصريون مهتمين للغاية قبل استقلال اليمن الجنوبي بالتأثير على مستقبلها خاصة بعد توريط أنفسهم بشدة في اليمن المجاورة ، ولكن جاءت حرب يمنية أخيرا لتضع نهاية لغامرة الخمس السنوات لعبد الناصر في اليمن ، وباتفاق مع الملك فيصل عاهل السعودية انسحبت آخر جحافل الجيش المصري من اليمن في نوفمبر عام ١٩٦٧ ثم تبعهم الفنيون المدنيون المصريون على عجل ، ولم يضيع اليمنيون الجمهوريون وقتا بعدها في تخليص أنفسهم من الرئيس عبد الله السلال رمز السيادة المصرية في اليمن ، وأيضا رمز العناد والحق في تسيير شئون البلاد ، واستمرت الحرب ضد الملكيين لبعض الوقت ، ولكن جاءت النتيجة عكسية أعظم التكهّنات إذ تمكنت الجمهورية اليمنية أن تعيش بدون التواجد المصري ، كما لم تعد السعودية تنظر اليها كمصدر تهديد لها ، وفي عام ١٩٧٠ اعترف الملك فيصل أخيرا بالجمهورية اليمنية ، وتم تبادل السفراء بين البلدين ، ورغم ذلك كان هذا الحدث قد تم بكل هدوء دون أن يلاحظه العالم الخارجي .

١ - النقطة الفاصلة :

لم تكن هذه التغييرات في النظم العربية لها تأثير جذري على الأزمة التي استمرت تسيطر على مسرح أحداث الشرق الأوسط بعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وأخيرا برز الى الوجود نزاع عربي داخلي جديد كنتيجة لهذه الحرب ، التي لعبت فيها المصالح المتصادمة ، كما لعبت الطموحات والاعتقادات المتضاربة دورها ، لقد تفجر هذا النزاع في سبتمبر عام ١٩٧٠ في حدوث مذابح دموية في الأردن وأدت بالنالى الى وفاه الرئيس عبد الفاصر ، ولكنه نوع مختلف جدا من النزاعات ، حيث نقلب عليه الأهواء ، ومثير للوضاء مثل ألعاب الأوبرا الفكاهية لسنوات سابقة ، وان كان تم السيطرة على الموقف ، على الرغم من أن هذا الحدث يمثل موقفا خطيرا جدا .

في انون هذا النزاع كانت مسألة التسوية مع اسرائيل تجري على قدم وساق على الرغم من التعقيدات التي واجهتها ، لقد أخذت الحكومات العربية مواقف متباينة في حالة موافقتهم أو رفضهم قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ ، الذي أصدره مجلس الأمن للأمم المتحدة في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، والذي تضمن المبادئ والأسس التي يجب أن يقوم عليها السلام بين العرب واسرائيل .

أعلنت الجمهورية العربية المتحدة والأردن موافقتهما على هذا القرار وامنعت سوريا ، كما استنكرت منظمة التحرير الفلسطينية ، وكذلك المنظمات الفدائية الأخرى هذا القرار ، بل اعتبرت الموافقة عليه خيانة عظمى ، لقد كان معنى قبول العرب لاسرائيل كدولة ذات سيادة جريمة في حق القضية الفلسطينية ، لأن القرار تجاهل تماما مطالب وحقوق الشعب الفلسطيني ، ولم يشر الى مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بعد وقبل عام ١٩٦٧ .

لقد خلقت مسألة التسوية السلمية مع اسرائيل — بمقتضى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ — مشاكل حادة ، تدخل فيها الحكومات العربية ، وكذلك بعض الشخصيات العربية العامة ، اذ كان من المتعارف عليه لدى الرأى العربى العام عدم التحدث علنا فى أسلوب التعامل مع اسرائيل ، ونتيجة لذلك ، فان المدافعين عن هذا الاتجاه كانوا يميلون الى تغطية موقفهم وآرائهم بالتظاهر بقبول قرار مجلس الأمن ، واعتباره مسألة مناورة تكتيكية لتقوية وتدعيم موقف العرب للجولة القادمة مع اسرائيل ، ولكى يوضحوا للرأى العام ، سياسة اسرائيل العدوانية ضد العرب ، وبرغم هذه الادعاءات ، فان فريق العرب المؤيدين ، يمكنهم أن يتصوروا أن هذا القرار ما هو الا وسيلة من أجل التوصل لتسوية سلمية ، اذ كانت هناك بعض الميزات الإيجابية والتي أطمعن المؤيدون النظر فيها بهدوء .

وهذا البصور يتناقض تماما مع تصريحات عبد الناصر بين الحين والآخر عن حتمية الحرب ، وأن ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وأنه مستعد لتحرير سيناء شبرا شبرا مهما يضح به من بحر الدماء ، وفى نفس الوقت كان جادا على الميل الى مبدأ النعائش السلمى مع اسرائيل فى مقابل عودة الاراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ (*) .

(*) ان عبد الناصر لم يقبل مبدأ النعائش السلمى مع اسرائيل بعد ١٩٦٧ ، اذ حينما عرض عليه هذا الرأى مقابل استرداد سيناء والتخلى عن مساندة العرب ، انهر فرصة والقى بالتصريح التالى « ان استرداد القدس قبل سيناء ، واسترداد الحولان قبل سيناء ، واسترداد الضفة العربية قبل سيناء » كما انه أعلن بعد مؤتمر الخرطوم « بأنه لا صلح ولا اتفاق ولا تفاوض مع اسرائيل » .

(المترجم)

لقد واجه كل من عبد الناصر ، والملك حسين ، عدة مشاكل
هى متشابهة من عدة أوجه ، فكل منهما فقد جزءا مهما من
أرضه تلك الأرض ذات الأهمية الجغرافية والتاريخية والاقتصادية،
هذا بالإضافة الى الناحية الاستراتيجية باعتبار أن أرض الدولة
لا يمكن تجزئتها ، وأن هذه الأرض المحتلة كانت مصدرا مهما
للدخل القومي ، فبيت المقدس والضفة الغربية مهمة للأردن من
الناحية السباحية وكذلك الانتاج الزراعى ، كما أن سيناء مهمة من
ناحية انتاج النفط وتشكل الجناح الشرقى لقناة السويس ذات
الأهمية البالغة لمصر . ولكن الأمر لم يكن حساسا الخسارة
والمكسب بالنسبة للمصالح الشخصية ، إذ كان كل من عبدالناصر
وحسين لهما علاقات خاصة مع الشعب الفلسطينى ، ومع بعض
الدول العربية الأخرى .

تمثالا قبل حرب يونيو ١٩٦٧ كان أكثر من ٢٠٪ رعايا الملك حسين
فلسطينيين ، وكانت ثقتهم فيه لا تزيد على تقديرهم لجده الملك
عبد الله (ساعد فيلق الملك عبد الله الانجليز فى اخماد الثورة العربية
الفلسطينية فى اواخر الثلاثينات ، وفى عام ١٩٤٨ أبدى رضاه
للحاجز الفلسطينى القائم بينه وبين الدولة اليهودية الجديدة ،
واغتيل على يد أحد الفلسطينيين فى عام ١٩٥١ نتيجة لما قدمت
يداه) .

وبعد حرب يونيو فقد الملك حسين السيطرة على بيت المقدس فى
الضفة الشرقية ، وكذلك الضفة الغربية ، ولكنه شعر بالتزام قوى
لاستعادتها وكذلك شعبها ، ان لم يكن من أجلهم ، فقد أعلن مرارا
أن يكون ملكا على فلسطين الغربية ، بالإضافة الى الضفة الشرقية
المحتلة بالسكان الفلسطينيين ، فاستقر كثير منهم هناك فى أعوام
تسبق عام ١٩٦٧ ، وان كان أكثر من ٣٠٠.٠٠٠ تمكنوا من الهجرة
من الضفة الغربية وقطاع غزة .

ولكل هذه الأسباب فإن مقاتلى المقاومة الفلسطينية أو
الفدائيين خلقوا مشكلة خاصة للملك حسين ، أنهم لم يقرؤا بموقف
الملك حسين ، لأنهم كانوا يرون حل القضية بطريقتهم الخاصة ،
فقد تحدوا وجود اسرائيل كدولة صهيونية على أرضهم ، بينما
كان جل رغبة الملك حسين هو عودة أرضه بالإضافة الى إيجاد
خطة ما لرعاية اللاجئين الفلسطينيين ، ولكن الفدائيين الفلسطينيين
قاموا بغارات مدمرة لاسرائيل على طول امتداد الحدود الأردنية ،
ولا شك أن وجود المقاومة الفلسطينية شكل بديلا ضميا للملك
حسين كسيادة معترف بها لاي جزء من فلسطين والفلسطينيين ،
ويعطى انطبعا عاما ببرارة شديدة لاسرائيل ، فقد كان الملك
حسين واقعا تحت ضغط القوى الفلسطينية بحتية مائدة نضالهم
برغم صسوعية موقفه والظروف التي تحيط به .
فى حين كانت علاقات عبد الناصر مع الفلسطينيين امرا
مختلفا ، وان كانت ليست حيوية بالنسبة له ، وليس نتيجة تحكم
مصر فى قطاع غزة بسكانها ذوى الكثافة السكانية الشديدة ، إذ
يوجد بهذا القطاع ما يزيد عن ٥٠٠.٠٠٠ فلسطينى منذ عام ١٩٤٨ ،
ولم يحدث على الاطلاق ضم هذه الأراضى ، ولا اهتم بها أحد ،
ولا سمح بحرية الحركة لسكانها فى مصر ، ولحد ما كان هذا
القطاع موضوع نفوذ لعبد الناصر كدرع رئيسية للعرب ضد
اسرائيل ، ومازال فى نظرهم المحرر المرتقب لفلسطين ، وكحام
مهمين على المنظمات العسكرية والسياسية الفلسطينية المختلفة ،
كل هذا لم يمنح عبد الناصر الشعبية الجماهيرية فى الدول العربية،
ولكن برغم هذا الشعور كان يمسك بزمام المبادرة فى يده ، ولإذا
فإن فلسطين لو تحررت فى وقت ما ، فإن ذلك سيتم عن طريقه ،
وبموافقة قيادات المنظمات الفلسطينية العديدة ، ومثلما وضع

الفلسطينيون بديلا ضمنيا للملك حسين ، فان عبد الناصر وضمهم لهم البديل سواء كان مهتما بتحرير فلسطين حقيقة من عدمه . في وقت كان غيه للملك حسين والعسكريين المحيطين به اهداف مختلفة ، كذلك كان عبد الناصر والعسكريون والقريبون منه ، بتناقشون مع الطرف الاردنى حول هذه القضية ، ولكن حرب يوثية ونتائجها ألقت شكا كبيرا على اختيار عبد الناصر حيث أثبت جيشه عجزه الكامل في الدفاع عن بصر ، ومنذ ذلك الوقت فصاعدا تؤكد للفلسطينيين ان تحريرهم أصبح أمرا بعيد المنال ، وليس له اولوية مطلقة بالنسبة لعبد الناصر وان بقيت في حساباته أمرا حقيقيا .



٢ - حركة المقاومة الفلسطينية :

ان ظهور الوطنية الفلسطينية العسكرية ترجع في واقع الامر الى جذور تسبق حرب يوثية بمدة طويلة ، وعلى الأحرى نرجع الى الثلاثينات من هذا القرن ، ولعقد آخر تلا حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أو ما يزيد ، وقد سببت الهزيمة التي حدثت في ٥ يوثية عام ١٩٦٧ ، والتخزيق العربى الذى نتج عنها ، عقد حدث اضمحلال واضمح في الحماسة الوطنية ، وميل الدول العربية ان تتخذ من قضية فلسطين ذريعة من اجل تحقيق مصالح شخصية .

وبحلول عام ١٩٦٤ تم انشاء منظمة التحرير الفلسطينية استجابة لمطلب ملح ، ومشاعر متزايدة بين الفلسطينيين من الجبل الثانى من الفلسطينيين ، وفي نفس الوقت هناك حقيقة مؤداها : ان منظمة التحرير الفلسطينية نشأت كحركة مستأجرة الى حد ما تحت رعاية الحكومات العربية ، وعلى راسها مثل هذا الرجل « أحمد الشقيرى » ونتج عن ذلك ظهور منظمة فلسطينية أكثر تشددا

تحت زعامة طبيب بشري فلسطيني يدعى جورج حبش George Habash لكي يكون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين^(١) .

وفي عام ١٩٦٨ تكفلت حكومة البعث السورية بتأسيس (الصاعقة) وبدأت منظمة فتح عملياتها عام ١٩٦٥ وتقودها مجموعة مجهولة من الشباب تجمعوا حول مهندس يدعى «ياسر عرفات» وبدأت هذه المجموعة تقوم بعمليات عسكرية فدائية ضد إسرائيل ، انهم أكثر مواجهة من منظمة التحرير الفلسطينية الألبنة ، ومن قبل كانوا قد توصلوا الى استنتاج أن الحكومات العربية حكومات لا يعتمد عليها من أجل القضية الفلسطينية ، لأن مثل هذه الحكومات مشغولة بمصالحها الخاصة ، وما شابه ذلك .

لقد كانت هزيمة الجيوش العربية في حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ كارثة على القضية الفلسطينية ذاتها ، ولذلك كان ظهور الفدائيين الفلسطينيين رد اعتبار للحكومات العربية ، برغم اعتمادهم على هذه الحكومات العربية في الحصول على الأموال ، والتواعد العسكرية ، وكذلك التعاون العسكري ، وكذلك التأييد السياسي

(١) لم ينس السلاطات السورية أن حركة القومية العربية كانت منافسا لها في معركة السلطة في دمشق عام ١٩٦٣ ، ونتيجة لهذا تكونت وجهة نظر كلية نحو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولقد كان هاني الهندي ، وهو أحد رفقاء جورج حبش في الجبهة الشعبية كان معارضا لحزب البعث ، وكان وزيرا في حكومة التحالف في وقت لاحق لانقلاب مارس ، وشارك كذلك في مجازات الوحيدة في القاهرة . لقد كان جورج حبش وهاني الهندي رغبى المسكن الواحد كطلبة في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وفي زيارة لدمشق عام ١٩٤٨ قبض البوليس السوري على جورج حبش وأودع السجن لما يريد على سبعة أشهر مع ثلاثة من رفاقه ، والحقيقة أن حبش والجساح اليساري لحزب البعث الحاكم في سوريا ايدولوجية مشابهة لماركس ليس لها تبة .

من قبل هذه الأنظمة للعمل الفدائي الفلسطيني ، وإن كان الوقت العربي في ذلك الوقت أشبه بلعبة « اليويو » ولكن بدون خيط ، ولكن بعد وقت ليس بالطويل اكتشفت الجماهير العربية زوال الوهم والغشاة من على وجوه العرب ، وانزوى عبد الناصر الذي وصم بالعار واكتشفوا مشغلا جديدا للأيديولوجية الثورية ليحل محل « الأصنام العربية » التي كانت تتصف بالناصرية ، والبعثية ، وبرغم هذا لم يفتتن الفلسطينيون بأنفسهم . إنما كان اعجابهم بأصوات عالية أكثر ثورية مثل : ماوتستيج وجيفارا ، لقد كان الفدائيون طبقا للرواية التي نششرت عنهم كانوا أنماطا فريدة للإنسان العربي الجديد توصف بصفة أساسية في صالح التحرر من كل الأخطاء العربية التي أصبحت موضة العرب في هذا الوقت ، انهم برثون لحالهم ولأنفسهم عدم الاكتراث ، والميل الى الخيال ، والابتعاد عن الواقع وعدم الدقة في تقديرهم الأمور ، فضلا عن الانانية الذاتية والانشغال بالكلمات أكثر من العمل ، وبالشهرة أكثر من الانجاز الحقيقي كما يميلون الى الحزبية القامرية (٢) .

ولاشك أن الفدائيين كانوا قادرين على تحرير أنفسهم من عبء هذه التركيبة الثقافية . في الأمس القريب كان شيء لا يمكن توقعه ، وقبلها بوقت قصير ، وقبل أن تسيطر هذه الأخطاء على صنع صورتهم العامة مثل عدم الاكتراث والرومانسية ، وعدم الالتزام بالدقة الذي شوهته كثيرا تلك التقارير الزائفة ، في وقت كانت ماتزال فيه المحاور المتنافسة تشوه كثيرا من الأعمال وكانت

(٢) شرح النقاد الاجتماعيون تلك الأخطاء للشوارع العربي بعد الحرب ، ومن بين التحليلات الأكثر أهمية كانت بعنوان « النكبة - للمرة الثانية » ولزبد من التفصيلات انظر : صلاح الدين المنجد - ألمعدة النكبة . بيروت . عام ١٩٦٨ ، مسادق الحظم « نقد ذاتي بعد الهزيمة » . بيروت عام ١٩٦٩ .

لاتزال التهمكات قائمة ، فقد دخلت التشهيرات عالم السياسة ، وكان لا يزال كثير من العرب بعد عبد الناصر عام ١٩٦٧ محترماً ، ولو أنه لم يكن مناسباً للموقف والوقت ولكن مهما ادعى ثباته بمنجزات عظيمة في الماضي ، فإنه لا يوجد شيء قام به للمستقبل ، وكل ما يمكن أن يقدمه للعرب هزيمة عسكرية أخرى أو استسلام دبلوماسي ، وبرغم هذا عاش الشارع العربي دائماً على أمل حدوث معجزة يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون .

وبعد الحرب ظلت منظمة التحرير الفلسطينية تعاني من الموقف العربي والفلسطيني أيضاً ، لأن كثيراً من عملائها وكوادرها العسكرية المسلحة كانوا بقطاع غزة أو في الضفة الغربية ، وكلا الموقعين برزح تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي .

ولو أن منظمة فتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد أخذتا زمام المبادرة ، حيث كان لا يزال عدة آلاف من الرجال يخدمون في وحدات جيش التحرير الفلسطيني ذات الصلة بجيوش سوريا والعراق ومصر ، كما خدموا في الأردن كأعضاء عاملين بالقرات المسلحة الوطنية حيث يعتبرون مواطنين أردنيين ، واستطاعت أيضاً منظمة التحرير الفلسطينية أن تنظم وحدات فدائية لها جنباً إلى جنب مع منظمات المقاومة المستقلة (٣) .

(٣) كانت منظمة فتح أكبر من كل الفصائل الفدائية مجتمعة (١٠,٠٠٠) ، وقوات الصاعقة ربما تزيد على ٥,٠٠٠ ، والجبهة الشعبية ٣,٠٠٠ بالإضافة إلى مجموعات صغيرة ظهرت عام ١٩٦٧ ، وكان أكثرهم شهرة هو الجناح اليساري الذي انشق عن الجبهة الشعبية عام ١٩٦٩ ويقودها نايف حداية ، وكذلك جبهة التحرير العربية ، وجبهة النضال الشعبية ، ومنظمة العمل لتحرير فلسطين .

لزيد من التفاصيل انظر : ولیم كاندت : سياسات التروسة الفلسطينية عام ١٩٧٦ .

ويدون شك كان أحمد الشقيرى الشخص الذى فقد ثمة الجميع ، نتيجة لحرب يونية ، لقد كشفت هذه الحرب الغياب شبه الكامل للعرب ، وبالتالي فقدوا التعاطف الدولى نحوهم ، والقى كثير من الناس اللوم على أحمد الشقيرى ، اذ كانت السمة التى يتصف بها هي الكلام الغوغائى الخالى من أى معنى .

لم يوجد فى العواصم العربية من فكر فى نبذ هذا الرأى قبل هزيمة يونية ، فقد كان أحمد الشقيرى فى بيت المقدس وعندما بدأت الحرب هرب من امام القوات الاسرائيلية ، وبعد هذا الموقف المخزى بستة أشهر قدم استقالته واعتزل الحياة السياسية ، وآثر الاعتكاف فى قصر له ، كان قد بناء من قبل أثناء عمله كسفير للعربية السعودية . وتولى من بعده يحيى حمودة .

لقد كان من الواضح أن منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكنها القيام بمهامها وهى منفصلة عن المنظمات الفدائية الأخرى ، لقد تم تعيين الهيئة التشريعية من مائة عضو ، وهى تشرف على منظمة التحرير الفلسطينية ، وتم تخصيص نصف المقاعد فى المجلس الوطنى الفلسطينى فى شهر مايو عام ١٩٦٨ ، لممثلين للمجموعات الفدائية الرئيسية (٢٨ مقعداً لمنظمة فتح ، و ١٠ مقاعد للجهة الشعبية ، و ٥٠ مقعداً خصصت لممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطينى ، واتحاد الطلاب والعمل ، وقبل منتصف عام ١٩٦٩ اختار المجلس الفلسطينى ياسر عرفات كرئيس للجنة التنفيذية . وفى نفس الوقت استمر يحيى حمودة كرئيس للمجلس الوطنى الفلسطينى ، وفى شهر يونية عام ١٩٦٩ أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية قرارها بتخصيص « ضريبة التحرير » على الفلسطينيين فى أنحاء العالم ، وتعاونت الحكومات العربية فى تحصيل هذه الضريبة من الفلسطينيين المتواجدين لديها

(مثلا ٦ / من مرتب الفلسطينى العامل بليبيا ، ٣ / من العاملين الفلسطينيين فى مصر . .) .

وبرغم كل الجهود المبذولة لاعادة تنظيم المنظمة الفلسطينية ، فانها ابتليت بالنازعات والخلافات ، لدرجة أن بعض فصائل الفلسطينيين حاولت القيام بانقلاب عسكرى ضد رئيس اللجنة التنفيذية ياسر عرفات . علاوة على ذلك لم تستطع منظمة التحرير الفلسطينية الحصول على تعاون « الجبهة الشعبية » لتحرير فلسطين ، التى لم تكن مقتنعة بعدد المقاعد التى خصصت لها ، وتخصصت الجبهة الشعبية فى القيام بأعمال عدوانية ينبذها الجميع ويستنكرها مثل اختطاف الطائرات . . والهجوم على المطارات . . واغتيال بعض الشخصيات . . ووضع المتفجرات فى الاسواق والسينما والمسرح . . والتجمعات المكانية . . وعندما شكلت مجموعات فدائية فى ابريل عام ١٩٦٩ قيادة التضال المسلح الفلسطينى لى تنسق عملياتها الفدائية ضد اسرائيل ، انسحبت الجبهة الشعبية من الموقف ، ورفضت هذا الأسلوب ، وظلت مقتنعة بأسلوبها البغيض .

ومن الواضح أن الزعماء الفلسطينيين الجدد لم يكوّنوا بآمن من المرض العربى المزمع القدم ، فسرعان ما دب الخلاف بينهم ، وساد الصراع والنفاس فيما بينهم . وهى نفس السمات التى اتصف بها قادة العالم العربى حينذاك ، ورغم ذلك وداخل صفوف حركة المقاومة كانت منظمة فتح تمثل أهم عقبة ، وإن كانت تبدو أنها بعيدة عن الصراعات والمشاحنات الداخلية ، وكان على رأس هذه المنظمة ياسر عرفات الذى طاف حول العالم فى وشاح الرأس العربى الفلسطينى ، ونظارته السوداء وهو يتسم بالغموض ، وكانت

الدول تعامله كرئيس دولة ، على قدم المساواة — تماما — مع رؤساء الدول ، وينير دائما حماسة الجماهير العربية باصراره العنيد على حتمية تحرير فلسطين واستمرار النضال ضد اسرائيل حتى النهاية .

٣ — مؤتمر الخرطوم :

وهكذا واجه عبد الناصر وحسين نتائج الهزيمة العسكرية ، فكما زاد الفدائيون ضغطهم العسكري بعد عام ١٩٦٧ أصبحوا أكثر تهديدا لكل من عبد الناصر وحسين ، ومن ثم كلما زاد اهتمام هذين الرجلين في التوصل الى تسوية عادلة مع اسرائيل — قبل فوات الأوان — حاولا اخفاء الصراع الخفى بينهما وبين الفدائيين الفلسطينيين ، وبرغم كل هذا فان اسرائيل كانت ماتزال تصر على عنادها وموقفها المتشدد بعدم الجلاء عن الاراضي العربية التي تم احتلالها ، وفي نفس الوقت كانت الحكومتان — المصرية والأردنية — تأملان في أن العمليات الفدائية تشكل ضغطا على اسرائيل لكي تخفف قبضتها وموقفها المتشدد المتعنّت اذ كانت الحكومتان تريان أن أية تسوية مع اسرائيل لن تكون مناسبة ولا يمكن رفضها بحجة انها غير مقبولة للفدائيين .

وبالنسبة للدول العربية الأخرى (الجزائر وليبيا والعراق وسوريا) فالموقف بالنسبة لهم مختلف تماما ، اذ اكتفت هذه الدول بالاعلان عن تأييدها التام للعمل الفدائي الفلسطيني . ولكن السؤال هل كان في إمكان حكام بعض الدول العربية أن يأخذوا مكانة عبد الناصر في الزعامة العربية ؟ بالنسبة للسوريين ربما يقال ان هذه اللعبة قد بدأت من قبل ، وقد أدت الى الحرب .

وبالنسبة للجزائر والعراق لم يكن لديهما شيء بخسرانه ، بينما كان السوريون معرضين لتقدم عسكري اسرائيلي في اراضيهم ، اذ كانوا يشجعون الفدائيين الفلسطينيين — تحت حمايتهم — بالقيام بأعمال عسكرية من اراضي لبنانية و اردنية على أمل أن يشكل هذا العمل ضغطا على اسرائيل .

وكانت الجزائر تعتقد أن المشكلة يمكن حلها بالدبلوماسية الدبلوماسية ، اذ كان من الملاحظ أن كلا من الجزائريين والعراقيين وكذلك السوريين الذين انتهجوا سياسة اعلامية تتسم بالكلام والمزايدة والغشائية دون تقديم أى عمل ايجابى ، معتقدين انهم يمثل هذه السياسة يخرجون عبد الناصر ، وبماكانهم أن يحلوا محله في قيادة العالم العربى وزعامته ، أو على الأقل بنصم عرى التحالف بينه وبين حسين ، وأن يجبروه على ترك القضية الفلسطينية ، وكذلك قضايا العالم العربى الأخرى .

ان الملوك المحافظين مثل : السعودية والكويت وليبيا ، كانت لهم وجهات نظر أخرى ، انهم كانوا يرغبون في توصيل عبد الناصر وحسين الى تسوية مع اسرائيل ، حيث كانت مجتمعاتهم الصحراوية التقليدية تفرض عليهم التعلق بخيالات سياسية للعالم العربى اذ كانوا يرغبون في اخضاع المشكلة الفلسطينية لاعتبارات دينية وعرقية ، وقد اكتفوا بأنهم رفعوا شعار الدفاع عن الاسلام والمسلمين ، ومحاربة الكفار ، معتقدين أنهم يمثل هذه السياسة يمكنهم ان يدفعوا العرب الى شن حرب ضد اسرائيل وفي نفس الوقت هم بعيدون كل البعد عنها ، وفي هذه الحالة هم مستعدون لتقديم الاموال اللازمة للفدائيين ، ويشجعونهم للقيام بمثل هذه الاعمال الفدائية الانتحارية ضد اسرائيل بدلا من توجيهها ضد الاردن .

لقد أثبت الواقع العربى أن مثل هذه السياسة لا طائل من ورائها ، خاصة بعد الاطاحة بملك ليبيا ، عندئذ تضاعفت حماسة الملك فيصل ، وتراجع فى سياسته السابقة ، وأدرك العرب المحافظون أن مساعدة الجمهورية العربية المتحدة بالأموال اللازمة لها لدعم اقتصادها ، وإعادة تسليح جيشها أفضل من السياسة السابقة ، إذ فى هذه الحالة ينشغل عبد الناصر بالاستعداد لمحاربة إسرائيل بدلا من تكثيف هجومه على نظام الحكم المحلى ، وكانت النتيجة حدوث تقارب بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتى لإعادة بناء النظام العسكرى المصرى ، كما ترتب على هذه السياسة حدوث تباعد بين الرجلين : عبد الناصر وحسين .

وواضح أن وجهات النظر العربية أصبحت متناقضة ، متضاربة بعضها مع بعض ، ومن المؤكد ظهور تقارب فى وجهات النظر العربية فى مؤتمر الخرطوم الذى انعقد فى نهاية شهر أغسطس عام ١٩٦٧ ، ومن ثم بدأت السياسة العربية تتبلور بشكل واضح ، إذ أمكن قيام تحالف بين كل من : عبد الناصر وغيصل وحسين حيث وافقت ليبيا والعربية السعودية والكويت على تقديم مساعدات مالية لكل من الأردن والجمهورية العربية المتحدة تعويضا لهما عن الخسائر التى منيتا بها فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، وبلغ حجم الدعم ٣٩٢ مليون دولار فى السنة (يخص مصر ٢٠ هذا المبلغ) كما أن المشكلة فقدت أهميتها الآن بالنسبة لكل من مصر والسعودية خاصة بعد اتهام انسحاب القوات المصرية الباقية من كل الأراضى اليمنية ، دون التدخل فى شئون هذا البلد .

وفى مؤتمر الخرطوم كان المجتمعون مازالوا لم يعطوا المقاومة الفلسطينية الاهمية المطلوبة ، ولكن قبل مرور ستة أشهر على مؤتمر

الخرطوم حدثت معركة الكرامة بالأردن ، وأبلى فيها الفلسطينيون بلاء كابطال عرب ضد إسرائيل ، وفى الأشهر الأولى بعد حرب يونية ، كان الفلسطينيون ما يزالون مثل العرب الآخرين فى ذهول وغيبوبة نتيجة لحجم الهزيمة العربية أمام إسرائيل !!

وبرغم هذا كان السوريون والجزائريون مازالوا يتحدثون عن ايمانهم بحتمية الاستمرار فى النضال ضد إسرائيل ويرفضون أية حلول سلمية ، ويبعدون عن ترك المفاوضات مع إسرائيل ، لدرجة أنهم أقنعوا مصر فى أروقة الأمم المتحدة بالعدول عن سياستها التى ترمى الى التوصل الى تسوية سلمية .

ولكن فى مؤتمر الخرطوم تمكن عبد الناصر وحسين من اقناع الفلسطينيين بقبولهم الحل السلمى السياسى للمشكلة ، الذى تحدد بشمار « ازالة آتار العدوان » وبهذا يكون هناك ترقى ناسع بين هذا القرار والموقف العربى فى يونية ، ومن ثم كان فى امكان العرب لقاء اللوم على عبد الناصر وحسين اللذين بلغت بهما الحماسة فى ذلك اليوم حدا لا يمكن أن يوصف بحتمية تحرير فلسطين ، وبرغم هذا تخاضوا عن عقابهما الآن . وامكنهم الضغط عليهما لتعديل هذا الموقف بأن يكون فى المرحلة القادمة : لا اعتراف ولا تفاوض ، ولا صلح مع إسرائيل .

ان التأثير النهائى لكل هذا لم يكن محددا ، بل كان مرنا الى حد ما ، انما الشئ المؤكد أن العرب ساعتها وجدوا الصياغة المناسبة التى تمكس القاسم المشترك ، والتى تمثل الحد الأدنى لموافقتهم الى حد ما ، مثلما فعلوا فى مؤتمر القاهرة فى يناير ١٩٦٤ ، الأمر الذى دفع ابراهيم ماخلوس وزير خارجية سوريا أن يشجب

من المؤتمر ، ويحزم حقائبه ، ويفادر أرض السودان متجها الى المطار ، حاملا حقائبه ، وعندما سألته الصحفيون الى أين أنت ذاهب ؟ أجاب الى أى مكان وإلى أى اتجاه تتجه اليه أول طائرة نصل أرض المطار !

{ — الأردنيون والفدائيون :

بعد معركة الكرامة ، كان لابد أن تسعى إسرائيل للانتقام ، وأصبح التهديد مركزا ضد لبنان التي كانت تسمح للفلسطينيين بالعمل من داخل أراضيها ، والمجتمع اللبناني بكيانه الاجتماعى قابل للتمزق بسرعة أمام ضغط إسرائيل عليه . وقد اتضح هذا بعد الهجوم العسكرى الاسرائيلى على مطار بيروت ، ومن ثم حدث تصادم عسكرى بين جيش لبنان الصغير والضعيف ، والفدائيين الفلسطينيين ، ونم التفاوض بين الجانبين فى عام ١٩٦٩ بواسطة عبد الناصر ، ولكن بحلول عام ١٩٧٠ تركز الهجوم الاسرائيلى على قواعد الفدائيين فى لبنان وأصبحت هذه المصائد أمرا عسائيا .

وفى الأردن كان الموقف أكثر خطوره حيث انتقد الملك حسين من قبل (سبتمبر عام ١٩٦٧) عمل الفدائيين الفلسطينيين ، وفى عشية معركة الكرامة التى حدثت فى ٢١ مارس عام ١٩٦٨ كان الملك حسين مازال يقف موقفا سلبيا منهم ، وكان مايزال يطلب من الفدائيين الحصول على اذنه بعبور نهر الأردن ، ولكن من الملاحظ أن الفدائيين الفلسطينيين بدأوا يلقون المعونات المالية والتأييد التام من الجماهير العربية ، ولم يعد الرأى العام العربى مقتنعا بموقف الملك حسين من موقفهم بالاستمرار فى عملياتهم الفدائية ، اذ كان

الملك حسين يدرك أن معركة الكرامة أعطت للفدائيين الفلسطينيين الحق كل الحق في الاستقلال عن الأردن ، حيث كثف الفدائيون عملياتهم العسكرية داخل اسرائيل والضفة الغربية .

وكرد فعل قامت اسرائيل بالرد على اعمال الفلسطينيين مضاعفة تلت معركة الكرامة ، حيث قامت اسرائيل بضرب مدينتي أريحا وسولت بالقتال . وترتب على ذلك حدوث تثبيط حماس حركة الفدائيين واصابها بالشلل التام . ساهمت هذه القارات في تصعيد التوتر على الجبهة العربية والأردنية الداخلية ، ومن ثم اشستد الصدام بين الطرفين : اسرائيل والفدائيين .

وبنهاية عام ١٩٦٨ كان الفدائيون الفلسطينيون يمثلون قوة سياسية مماثلة تماما للقوى السياسية في المملكة الأردنية الهاشمية ، اذ تمكنت المقاومة الفلسطينية من تنظيم صفوفها ، وطورت من هياكلها الادارية ، ونظمت قواتها المسلحة ، وأسست تمويلها وتسليحها وقبائدها وكذلك طورت الخدمات الاجتماعية بالاضافة الى تطوير القتل الدبلوماسي الدولي وكذلك طريقة تسير مؤسساتها السياسية والدبلوماسية ، وكان الفدائيون بينون دولتهم - مبتدئين يمثل هذا العمل من داخل الاردن نفسها ، تماما ملها عمل اليهود في عام ١٩٤٨ ، وفيام دولة اسرائيل من داخل فلسطين ولكن الاردن لم تكن بالشكل الذي اراده الفلسطينيون ، فبينما لم تكن الحكومة الأردنية قادرة على رفض شرعية المقاومة ، بحث بكل الطرق الممكنة الحد من ازدياد نفوذ قوة المقاومة الفلسطينية والحد من انتشارها وتأثيرها داخل الاردن ، حيث حدثت أول مواجهة بين الطرفين : المقاومة الفلسطينية والحكومة الأردنية في نوفمبر عام ١٩٦٨ عندما قبضت السلطات الأردنية على عدد قليل من زعماء الفدائيين الذين ارتكوا مخالفات ، وان كانت هذه

المخالفات بسيطة ، ولكن أرادت حكومة الأردن أن تختبر قوة العمل
القذائي ولكي تكون منالا يمكن تطبيقه لاحقا ، وجرت مفاوضات
بين الطرفين تمخضت عن مطالبة القذائيين الحصول على حكم ذاتي
سياسي وعسكري لكي يكون بالتالي تعاون بينهم وبين الجيش
الأردني رافعين شعار « لا غالب ولا مغلوب » وهذا يذكرنا بالحرب
المدنية اللبنانية من عشر سنين مضت .

وفي الحقيقة أن هذا شعار يصف العلاقة بين الحكومة
ورعاياها ، لقد كان هذا شعارا شادا بدا منذ عام ١٩٤٨ ، فهل
كان الفلسطينيون أردنيين أو لا ؟ حقيقة كانت مصالح الجانبين
متعارضة بطريقة واضحة ، وبرغم هذا كان حرص الملك حسين
وياسر عرفات على تجنب حدوث صدام بينهما ، فمزال كل منهما
يحتاج الى الآخر كقناة للاتصال بأطراف أخرى خارجية محددة ،
وكدرع ضد أي هجوم من أية جهة معينة ، وكل منهما اعتمد على
التعاون الوثيق مع عبد الناصر ، كل منهما كان يرى الطرف الآخر
كحليف له لوقت ما ، أي تحالف ضد إسرائيل في وقت ما . والآخر
من ذلك لم يأل أي طرف منهما أن يهزم الآخر دون أن يسبب له
مشكلة ، بحيث لا يبعد الجماهير الفلسطينية التي لم ترنكب خطأ
بمن فيهم هؤلاء الذين يمثلون ٦٠٪ من القوة العاملة للجيش الأردني
نفسه ، علاوة على ذلك لم يكن لدى زعماء منظمة فتح وكذلك معظم
قيادات المنظمات الفلسطينية الأخرى الرغبة في أن يحكموا الأردن
بل لم يجدوا الفرصة لإعلان هذه الرغبة لأنهم بدركون يقينا أنهم
لو فعلوا ذلك فإن مثل هذا العمل يمتص الاهتمام والنشاط المطلوب
للحرب ضد إسرائيل ، وبدون الحماية الأمريكية التي يتمتع بها
الملك حسين ، فاتهم سوف يكونون جبهة مفتوحة للهجوم الإسرائيلي ،
والى جانب ذلك لا ننسى أن المنظمات القذائية كانت منقسمة على
نفسها لدرجة أنه بدون الملك حسين فالأردن سوف يكون مستنقعا
للفوضى والقتل .

ومن وجهة نظر الملك حسين ، فإنه كان يعتقد أنه سيأتي يوم يحسم فيه النزاع مع الفدائيين ، ولكن بعد أن يكون قد توصل الى اتفاق مع اسرائيل على عودة الاراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، فإن هذه لو حدثت ستكون لعنة للفدائيين ولكنها نعمة لكثير من الفلسطينيين المتعطشين لانهاء الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية ، فلو قام الفدائيون بمعركة ضد اسرائيل ، فإن الملك حسين سيجدها فرصة طيبة لكسب انتصار سياسي وعسكري حاسم عام . . . ووضعت وحدة المظلات المعروفة بالوحدات الخاصة على اهبة الاستعداد لمثل هذه المناسبة ، ولكن حتى بعد الوقت لحدوث الصدام ، فإن الملك حسين يكون قد نضل معركة أكيدة على حدوث معركة مفترضة من المحتمل أن تحدث .

وبرغم تقدير كل من الملك حسين وياسر عرفات فقد حدثت المعركة الضاربة بين الطرفين في سبتمبر عام ١٩٧٠ دون أن تلوح في الأفق أية بادرة لحدوث تصوية مع اسرائيل ، فقد كان الفدائيون الفلسطينيون — دون النظر الى المجموعة التي ينتمون اليها — يتصرفون بطريقة مذبذبة حيث كانوا يركبون عربات الجيب الخاصة بهم ويطوفون بها حول عمان وهم شاهرون أسلحتهم المخصصة بالذخيرة ، بل أكثر من هذا لجأوا الى نهب وسلب المحلات وممتلكات الأفراد ، وأحياناً الأجانب ، وكانوا يداومون المنازل ويغتصبون ما بها من ممتلكات منتهكين كل الحرمات ، كما أنهم لم يلتزموا بقوانين المرور ، فهذه المركبات كانت تسير بدون ترخيص من وزارة الداخلية ، ويرفضون الوقوف في مراكز التفتيش ، فقد ركبهم الكبرياء والغرور ونسوا دورهم ضد العدو اسرائيل ، وأصبح نواجدهم داخل عمان بعيداً عن نقاط المواجهة مع اسرائيل وعن أرض المعركة الحقيقية . وفي نفس الوقت كانوا يتحدون — بتصرفاتهم — نظام وقوانين المملكة الأردنية .

وبحلول عام ١٩٧٠ ساد الجيش الأردني سخط شديد ، والذين أدركوا أن العمليات الفدائية ضد إسرائيل كانت عملاً فاشلاً ، أنهم لم يتواجدوا في الأراضي المحتلة ، ولم يحدث سوى بعض الأضرار الثانوية البسيطة للدوريات الإسرائيلية على الحدود حيث كان يسعاهم من أجل قيام دولة فلسطين الديمقراطية العلمانية الموحدة (المسلمين والأقباط واليهود) وحتى هذا الشعار لم ينل رضا السكان الاسرائيليين .

اذ كانت دوائر اليسار الاسرائيلي واليمين توافق على هدف الفلسطينيين القاضي بإقامة دولة لهم ولكن ليست على أرض اسرائيلية ، وعلى ضوء ذلك فإن النشطاء يرفضون أية محاولات للتسوية كالتى كان حسين يسعى اليها .

لقد ترتب على الفوضى التى سادت الفصائل الفلسطينية نتائج أخرى أكثر خطورة من سلوكهم وتصرفاتهم داخل العاصمة عمان ، حيث لجأت الأقلية المتطرفة ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الى أن ينتهجوا عملاً طائشاً قلب كل الحسابات والموازن .

لم يعترف جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بمنطق باسـر عرفات بضرورة التعاون مع الحكومات العربية الحالية لأن من الضروري على كل من حكومات : السعودية والكويت ولبنان والأردن أن تعتمد على الولايات المتحدة ، بالرغم من أنهم غير راضين عن سياسة إسرائيل . بينما جبهة تحرير فلسطين كانت ترى أنه لا مناص من أن يكون الطريق الى تل أبيب من خلال عمان ، كما قاطعوا منظمة التحرير الفلسطينية البيروقراطية التى تعمل ضد الثورة . ورغم هذا فقد وافقوا على المشاركة في القيادة

الموحدة للثورة الفلسطينية ، كما تشكلت لجنة بعد الضغط على الأردن - في فبراير عام ١٩٧٠ - من أجل تنسيق العمليات العسكرية ، ولشراكوا في اللجنة المركزية للمقاومة الفلسطينية التي تأسست في شهر يونيو التالي ورغم هذا فقد احتفظوا بحقهم في حرية التصرف والممارسة ضد إسرائيل بما أخطف الطائرات ، والهجوم على المطارات . .) دون الاهتمام بوجهة نظر إسرائيل ، ولذا كان هدفهم في الاشتراك في اللجنة المركزية هو الضغط على زملائهم في اللجنة لكي ينضموا إليهم .

لقد كانت منظمة فتح والزعماء الآخرون المكونين لـ وحدة محاطة بكل التكاليف ، لقد أغضبوا أعدائهم من الموقف المتردد الذي تمر به القضية الفلسطينية على أمل استعادة الوقت وتزجيد الصفوف ضد العدو الإسرائيلي وكذلك الملك حسين . وبذلك رغم التحذيرات - للجهة الشعبية - السبب في موانع مخرجة نفسية وسياسية لمنظمة فتح بسبب الأعمال التي كانت تقوم بها .

لقد باتت الازدهار سبباً في أحداث يونيو ١٩٧٠ ، مما حدث إطلاق النار ، ومن ثم حدثت صدامات بين الفلسطينيين والجيش الأردني استمر لمدة أربعة أيام ، وحدثت مئات الاصابات وأعلن الملك حسين وعرفات عن اتفاق مشروط لوقف إطلاق النار ولكن الجهة الشعبية رفضت الاذعان لهذه الشروط ، وقامت الجهة بفرض الحصار حول فندقين ووضعتهما تحت سيطرتهم حيث وضعوا عشرات من الضيوف الانجليز والأمريكان والألمان الغربيين كرهائن بل هددوا بنسف الفندقين ، وطالبوا الملك حسين بطرد العديد من ضباط الجيش البارزين بمن فيهم عم الملك حسين نفسه ناصر بن جميل قائد أركان ، وابن عمه زايد بن شاكور ، وأن تحل القوات الخاصة (وحدة المظلات) ، ودون مقدمات أعلنت منظمة فتح انضمامها الى موقف الجهة الشعبية والمطالبة بحقوق هذه

المطالب ، واستجاب الملك حسين لهذه الضغوط وسرح الضباط المذكورين من الخدمة .

ثم أصدر الملك حسين قرارا بتشكيل وزارة جديدة لكي تقصدى لأعمال المقاومة الفلسطينية ، وتم التوصل الى اتفاق عام بين الطرفين لوضع قواعد العمل في المستقبل في ١٠ يوليو تحت اشراف لجنة مصالحة عربية تقضى بوقف ممارسات أعمال الفلسطينيين التي تسبب قتل للحكومة الأردنية ، مقابل وعد من الأردن بعدم اتخاذ اجراءات تعسفية ضد مصالح المقاومة .

واقدر كانت مساومة غير عادلة بين الطرفين ، مما جعل المنظمة تنافس السكان الفلسطينيين بأيديها في موقتها ، فان أعمال جورج حبش بكل عنفوانها في القدس كانت أكثر بانرا واجابية من تلك التنازلات التي أجبر على قبولها ياسر عرفات من الملك حسين وقواد الجيش الذين أعدوا الاسرح لاحداث سبتمبر ..

ولما أن نقائل ، لماذا تمكنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من أن تمارس مثل هذه الأعمال ضد المصالحة مع الأردن لغالبية الجماعات الندائية ؟ والسبب لخصه أحد رفاق ياسر عرفات : « أننا لم نكن راغبين في التخلص من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولكن من المستحيل عمليا أن توحد هذه المنظمات الفلسطينية الندائية في الوقت الراهن وتكون احدى الدول العربية مؤيدة لهذا التجمع ، فبدلا من أن تصبح اللجنة المركزية للمقاومة الفلسطينية بمثابة برلمان يتعكس فيه كل الخلافات والنزاعات .. ويكون ياسر عرفات نائبا عن أكثر من نصف الشعب الفلسطيني ، وكان لزاما عليه أن يتعامل مع الجبهة الشعبية المدعومة من احدى الدول العربية الغنية .

• شرب المياه المعبأة :

ان عدم نشوب حرب شاملة بين الجيش والفدائيين في يوبه يرجع ذلك الى ان الملك حسن تمكن من كبح جماح قواته من البدو ، فربما استغرقت الاهانات التي حدثت من قبل جورج حبش فضلا عن اقتحام الفنادق وطرد النزلاء ، ربما يكون كل ذلك استغرق وقتا من أفكار الملك حسين على الرغم من أن هناك عناصر معينة كانت تنتظر مجرد إشارة منه ، فعلى مدى عامين ، تحمل الملك حسين الكثير من تصرعات القوات الفلسطينية المتعجزة ، لقد اختلط التوتر السياسي عن كثب بالاختلافات الاجتماعية بين رجال ذوى كرامة قبلية ، تم تدريبهم في معسكرات الجيش الانجليزي وكل حياتهم قائمة على خدمة التاج الهاشمي حيث الأمانة والاخاس والتفاني فهم شباب جندوا أنفسهم لخدمة الملك حسين .

في أعقاب أحداث سوسة - كانت خطة روجرز في عمان والتي سارعت بحسم الموقف بين الجيش الأردني والفدائيين بتأييد التسوية السلمية مع إسرائيل ، ووضع عبد الناصر جزءا من الأساس الذي كان حتى عام ١٩٧٠ ، يقضى بأنه في حاجة ماسة لأي مخرج من هذا الموقف المتوتر مع إسرائيل بدلا من التراشق بالمدفعية عبر قناة السويس ، بالإضافة إلى الفجوات الجوية بين الجانبين ، لقد طرح عبد الناصر على رفاقه العرب في مؤتمر قمة الرباط في ديسمبر عام ١٩٦٩ تقديره للموقف مع إسرائيل ملوحا بما إذا كانت الدول العربية تؤيده في موقفه ، لقد طلب منهم اما تأييده في موقفه ، واما توضيح موقفهم ، فمدول النفط الثرية حتى ليبيا الثورية ، سحبت اقدامها من المساهمات المالية المفروضة عليها .

وفي نفس الوقت أعانت سوريا والعراق إعلانات شـبـه
مألوفة من الناحية الحربية ، ولكنها لا تعبر عن التزامات حقيقية ،

والوحيد الذى تطوع بإرسال قوات حربية كبيرة الى الجبهة هوارى بومدين رئيس الجزائر ، وان كانت رغبته مرهونة بقبول عبد الناصر هذه المساعدة من عدمه . لقد أدرك عبد الناصر أن موقف الاقطار العربية غير جاهره لأن تحارب ، وعلى هذا فان عبد الناصر سيتخذ قراره على مسئوليته ، لقد كانت النغمة حربية ، وان كان لا توجد وسيلة حربية ممكن اقترارها ، والشيء الذى يمكن فعله هو السلام ، لقد خرج عبد الناصر من الجلسة وقد تبمه ياسر عرفات ، وعبد الخالق حسونة السكرتير العام ، وانتهى المؤتمر فى اليوم التالى وهو يتخبط فى الفشل التام . لقد قاطعت كل من سوريا واليمن الجنوبي والعراق الجلسة النهائية ، لم تتمكن الوفود من الموافقة حتى على صيغة بيان رسمى ، لقد غاصت القمة العربية فى مشاكل جديدة ، ورغم ذلك كان هذا يبلاءم وهدف عبد الناصر .

لقد وضحت كل المناورات أمام عبد الناصر فى مؤتمر الرباط وعلى هذا فقد أعلن فى ٢٣ يوليو قبوله خطة روجرز ، تلك الخطة كما اقترحتها وزاره الخارجية الأمريكية ، والتي تدعوا الى تجديد وقف اطلاق النار ، واعادة جهود الدكتور جارينج Dr. Jarring الوسيط الدولى للأمم المتحدة بهدف الترتيب لتحقيق قرار مجلس الأمن عام ١٩٦٧ ، ومن الواضح — نتيجة للمناقشات السرية — أن هناك سببا للاعتقاد أن الشروط يمكن قبولها فى الجمهورية العربية المتحدة ، والأردن واسرائيل ، ويمكن العمل بها ، فقد كان الأردن هو الدولة التالية لقبول خطة روجرز ، وكذلك اسرائيل بعد ذلك بأسبوعين ، لقد بدأ وقف اطلاق النار ، ومن الواضح أن الحكومات المعنية كان فى ذهنها أيضا وسائل للتعاون مع الفدائيين .

كان زعماء الفدائيين فى حالة من الانزعاج ، لقد كبج ياسر عرفات جماح نفسه من انتقاد الملك حسين وعبد الناصر بالاسم ،

ولكنه استنكر بقوة المستسلمين ، وأعلن في حشد من الفلسطينيين
الثائرين أنه يجب عليهم أن يعدوا فرقاً المقاومة لتقبل خطة التسوية
مع إسرائيل بكل الوسائل الممكنة ، ولكن الأعضاء الأقل مرتبة من
الفدائيين هاجموا عبد الناصر مباشرة ، وعندما بدأ « صسوت
إذاعة فلسطين » الذي يذاع من القاهرة بتسجيلات من الحكومة
المصرية في مهاجمة سياسة عبد الناصر ، أغلقت المحطة نهائياً ،
لقد نشر هذا القرار على نطاق واسع ، وكان يعنى لكل من يتمتع
الأمر أن شرخاً رئيسياً حدث في الموقف ، تلا ذلك إشارات ، فصل
من العمل ، وتهريب الأموال والمؤمن من مصر إلى مجموعات المقاومة
في قطاع غزة ، ونقل الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين رئاسته من
القاهرة إلى عمان ، واتهام السلطات المصرية بإبعاد ١٥٠ طالباً
فلسطينياً والقبض على الآخرين .

وفي وسط هذه التوترات المتصاعدة ، ضربت الجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين ضربتها في مدة ثلاثة أيام بدءاً من ٦ سبتمبر ،
اختطف الجبهة الشعبية { طائرات ملكها الغرب أجبرت ثلاث
طائرات منها على الهبوط في الأراضي المحررة قرب مدينة الزرقا
في الأردن ، واضعة مئات من المسافرين كرهائن داخل الطائرات .

كان رد الفعل الخارجي غاضباً ، كما تخرج بشدة ، وقف العديد
من الحكومات (٤) لقد علقت غالبية المجموعات الفدائية غير الراضية

(٤) اختطف طائرتان إلى الزرقا يوم ٦ سبتمبر ، وفي اليوم التالي
أجبرت طائرة نالعة (بان أميركان Pan American رقم ٧٤٧ على الهبوط
في بيروت أولاً حيث تم تزويدها بالوقود رغم أنها السلطات اللبنانية ، ثم
اتجهت إلى القاهرة حيث أطلق سراح المسافرين ، ثم بعد ذلك نسفت الطائرة
على ممر الطائرات أمام أعين السلطات المصرية العاجزة أيضاً ، وفي اليوم التالي
عندما أعلن عن هبوط طائرة رابعة تم اختطافها ، رأت السلطات المصرية
إغلاق المطار في وجهها حتى لا تورط السلطات المصرية نفسها في مثل هذا
العمل ، وأخيراً هبطت الطائرة في الزرقا لتنضم إلى الطائرات الأخرى .

فى أن تلطخ نفسها بهذا العمل عضوية الجبهة الشعبية لنحرير فلسطين فى القيادة المحددة للثورة الفلسطينية ، ولكن هذا قليل لم يلاحظه أحد .

أدرك بقية العالم أثناء خطف الطائرات أنه هو العمل الوحيد للارهابيين الفلسطينيين ، فى تلك الأثناء تسأل جورج حبش فى زيارة تم تحديدها لكوريا الشمالية لدراسة الاستراتيجيات الثورية لكيم سانج الثانى Kim Il Sung فى محاربة الاستثمار .

لقد بدا الملك حسين فى موقف غير لائق ، فعلى بعد ٢٠ ميلا فقط من قصره فى عمان ، وعلى الأرض فى مدينة الزرقا ، وقعت كتيبة من القوات الأردنية فى دائرة واسعة فى مواجهة الفدائيين التابعين للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والذين كانوا مكلفين بحراسة الطائرات يهددون بتدميرها بمن فيها من ركاب عند أول حركة عدائية من الجيش ، وتراجع الجنود بعد عدة أيام ، وأطلقت الجماعات العدائية معظام ركابها ، ولستكنهم خطفوا ٥٤ آخرين ، وتم وضع اللغام فى الطائرات بعد ذلك .

هل كان الملك حسين ينظر مثل هذه الانارة ؟ وبشباب الى الذهن سؤال : هل كان الملك حسين هو المخطط لهذه المذبحة الفلسطينية ؟ وهل كان جمال عبد الناصر يشاركه هذه المؤامرة ، على اعتبار أنها بتوقعان من الفصائل الفلسطينية معارضة مقترحات روجرز ؟

وجدير بالذكر أن عبد الناصر لفت نظر الملك حسين الى أن عرشه بات مهددا بالخطر ، ومن ثم حاول الانقاذ سليمان النابلسى بأن يتولى رئاسة الوزارة الأردنية فى الوقت الراهن .

ومن المعروف أن سليمان النابلسى كان من أنصار التيار الناصرى ، وسبق له أن تولى منصب رئيس الوزراء لمدة ستة أشهر

عقب حرب السويس ١٩٥٦/١٩٥٧ الى ان اقاله الملك حسين من منصبه امثالاً لسياسة امريكا في المنطقة ، والآن هل بإمكان سليمان النابلسي الرادبكالي ، كبير السن ان يواجه الأحداث ، ويحقق خطة روجرز ، ويكسب تأييد الفلسطينيين الى جانبه ؟ وان كان هذا يبدو بعيد المنال الآن فقد أخبر كلا من الملك حسين وعبد الناصر ان بإمكانه ان يفعل ذلك .

كان الملك حسين في موقف لا يحسد عليه ، انه لا تزال سياسته تتسم بالمناورة ، ويأمل ان يكسب الى صفه فصائل الفدائيين ، وفي نفس الوقت يلتزم بتنفيذ خطة روجرز ، ولكن السؤال الآن ، هل سيقف عبد الناصر الى جانبه يشد من أزره ؟ فما زال عبد الناصر بعد هذه الأحداث المتناقضة التي مضت ، متشككا في موقف وسياسة الملك حسين بغض النظر عن موقفه التكتيكي قبل ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، فقد كان عبد الناصر في احتياج اليه — في هذا الوقت — ليكون بمثابة همزة وصل بينه وبين واشنطن ، ولكن من الملاحظ ان عبد الناصر لا يحتاج الى تأييد الملك حسين لسياسته بعد التوصل الى تسوية مع اسرائيل .

ولكن الملاحظ ان الملك حسين لا ينسى الموقف التراجيدي الذي حدث أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ ، فلقد كان الملك حسين مجتمعا مع عبد الناصر عندما وصلت اليه انباء ثورة في ليبيا ؟ وأخفى عبد الناصر هذه الأخبار عن الملك حسين .

وصرح الملك حسين فيما بعد للصحفيين انه لن ينسى هذا الموقف ابدا ، اذ أخفى عنه عبد الناصر تلك الأخبار الأولى لثورة ليبيا والاطاحة بملك عربي .

وفي ١٥ سبتمبر وقعت القيادة الموحدة للنزوح الفلسطينية والحكومة الأردنية ، اتفاقا جديدا بين الطرفين ، وقد اضطرت الحكومة الأردنية الى قبول هذا الاتفاق بكثير من التنازلات للفدائيين الذين بدأوا بتراجعهم عن موقفهم الى حين من الزمن ، وفي ١٩ سبتمبر أصدر الملك حسين قرارا بالاستجابة الى مطالبهم بتطهير عام للقوات المسلحة ، مما جعل الملك حسين مجرد سلطة اسمية فقط مما جعلهم يتوقعون خضوع الملك حسين لهم بدون استخدام القوة ضدهم ، ويعتقدون كذلك أنه بهل هذه السياسة يقوضون سياسته نحو اسرائيل ويخضع لهم تماما .

وفي الواقع كان هذا موقفا تكتيكيا للملك حسين فلم يكن مستعدا لأن يسمح لسلطته أن تنزلق بعيدا دون التوصل الى تسوية مع اسرائيل بغض النظر عن رفض الفصائل الفلسطينية لهذه السياسة . ولمواجهة الموقف داخل الأردن أعلن الملك حسين تعيين حكومة جديدة برئاسة الجنرال محمود داود واختار كل أعضاء الوزارة من ضباط الجيش ، معلنا حالة الطوارئ ، وساد الشك والريبة بجميع الأطراف داخل الأردن ، وتوقعوا حدوث كل شر من قبل الملك حسين ، وبدأت حالة من التأهب ، وبدأ الصدام وشبك الحدوث ، وفي صباح اليوم التالي انفجر الموقف بين الفصائل الفلسطينية بصفة عامة والفدائيين بصفة خاصة ، واستخدم الجيش الأردني الدبابات والمدافع ، والبنادق الرشاشة ، وكذلك القنابل اليدوية وبرغم هذا كان الفلسطينيون مسيطرين على الموقف وشمل القصف كل مواقع الفلسطينيين ، حتى العشش في الأحياء المحيطة بسمان وهي المزدحمة باللاجئين .

وفي مدينة الزرقا حدث إطلاق المدافع والبنادق الآلية ، حتى القنابل اليدوية ، وبرغم كل هذا كان الفلسطينيون يسيطرون على

مدن الشمال (جرش وسولت وأريد) وحاول الجيش الأردني
انقاذ هذه المدينة من سيطرة الفلسطينيين .

والمدعش أن القوات العراقية وقوامها ما بين ٢٠ ألفا الى
٣٠ ألف جندي قد تمركزت في الأردن بهدف حملة المقاومة
الفلسطينية ، ورغم هذا وقفت هذه القوات شديدة هذه المذبحة
غير المتكاثرة دون أن تحرك ساكنا ، ولكنها فجأة نراجعت الى
الخلف تاركة مواقعها دون أن تقوم بأي عمل . .

والسؤال الآن : هل نراجعت هذه القوات نتيجة نصيحة من
قبل السوفيت ، أو نتيجة أوامر أصدرها الجنرال الكرمتي ،
الرجل الثاني في النظام العراقي ؟ لقد أصدر أوامره لهذه القوات
بالوقوف موقفا سلبيا ، مما جعل زملاءه يلتقون عليه باليوم ويعدونه
عن موقعه فيما بعد .

ومن ناحية أخرى تلقى الفدائيون مساعدة من سوريا ، وذلك
بوصول طابور مسلح عبر الحدود قرب مدينة أريد ، وحارب هذا
الجيش بشجاعة ضد الأردنيين ، وادعت سوريا أن هذه القوات
ما هي الا وحدات جيش التحرير الفلسطينية في حين أصر الأردنيون
على أن هذه القوات هي قوات سورية ، ولكن الملاحظ أن هذه
القوات انسحبت بعد عدة أيام من مواقعها سواء كان ذلك بسبب
تحذيرات اسرائيلية أو أمريكية أو بناء على نصيحة سوفيتية أو
معارضة أردنية كان لها تأثير قوي ، لكنها لقيت قبولا من الفلسطينيين
المدافعين عن مدينة أريد .

وأخيرا وصلت هذه الحرب الأهلية الى نهايتها عن طريق
المفاوضات التي جرت في القاهرة ، اذ دعا عبد الناصر الى حمية
عقد مؤتمر قمة عربي طارئ لوقف نزيف الدم الفلسطيني ، واستمر

هذا المؤتمر ثلاثة أيام لترتيب وقف إطلاق النار بين الجانبين ، ووافق كل من ياسر عرفات والملك حسين على وقف إطلاق النار في يوم ٢٥ سبتمبر ، وتلا هذا القرار توقيع اتفاقية أكثر تفصيلا وقعت بعد يومين ، مما كان سببا في انقاذ الفدائيين من مذبحة أكبر ، اذ كان يقدر عددهم بحوالى ٢٥ ألف جندي ، بالمقارنة بالجيش الأردني الذي يقدر عدده ما بين ٦٠ ألفا و ٧٥ ألفا ، وكان عدد القتلى من الجيش الأردني أكثر من قتلى الفلسطينيين ، ورغم التفاوت الواضح بين قوة التسليح وكذلك العدد بين الطرفين : الأردني والفلسطيني .

وكانت تقديرات الهلال الأحمر الفلسطيني هي ٣٦٥٠ قتيلًا ، و ١١٥٠٠ جريح فلسطيني بمن فيهم الكثير من المدنيين ، وفي القاهرة عبر العديد من الزعماء السياسيين عن استنكارهم واشمئزازهم البالغ من تلك الأحداث التي تجرى بالأردن ضد الفلسطينيين ، والتي نفذت باسم وتحت اشراف الملك حسين نفسه ، وعلى هذا فقد أوقفت كل من ليبيا والكويت دفع اسهاماتها المالية للأردن ، السابق اقرارها في مؤتمر الخرطوم منذ ثلاث سنوات مضت .

وقام الجنرال جعفر نميري زعيم ثورة السودان باعتباره رئيسا للجنة المصالحة العربية التي شكلت منذ بداية الصدام بالأردن في شهر يونية حيث قام بزيارة الى عمان ، وعاد الى القاهرة ، وقدم تقريرا ، متها فيه السلطات الأردنية بشن حرب إبادة ضد الشعب الفلسطيني .

وتحدث — كذلك — العقيد القذافي بطريقة مبهمه غامضة عن ارسال جيشه الى الأردن لدعم الفلسطينيين ، وان كان لم يوضح كيف يمكن وصول هذا الجيش الى هناك بالأردن ، كما قطعت

ليبياً علاقتها الدبلوماسية مع عمان ، كما ندد الملك حسين من جانبه بالجزارين السوريين وهجومهم الذي يقسم بالجن .

حتى الرئيس عبد الناصر الذي كان يعمل جاهدا لتهدئة الأوضاع ، وبحفظ للملك حسين سمعته ، وجد من الضروري أن يحتج على سياسته وموقفه ، ويبحث إليه برسالة في ٢٥ سبتمبر موضحا موقفه ، وموجها إليه عدة اتهامات لا يمكن انكارها ، هذا في الوقت الذي لجأت فيه السلطات الأردنية الى عدم احترام قرار وقف إطلاق النار . . . وعدم احترام كامل لكل المعهود الصادرة من مجلس القمة العربي ، والتي كانت تتضمن خطة أردنية لتصفية المقاومة الفلسطينية . بالرغم من كل التصريحات من قبل السلطات الأردنية فإن هناك سياسة أردنية جري تنفيذها بهدف أحداث مذبحه مخيفه تتنافى مع كل المبادئ العربية والانسانية .

وبرغم مناقشة الأبعاد الحقيقية لهذه المسألة بالنسبة للشعب الفلسطيني فإن من الملاحظ أن المؤتمر لم يحاول أن ينتزع موافقة رسمية لالقاء اللوم على الملك حسين ، وأنه طلب عقد اجتماع في هيئة غير رسمية تتكون من ١٤ عضوا وكان زعماء الدول العربية يتابعون طريقا ملزما لأن يكون بطلان في وضع نهاية للمذبحه ، لقد أرسل المؤتمر لجنة مراقبة سلام جديدة الى الأردن ، وهذه المرة يرأس هذه اللجنة « باهى الأدهم » رئيس الوزراء التونسي ، تساعد هيئة من الضباط العسكريين للملاحظة وقف إطلاق النار ، وبرغم كل الجهود المبذولة فإن العنف الحقيقي مضى حتى النهاية ، ولو أنه في الأشهر التالية نشبت معارك عنيفة بين الطرفين .

ويتبادر الى الذهن سؤال : من الذي كسب الحرب الأهلية ؟ وماذا تعنى هذه الحرب ؟ لقد كان العنف الدموي يثير ويطلق الرأي

العربى بكل شدة لأن الأسلوب الذى تمت به هذه المذبحة للشعب
الفلسطينى ، التى تمت بطريقة مثيرة للراى العام العربى ضد
شعب يدافع عن وطنه السليب .

لقد قام الملك حسين بقتل الفلسطينيين عام ١٩٧٠ أكثر من
قتل موسى ديان منهم عام ١٩٦٧ . فان عدد القتلى فى الضفة
الشرقية أكثر من القتلى فى الضفة الغربية الواقعة تحت الاحتلال
الاسرائيلى ، وعلى هذا ماذا يمكن أن نتنبأ لهم لو عادوا يوماً إلى
السيادة الهاشمية ؟ (*) .

كان كثير من الشخصيات الفلسطينية بالضفة الغربية من تلاميذ
الشخصيات البارزة الذين خدموا فى الدولة ودافعوا عن النظام
الهاشمى ، أنهم الآن يجتروا مزارعة شعورهم (٥) لدرجة أن كثيراً من
الشخصيات الفلسطينية فى الضفة الشرقية كانوا يفضلون أن
يعيشوا فى الضفة الغربية مفضلين وطأة الاحتلال الاسرائيلى على
العيش فى كنف الحكم الهاشمى معرضين حيائهم لجيش الأردن .

(*) لا وجه للمقارنة بين توضيحات مصر من أجل قضية فلسطين منذ
عام ١٩٤٨ حتى الآن ، وما قدمته الأردن للقضية فى نفس الفترة .

(المخرج)

(٥) احدهم كان قدرى طوقان وزير خارجية أسبق ، فى أثناء تشييع
جنازته فى نهاية فبراير ١٩٧١ انعكست الشكوك السياسية لهذه الأزمة . مات
طوقان بينما كان فى زيارة لبيروت ، وأعيدت جثته إلى مدينة نابلس وكان
التابوت ملفوفاً بعلم الأردن وهو يشيع إلى مثواه الأخير ، ولكن عندما عبر
المسيحون إلى الضفة الغربية المحتلة وضع العلم الفلسطينى بدلاً من علم
الأردن ، وأن كان الاسرائيليون لم يأملوا أن يلف التابوت بالعلم الاسرائيلى برغم
حضور الجنرال موسى ديان ليقيم واجب العزاء .

(صحيفة اللوموند فى ٢ مارس ١٩٧١)

وهنا تساءل الاسرائيليون مع انفسهم بلوعة وفزع ، اذا كان العرب يفعلون مع اخوانهم العرب مثل هذه الاعمال التى تتسم بالعنف والوحشية ، اذن فماذا هم ناعلون معنا نحن الاسرائيليين اذا كانت لهم اليد العليا ؟! وعلى هذا فما الحكمة من اعادة الضفة الغربية الى الملك حسين او الى اى زعيم عربى آخر ؟ لكل هذه الاعتبارات نقد بات واضحا ان الملك حسين قد اخطأ خطأ فظيحا ، ولطخ بمثل هذه الفعلة الشنعاء رصيده السياسى ، وصارت حياته الى نهاية مظلمة .

لقد بقى الفدائيون كقوة برغم تخطيط الملك حسين للقضاء على حركتهم ، لقد اضطر الى وقف اطلاق النار قبل ان يتمكن جيشه من ان يبيد ضحاياه . فلو بقى بعض الفدائيين على قيد الحياة ، افلا يعنى ذلك انهم كسبوا الموقف طبقا للمستوى المعيارى المطبق فى المعارك بين حرب العصابات وجيوش مسلحة منظمة ؟ فقد صرح احد الضباط — قائد المدفعية — وهو ممثل غيظا قائلا لصحفى اجنبى : « لو اعطونا الاذن كنا سننظف المدينة وبمدها لن يكون هناك فدائيون فى عمان » .

واضاف قائلا : « يجب علينا ان نستاصل المشكلة من جذورها والا نستظل المشكلة قائمة فى كل انحاء البلاد ومفروض علينا ان نواجهها مرة اخرى » (٦) . والاكثر غرابة — فى الموقف — ان الملك حسين اضطر الى قبول تحكيم الغرباء فى نزاع بينه وبين مجموعة من رعاياه ، كما انه اضطر عن طريق هؤلاء الغرباء ان بطرد حكومته العسكرية (٧) كما ان اتفاقية ٢٧ سبتمبر طبقت بكل جدية لتضع

(٦) Associated Press اسويتدبرس . عمان ٢٨ سبتمبر

عام ١٩٧٠ .

(٧) الجنرال داود رئيس الوزراء ، وعود بمسحة بليبيا ، اشارة الى رفض السلطة لسياسته .

قبوداً على حركة قواته المسلحة على أرضه ، بنفس القيود التي وضعت على حركة الفدائيين .

وفي ١٣ أكتوبر وقعت اتفاقية بين ياسر عرفات والملك حسين تحت حماية لجنة باهي الأضخم نحمل في طياتها اهانات أكثر حيث تنص على أن منظمات المقاومة الفلسطينية لها كل الحق في تمثيل الشعب الفلسطيني ، منكرة في نفس الوقت منزلة الملك حسين الحاكم الشرعي لعظم سكان دولته ومتضمنة الاعتراف بياسر عرفات كمشارك له في السيادة . إلا أن كل هذا التعليل كان بسيطاً للغاية ، فالفلسطينيون يمثلون الأغلبية في الأردن منذ عام ١٩٤٨ ، وكانوا دائماً موضوع الضغوط الخاصة على الحكومة من كل اتجاه الوطن العربي من حين لآخر ، لقد نبذه خصومه لمخالفات أكثر اعتدالاً من إطلاق الرصاص على آلاف الفلسطينيين ، وهكذا وقف العرب من الملك حسين موقفاً لا يرقى إلى فعله الشنعاء ، فقد كان كلامهم كثيراً وفعلهم قليلاً .

وبالنسبة للفدائيين الفلسطينيين ، فإن النقطة المهمة الجديرة بالتذكر ، أن من المنترض أن يكون عسدهم بالدرجة الأولى هو إسرائيل ، وليس الأردن ، وأن الدرس المستفاد من هذه الأحداث أن الملك حسين لم يستطع أن يقضى عليهم كقوة سياسية في الأردن ، بل أنهم يرومون أن تكون حياتهم هبة لتحرير بلادهم من هذا الاحتلال الإسرائيلي ، لأن حياتهم أصبحت أشبه بسمكة في البحر داخل حدود تسيطر عليها إسرائيل ، وصارت حياتهم مهددة حتى من قبل أخوانهم الأردنيين والمفترض فيهم أنهم أبناء جد واحد ، وجيران لهم .

إن ما بهم كلا من الملك حسين والفدائيين ليس قدرتهم على الحصول على التأييد السياسي والدبلوماسي ، ولكن ما بهم كل طرف

هو السيطرة على مجريات الأحداث التي تجري بالأردن وبناء على هذه الافتراضات كانت تسير العلاقات بين الملك حسين والفدائيين .

ان صيغة التصالح التي بدت في صالح الفدائيين ، سرعان ما أسىء تطبيقها بعد أشهر ، ورغم ان هناك اتفاقا بالعفو العام عن جميع السجناء فإنه بقي عدد كبير منهم رهن السجن ، وأيضا رغم الوعود بعدم الرقابة على مطبوعات المقاومة ، فإن السلطات الأردنية كانت تصدر مقالات صحفية فتع بصفة متكررة ، أضف الى هذا أنه حسب صيغة التحالف فإن حركة الزعماء الفلسطينيين يجب أن تتم بدون أية قيود ، ولكن ما كان يحدث هو العكس تماما لدرجة أن جورج حبش وبعض الزعماء الآخرين رأوا أن من الحكمة أن يبقوا بعيدا عن الأردن باعتبارهم القوى السياسية المحركة لكيان الدولة الفلسطينية ، والرأي العام بها ، ولكن زعماء المقاومة تلقوا ضربة قاصمة سببت لأعضائها أن يتحملوا ممارسة نقد الذات مقارنة بتلك التي حدثت لعبد الناصر بعد حرب يونيو .

ان مبادئ وطموحات الحركة تدعو الى التشكك ، اذ لا يوجد شخص يمكن أن يتنبأ - بنهاية عام ١٩٧٠ - بتطور المستقبل بالنسبة لمستقبل السياسة الفلسطينية ، وان كانت امكانية واحدة ساخرة طرحت نفسها على الأقل ، هي فقدان الثقة في الملك حسين لدرجة أن بعض الفلسطينيين أصبحوا أكثر ميلا في قبول تسوية مع اسرائيل بشرط ان يتخلصوا من الملك حسين نفسه .

٦ - وفاة عبد الناصر وميراثه :

ان من سخریات القدر ان جمال عبد الناصر مات وهو يعمل لحماية الملك حسين عدوه القديم ، وذلك على حساب الفلسطينيين أصدقائه القدامى .

لقد واجه عبد الناصر ازمت كثيرة ، وثجا منها منذ قيامه بالثورة في عام ١٩٥٢ ، ورغم الكوارث كان عبد الناصر يعلو نجمه في افق العالم العربي باستمرار ، ففي الماضي كان دائما ينتهج سياسة « الالتزام » التي لا يحيد عنها ، ولكن من الملاحظ الآن أن موقفه من أحداث الأردن غير ملتزم بسياسته القديمة ، لقد رحل جمال عبد الناصر وهو بحيط نفسه بقموض أسود ، بينما كان غموضه في الماضي هو الذي يبلور سياسته طوال السنين الماضية . لقد كان يحرك الأحداث باستمرار ، ولكن حياته انتهت بمؤازرة أعدائه على حساب أصدقائه وبذلك تناقض عبد الناصر مع نفسه في آخر المطاف .

كان عبد الناصر بالنسبة للبعض ، الأمل المنشود لتحرير فلسطين من المقتصبين اليهود ، كما كان أمل العالم العربي بتخلصه من هؤلاء الحكام الرجعيين ، وسادتهم المستعمرين لهم (*) .

بينما كان بالنسبة للبعض الآخر ، هو الزعيم العربي الوحيد القادر على تثبيت المجتمع العربي ضد الثورات والقطبسات المستمرة خاصة في الأردن ، لقد اضطر الى صنع الاختيار المستحيل .

ان العالم العربي تمكن من مشاهدة عبد الناصر ، وهو غير قادر أو كاره على أن يوقفها ، وتمكن أيضا من مشاهدة الملك حسين الذي كان حليفه المعترف به في أتون الدبلوماسية العالمية يعمل عملا لا يؤدي في نهاية الأمر إلا لخديعة إسرائيل .

(*) خطب وتصريحات عبد الناصر ، ج ٥ عام ١٩٦٤ - ١٩٦٦ ، ص ٤٣ - ٤٥ المناقشات التي دارت مع القساق بحلول في ١٨ نوفمبر عام ١٩٦٥ .
المرجع .

وعندما قبل خطة « روجرز » فمن المؤكد انه أدرك ان ذلك يتناقض مع سياسته ازاء الفلسطينيين في وقت لم يتمكن فيه من إسقاط الملك حسين ، بالقياس الى الفرضيات التي تنص عليها سياسته لاستبعاد الأرض المحتلة بفلسطين .

ومع ذلك وبعد خمسة عشر عاما من مناصرة الآمال الفلسطينية كان من السخف أن يجد نفسه مجبرا في الوقوف ضدهم ، حتى لو كان موقفه هذا مشوبا بالمعطف عليهم ، لقد وضعت أزمة الأردن عبد الناصر عند مفارق الطرق ، وتحت ضغط هذا الموقف المتأزم مات عبد الناصر بنوبة قلبية في اليوم التالي لانتهاؤ مؤتمر القاهرة الطارئ .

وفي خلال سنوات الماضي عاش المنافسون لعبد الناصر من الزعماء العرب تحت ظلاله ، وهما كانت العواقب لذلك ، فكانت لديه دائما مميزات معنوية تفوقهم بإعتراف الجميع ، وكان عبد الناصر عاجزا في تحويل هذه الميزة الى نصر حاسم ، او حتى زعامة مصرية متزايدة .

واذا تجاوزنا عن ذكر الوحدة العربية الرسمية ، فقد كان عبد الناصر ولا يزال دائما يبدو محتفئا بالمبادرة بسيطر على العدو ، وهذا أمر يحتل المقام الاول في اتجاهاته السياسية ولكن في نزاعه مع الفلسطينيين بعد عام ١٩٦٧ لم يعد لهذه السياسة أي وجود .

وربما كان الانقلاب في الرأي الى نقيضه أقل خطورة مما ظهر ، اذ ربما كانت هيمنته الظاهرة في الماضي تبدو شيئا وهيبا ، وعلى هذا فما الذي أنجزه عبد الناصر في احتكاكاته اللانهائية مع الدول العربية ؟ فقد انهارت الوحدة مع سوريا ، وتحدها حزب

البعث ، وحرب اليمن كلفته الكثير من الأموال والأرواح ، ولم يكسب منها شيئا يذكر ، وكذلك العراقيون لم ينل منهم شيئا سوى المتاعب تلو المتاعب ، أما الملك حسين والملك فيصل فلا يزالان في السلطة برغم جهوده المضيئة ضدّهما .

ان كل ما تمتع به عبد الناصر من نجاحات أتى بالوعود ، والتهديد ، والتظاهر ، والنصب ، والافتراض على المصادر التي منحها له كل من الروس والأمريكان ، لقد نصب نفسه كقوة عظمى ، ولكن بدون أن يمتلك وسائل هذه القوة .

ان النجاحات والانتصارات التي انجزها عبد الناصر بصفة أساسية في الخمسينات ، جعلته سائرا فوق العادة لمدة طويلة ، حتى بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، ولكن بعد ذلك تركته يحل عبء مشاكل كانت في نهاية الأمر مهلكة .

يقال ان عبد الناصر كان يأمل لمصر أن تلعب دور بروسيا في توحيد ألمانيا ، ولكنه لم يكن هو بسمارك ، فهناك فرق شاسع بين إمكانات الشخصيتين(*) .

بعد ذلك ورغم كل شيء فإنه لا يمكن إنكار أن عبد الناصر رجل ذو قوى شخصية ملحوظة ، ومهارات سياسية واضحة أيضا فضلا عن توأغر كل مقومات الزعامة فيه ، ولم تكن غلغلته أنه ظهر

(٢) استطاع بسمارك أن يوحد ألمانيا البالغ عدد ولاياتها أكثر من ٣٠٠ ولاية تحت شعار « لأبد من توحيد ألمانيا بسياسة الحديد والنار » سنة ١٨٧٠ وبذلك وضع حدا للحلافات التي كانت بين هذه الولايات والتي استغرقت عدة سنوات من الجدل حول كيفية اتحاد الولايات الألمانية هذه ، ثم مضى بسمارك بعد ذلك في بناء ألمانيا كدولة عظمى في شتى المجالات ، قبل أن يهوى معترك التنافس الدولي ضدّ الامبراطوريتين الفرنسية والبرطانية .
(الترجم)

فى زمن سابق لأوانه ، وأنه امتلك جيشا اقل من الجيش البروسى ،
ورغم ذلك فان المقارنة بين الشخصيتين صحيحة ، ماذا كان يقول
التاريخ عن بسمارك لو ان جيشه انتصر على النمسا عام ١٨٦٦ ،
ثم تقدم بطريقة ما ، لكى يخوض الحرب بتطور ضد فرنسا ؟ ما
كان الا ان يبادئ بموقعة سيديان عام ١٨٧٠ ، وان ما فعله
عبد الناصر ما بين حرب اليمن عام ١٩٦٢ وحرب سيناء عام ١٩٦٧
كان شيئا رائعا(*) .

ربما كان رائد عبد الناصر الحقيقى فى واقع الامر هو
نابليون الثالث ، رجل ذو طموحات لنفسه ولبلده ، وعبد الناصر
حاول بكل الامكانيات ان يكون كل شيء بالنسبة لكل الناس ، فقد
أضعف رصيده الدولى من جراء كونه رجلا ذا حيل ، وذا مواهب
وذا مؤامرات ، وأخيرا يتججج فى اختبار القوة ، متظاهرا بالشجاعة
العسكرية ، وهنا كانت الطامة الكبرى بالنسبة له لأنه لم يكن لديه
تقديرات حقيقية لقوته العسكرية .

وعلى النقيض من نابليون الثالث ، بقى عبد الناصر حيا بعد
هزيمته ، ولكنه استنفد رصيده من الناحية السياسية والشخصية

(*) لا يخالف اثنان على وطنية عبد الناصر المعرلة ، ولكن سسنيسته
الشخصولية اتاحت لـ...شاريه والمقربين اليه ، ان يجعلوه بعيد عز جادة
العزوب فى بعض السياسات والمواقف ، وكان من المفروض كما فعل بسمارك
عقب وحدة ألمانيا ١٨٧٠ ان يبنى مصر أولا فى كل المجالات ، ثم بعد ذلك
ينطلق للمد الثورى فى الوطن العربى عن قوة حقيقية وليس عن ضعف ، وقد
اجتمعت فيه صفتان باعتبارهما ذا طابع صعيدية بالاعتماد على السلوك
العسكرى ، فخلعت سياسته ملتزمة الى المرونة فى بعض المواقف التى تتطلب ذلك ،
كما ان المحيطين به الذين وثق بهم ثمة مطلقا كانوا يمدونه بمعلومات غير حقيقية
ويزيلون له كل أعماله نفاقا ورياء .

(المترجم)

لقد اهتزت صورته كثيرا في اعين الراى العربى العام ، خاصة في أزمة سبتمبر عام ١٩٧٠ ، ووجه اليه لوم شديدا نظرا لحجم الدماء التى سالت ، ومن ثم ارتفعت أصوات موجهة اليه النقد اللاذع فقال واحد منها :

« لقد استخدم عبد الناصر مهارته السياسية التى لا جدال فيها في ادانة نفسه والقاء المسؤولية على شخصه عام ١٩٦٧ ، وقادته مهارته عام ١٩٧٠ لأن يلبس نفسه رداء الخزي والعار ، ومهما كان نتاج هذا الأمر غائبا يتحمل مسؤولية قتل عدة آلاف من الفلسطينيين » .

وفي مدة ثلاث سنوات قاد الشعب الذى يدعى أنه رئيس عليه أولا الى حرب هو غير مستعد لها ، ثم الى السلام وهم مخدوعون فيه ، وماتزال على أعينهم غشاوة ، اليس من الأفضل كثيرا بالنسبة له ان يختفى وينرك موقعه لغبره ؟ كان عليه أن يعي تماما ما قاله شارل ديغول : « ان الخداع لا يفيد » تلك كانت الكلمات التى يجب أن توجه لعبد الناصر عند النهاية الفعلية لحياته .

لقد كانت الصدمة القاسية والمشاعر الحزينة ، والدموع المنهارة التى تلت بها الشعوب العربية في جميع أنحاء العالم العربى نبأ وفاة عبد الناصر ، فقد سحت هذه المشاعر الجياشة كل الانتقادات التى كانت تلقى على كاهل عبد الناصر ، حتى الفلسطينيون ، غلبهم الحزن ، لقد شوهد عبد الناصر في يومه الأخير كصانع سلام ، وهو الذى رفض أن يستريح في الأيام القليلة الأخيرة له ، لأن الصحافة اقتبست قوله : كيف أستريح ، والنساء والأطفال والرجسالي يموتون في الأردن ؟ نحن في سباق مع الموت « (٨) » .

(٨) محمد حسنين هيكل : الامرام في ٢٩ سبتمبر عام ١٩٧٠ .

وهكذا رحل شهيد القومية العربية .. لقد رحل عبد الناصر
يحظه الذى لا يمكن تصديقه .. داخل المقبرة ، بالسبخية
القدر !

ان عبد الناصر - قبيل وفاته كان يخطط لتقديم خدمة حقيقية
للعرب العربية أفضل بكثير من اطار القومية العربية ، فلو ان
عبد الناصر عاش لفعل هذا ، كان سيعطى دليلا آخر على عظمته،
كان سيرسخ في ذهن الجماهير العربية .. الوحدة المصرية
الشاملة والمرتبطة بقوة ايمانهم للزعامة .. حتى لم تعد الناصرية
مثلا يحتذى به ، بل أصبحت ممارسة حقيقية للزعامة المصرية ...
لان عبد الناصر لم يتخل عنها في أحلك الظروف ولآخر مشوار
حياته .. وربما تسابى الأسطورة نفسها شكل ايمان شعبى في
بقاء دورة الحياة ، وذلك وفاء للعهد ، ولذكرى الزعيم الذى قاد
مسيرة الأمة العربية ردحا من الزمن غير قصير ، ولكن برغم هذا
من الآن فصاعدا على الأمة العربية أن تبحث لها عن بطل جديد .

الفهرس

صفحة

٧		● تقديم
٩		● مقدمة المترجم
١٥		● مقدمة المؤلف
		● الفصل الأول : التجربة والخطأ — الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨/١٩٧٠
١٩		١ — مناهضة الاستعمار
٢٢		٢ — التحول الاجتماعي
٢٩		٣ — حزب البعث السورى والشيوعية
٣٢		٤ — اتحاد مصر وسوريا
٣٧		٥ — مصر والعالم العربى
٤٦		٦ — تغيير نى الخطط
٤٩		٧ — الانفصال السورى
٥٣		٨ — الأسباب الضمنية
٥٧		

صفحة

● الفصل الثانى : الانفصال : سبتمبر ١٩٦١ — مارس

١٩٦٣	...	...	...	...	...	...	...	...	...	٦٣
١	—	ردود الفعل المصرية	...	...	...	...	...	...	...	٦٧
٢	—	ردود الفعل السورية	...	...	...	...	...	...	...	٧٥
٣	—	انشقاق حزب البعث	...	...	...	...	...	...	...	٧٩
٤	—	حكومة بشير العظم	...	...	...	...	...	...	...	٨٢
٥	—	عجز جامعة الدول العربية	...	...	...	...	...	...	...	٨٥
٦	—	الانقلابات العسكرية العراقية السورية	...	...	...	...	...	...	...	٨٨

● الفصل الثالث : مفاوضات القاهرة مارس — أبريل

١٩٦٣	...	...	...	...	...	...	...	...	...	٩٣
١	—	النظام السورى الجديد	...	...	...	...	...	...	...	٩٦
٢	—	محادثات الوحدة عام ١٩٦٣	...	...	...	...	...	...	...	١٠٢
٣	—	الاجتماعات السورية المصرية العراقية	...	...	...	...	...	...	...	١٠٤
٤	—	الاجتماعات المصرية — السورية	...	...	...	...	...	...	...	١١٨
٥	—	الجولة الأخيرة فى المحادثات	...	...	...	...	...	...	...	١٢٠
٦	—	التفاوض من أجل الوحدة	...	...	...	...	...	...	...	١٢٦
٧	—	اتفاقية للموافقة	...	...	...	...	...	...	...	١٤٥

● الفصل الرابع : الانهيار

١	—	أثار الانهيار فى سوريا والعراق	...	...	...	...	...	...	...	١٥٤
٢	—	انهيار البعث وعبد الناصر	...	...	...	...	...	...	...	١٧١
٣	—	المفاوضات العراقية السورية	...	...	...	...	...	...	...	١٧٧
٤	—	نظام عبد السلام عارف	...	...	...	...	...	...	...	١٨٠

صفحة

● الفصل الخامس : الردة ، قمة القاهرة ، يناير ١٩٦٤ ١٨٣

١ — عقد أول قمة عربية بين الملوك والرؤساء ... ١٨٧

٢ — أسباب أخرى لانعقاد المؤتمر العربى بالقاهرة ١٩٢

٣ — الدكتاتورية العسكرية ١٩٥

الفصل السادس : تحطيم القمة ٢٠١

١ — مصر والسعودية والمشكلة اليمنية ٢٠٤

٢ — مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ... ٢١٦

٣ — التحالف السورى — المصرى ٢٢٢

٤ — العراق ٢٢٩

٥ — حرب الأيام الستة ٢٣٤

● الفصل السابع : محور عبد الناصر — حسين والمقاومة

الفلسطينية ٢٣٩

١ — النقطة الفاصلة ٢٤٤

٢ — حركة المقاومة الفلسطينية ٢٤٨

٣ — مؤتمر الخرطوم ٢٥٤

٤ — الأردن والفدائيون ٢٥٨

٥ — حرب سبتمبر الاهلية ٢٦٥

٦ — وفاة عبد الناصر وميراثه ٢٧٧

صدر في هذه السلسلة :

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ ،
د . عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ١٩٩٤
- ٢ - على ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،
د . محمد نعيان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى ،
عليه عبد السميع الجنزورى ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمى المطيعى ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي ،
د . عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية :
د . على بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د . محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزى ، ١٩٨٧
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضى ، ١٩٨٧

- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨
- ١٣ - أكتوبة الاستعمار المصري للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ط ٢ ١٩٩٤
- ١٤ - مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي ،
د. علي حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة
عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢) ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكة ،
د. على السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد
زغلول وعبد الرحمن فهمى :
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨

- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ، ج ٢ ، امام التصوف
في مصر : الشعراني ،
د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩
- ٢٥ - المجتمع الاسلامي والغرب
تأليف : هاملتون جب وهارولد برونين ، ترجمة : د . احمد
عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ .
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة ،
د . سعد اسماعيل علي ، ١٩٨٩
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ،
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
تأليف ألفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ،
١٩٨٩
- ٢٩ - مصر في عصر الاخشيديين ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - الموظفون في مصر في عصر محمد علي ،
د . حلمي أحمد شلبي ، ١٩٨٠
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضي ، ١٩٨٩
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعي المطيعي ، ١٩٨٩

- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقي : نظرة على الأوضاع
الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومي ، ١٩٨٩
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة
حتى عام ١٩١٢ ،
د. يوتان لبيب رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠
- ٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين ، ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠
- ٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادية والاجتماعى في العصر
العثمانى ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقي الجميلى ، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والمسألة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
- ٤٢ - تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠

- ٤٣ - رحلة في عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني
د. محمد عفيفي ، ١٩٩١
- ٤٥ - الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتقديم : د. حسن
حبشي ، ١٩٩١
- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ - ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصري الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١
- ٤٨ - الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الاسلامي ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د. سهير اسكندر ، ١٩٩٣
- ٥١ - تاريخ المدارس في مصر الاسلامية ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالجلس
الأعلى للثقافة ، في ابريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٢ - مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، في القرن
الثامن عشر ،
د. الهام محمد علي ذهني ، ١٩٩٢

- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د . محمد كمال الدين عن الدين على ، ١٩٩٢
- ٥٤ - الأقباط في مصر في العصر العثماني ،
د . محمد عفيفي ، ١٩٩٢
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشي ، ١٩٩٢
- ٥٦ - المجتمع الريفي في عصر محمد علي : دراسة عن القليم
المنوفية ،
د . حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٢
- ٥٧ - مصر الاسلامية وأهل الذمة ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
- ٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،
د . ابراهيم عبد الله المسلمي ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمهيد الى التاميم
(١٩٥٧ - ١٩٦١) ،
د . عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكي ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية في العصر الحديث ،
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،
لمى المطيعي ، ١٩٩٣

- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ،
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم
رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء : دراسة
وثائقية ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧) ،
د. سهام نصار ، ١٩٩٣
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي ،
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣
- ٦٧ - مساعي السلام العربية الاسرائيلية : الاصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات
جامعة عين شمس ، في ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشي ، ١٩٩٣
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤
- ٧٠ - أهل الذمة في الإسلام ،
تأليف : أ.س. ترتون ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ،
ط ٢ ، ١٩٩٤

- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد
عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في
العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،
امينة أحمد امام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د. رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني ،
د. سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - اهل الذمة في مصر ، في العصر الفاطمي الأول ،
د. سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥
- ٧٦ - دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الاحتلال
البريطانى) ،
د. سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥
- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشى ، ١٩٩٤
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دى يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمى
الجمال ، ١٩٩٥

- ٨٠ - قنائة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي
(١٨٨٢ - ١٩٠٤) ،
د . السيد حسين جلال ، ١٩٩٥
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى
نصر أكتوبر ،
د . رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د . حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في مصر الحرة الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤) ،
د . أحمد الشرييني ، ١٩٩٥
- ٨٧ - مذكرات اللورد كلرن ، ج ١ (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د . عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التلوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ،
د . عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في السولة الإسلامية ،
د . نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦
ج ٢ ،
د . نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨)
د . نبیه بیومی عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية ١٩٤٦ - ١٩٥٤
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٦ .
- ٩٥ - مصر وأفريقيا .. الجذور التاريخية الأفريقية المعاصرة
(أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالبحر
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الأفريقية بجامعة القاهرة)
أعدّها للنشر : د . عبد العظيم رمضان

رقم الايداع ١١٠٨١ / ١٩٩٦

الترقيم الدولي 0 — 5001 — 01 — I.S.B.N. 977

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
مصر الصحافة

إليكيتاب يعرض علاقات مصر العربية فى عصر عبدالناصر منذ قيام الوحدة المصرية السورية فى عام ١٩٥٨ حتى وفاة عبدالناصر عام ١٩٧٠ ، ويتبع أحداث تلك الفترة الخطيرة بدقة وتحليل ، وقد اختار عام ١٩٥٨ ليس فقط لأنه عام الوحدة المصرية السورية ، وإنما لأنه شهد أحداثاً هائلة تمثلت فى الثورة العراقية ، والحرب الأهلية فى لبنان ، ثم شهدت السنوات التالية أحداثاً لا تقل أهمية ، تتمثل فى الانفصال السورى عن مصر ، والحرب الأهلية فى اليمن ، وهى التى تورطت فيها مصر ، ومباحثات الوحدة العربية بين مصر وسوريا والعراق فى عام ١٩٦٣ ، وهى التى انتهت بالفشل ، ومؤتمرات القمة العربية الثلاثة التى انعقدت فى عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، ومحاولات الانقلاب العديدة فى سوريا والعراق ، والصراع العربى الإسرائيلى الذى قاد إلى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وميلاد المقاومة الفلسطينية ، وصدامها مع السلطة الأردنية ، ثم وفاة عبدالناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

To: www.al-mostafa.com